بعد ورقة اللاجئين.. أردوغان يبتز أوروبا بالدواعش

ص3

أمينة فاخت

بين الجنون والإبداع أغنيةٌ تونسية

ص9

أمين معلوف

الهوية المفتوحة والمصائر المشتركة

ص11

العرب

www.alarab.co.uk

أول صحيفة عربية يومية تأسست في لندن 1977

الأحد 2019/11/03

06 ربيع الأول 1441

السنة 42 العدد 11517

Sunday 03/11/2019

42nd Year, Issue 11517

الاعتراف: هادي العامري يرى فشلا في كل منظومة الحكم في العراق

الحلبوسي السني يبحث عن مخرج لأزمة المرجعية الشيعية

بغداد - فشلت كل مناورات الطبقة السياسية في امتصاص الانتفاضة الواسعة للعراقيين، وهو ما دفع بهادي العامري، زعيم ائتلاف الفتح، التكتل البرلماني الذي يقف وراء حكومة عادل عبدالمهدي، إلى الاعتراف بالعجز والفشل، والدعوة إلى تغيير منظومة الحكم.

يأتي هذا في وقت فشلت فيه إيران والمرجعية الدينية في إنقاذ العملية السياسية المتهاوية في مواجهة موجة شعبية واسعة لم تعد تخضع لأي ضغوط دينية أو طائفية أو سياسية. واعتبر هادي العامري أن النظام البرلماني فشل، مشيرا إلى ضرورة إعادة صياغة العملية السياسية لنزع فتيل أزمة الاحتجاجات.

وقال العامري إن حل أزمة الاحتجاجات الحالية يكمن في "ضرورة إعادة صياغة العملية السياسية من جديد، تحت سقف الدستور، ومن خلال إجراء تعديلات دستورية جوهرية".

وأضاف أن "النظام البرلماني ثبت فشله ولم يعد يجدي نفعا، ولذلك لا بد من تعديله إلى نظام آخر يناسب وضعنا". وأشار العامري إلى أن "الحكومات المحلية (مجالس المحافظات والمحافظين) هي الأخرى ثبت فشلها أيضا، ولا بد من إلغاء مجالس المحافظات وأن يكون انتخاب المحافظ مباشرة من قبل الشعب".

ويعتقد مراقبون عراقيون أن هذا الاعتراف يعكس غياب الحلول والعجز عن إدارة شارع غاضب كانت الطبقة السياسية تعتقد بأنها قادرة على ترويضه تحت وقع الشعارات الطائفية والتخويف من الإرهاب أو "المؤامرة الأميركية الإسرائيلية".

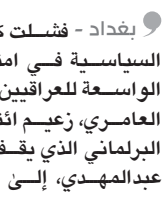

هادي العامري

إلغاء مجالس المحافظات وانتخاب المحافظ مباشرة من الشعب

لكنهم حذروا من أن هذا الاعتراف قد يكون مناورة مرحلية للبحث عن تحميل النظام البرلماني مسؤولية الفشل وليس الأشخاص الذين حكموا، في محاولة لفتح باب جديد للتحايل على الشعب عبر تجربة النظام الرئاسي حتى يستمروا في الحكم لفترة أخرى.

وباتت شخصيات محسوبة على إيران تطالب بالتخلي عن النظام البرلماني واستبداله بالنظام الرئاسي تحت مبرر أعطونا الفرصة لنحكم وحدنا بزعم أن "المحاصصة الحزبية" تعيق تنفيذ المشاريع وتعيق تمرير القوانين والقرارات عبر البرلمان الذي يوجه الحكومة.

لكن أوساطا سياسية عراقية مطلعة تعتقد أن النظام الرئاسي قد يكون حلا إيرانيا لحالة العراق، وأن الأمر لا يتعلق برغبة في تغيير النظام البرلماني، وإلا لما كان الأمر قد طرح الآن مع فقدان السيطرة على الاحتجاجات، وهو ما يشير إلى أن هذا الطرح جزء من مناورة.

وحذرت هذه الأوساط من أن إيران، مثل كل أزمة، تسعى إلى تحويلها إلى فرصة وبدلا من تغيير النظام السياسي، تسعى لاستبداله بما يعزز مركزية الحكم، أي إعادة السيطرة بشكل مغاير وتجديد أدوات النفوذ.

وكان رئيس ائتلاف دولة القانون نوري المالكي قد أقر، مع صعود الاحتجاجات، بأن "النظام الرئاسي هو الأصلح في العراق"، وذلك تعليقا على شعار إسقاط النظام السياسي، الذي ينادي به المحتجون.

ولا يتحدث المالكي بمفرده عن أهمية النظام الرئاسي للعراق، إذ يلقى عونا كبيرا من قيس الخزعلي، زعيم حركة عصائب أهل الحق، الذي يعتقد بأن مركزة السلطات في يد رئيس الجمهورية، ستريح النخبة الشيعية من القلق الذي يسببه السنة والأكراد.

ويعتقد محللون بأن سعي حلفاء إيران إلى تغيير شكل النظام السياسي وتحويله إلى رئاسي، هدفه السيطرة على الحكم، ومنع الأكراد والسنة من الاشتراك معهم في تقاسم الحصص. لكن ذلك يبدو مستبعدا في ظل الضغوط الشعبية ومخاطر أن يتحول العراق إلى ساحة صراع طائفي.

وكانت الأحزاب الحليفة لإيران قد خسرت ورقة كانت تناور بها لامتصاص غضب المحتجين، وهي ورقة المرجعية الدينية التي وجدت نفسها بلا مصداقية بعد سقوط كل وعودها.

ولم تعد توجيهات رجل الدين علي السيستاني تحوز على الأهمية التي كانت لها في سنوات سابقة، خاصة أن هدفها الرئيسي كان الحفاظ على الوضع الحالي وتبني إصلاحات جزئية لتحسين صورة الأحزاب الطائفية التابعة لإيران.

ووجد رئيس مجلس النواب (البرلمان) محمد الحلبوسي (السني) نفسه مجبرا على البحث عن إعادة الاعتبار للمرجعية كونه مستفيدا من نفوذها في رعاية نظام المحاصصة. وتعهد الحلبوسي بالالتزام الكامل "بالخارطة التي وضعتها المرجعية" التي وصفها بـ"الرشيدة"، مع أن العراقيين لم يروا في حديث المرجعية أي خارطة طريق للخروج من الأزمة.

وقال إن البرلمان سيعمل بشكل مكثف ومتواصل من أجل مطالب الشعب، دون ضغط خارجي أو إرادات شخصية أو حزبية.

انتفاضة تضيء مستقبل العراق

الرئيس هادي ينقلب على الخط المناوئ لاتفاق الرياض داخل الحكومة اليمنية

عدن - كشفت مصادر "العرب" عن لقاء عاصف ضم الرئيس اليمني عبدربه منصور هادي ومستشاريه وأبرز قيادات الشرعية، الأسبوع الماضي، وأبلغهم بأن الاتفاق بات أمرا واقعا ولا يمكن التنصل منه وأن عليهم التعامل معه كأمر واقع.

وخفتت أصوات المناوئين للاتفاق في الاجتماع باستثناء نائب رئيس مجلس النواب عبدالعزيز جباري الذي أبدى اعتراضه على بنود الاتفاق. وأشارت المصادر إلى أن الجباري إلى جانب وزير الداخلية أحمد الميسري ووزير النقل صالح الجبواني يمثلون التيار الرافض للاتفاق بعد لقاءاتهم السرية التي عقدوها في العاصمة العمانية مسقط مع ضباط قطريين وعمانيين وقيادات حوثية.

وسيتم الإشهار الرسمي لاتفاق الرياض، الثلاثاء، برعاية العاهل السعودي الملك سلمان بن عبدالعزيز وحضور ولي العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان وولي عهد أبوظبي الشيخ محمد بن زايد آل نهيان والرئيس اليمني عبدربه منصور هادي والمبعوث الأممي مارتن غريفيث وسفراء الدول الـ19 الراعية للسلام في اليمن، ومشاركة قادة في الحكومة والمجلس الانتقالي ومكونات جنوبية أخرى داعمة للاتفاق.

وكتب معمر الإرياني، وزير الإعلام في الحكومة اليمنية، في تغريدة على تويتر، أن مراسم التوقيع الرسمي على اتفاق الرياض ستتم، الثلاثاء، برعاية من العاهل السعودي الملك سلمان وحضور الرئيس اليمني وقيادات الدولة والحكومة والأحزاب والشخصيات السياسية والاجتماعية.

ولفتت المصادر إلى أن الاتفاق تم التوقيع عليه بالفعل من قبل نائب رئيس الوزراء اليمني عبدالله الخنبشي ممثلا عن الشرعية، وناصر الخبجي عضو وفد المجلس الانتقالي الجنوبي المشارك في حوار جدة الذي رعته الحكومة السعودية.

واعتبر أنور قرقاش، وزير الدولة للشؤون الخارجية في الإمارات، أن تحالف الحزم بقيادة السعودية "أثبت حضوره العسكري والسياسي وحافظ على التوازن الاستراتيجي في المنطقة، وأن مراسم توقيع اتفاق الرياض بجهود سعودية استثنائية دليل على حيوية التحالف وقدراته وأهميته".

وأضاف في تغريدة على تويتر بعد الإعلان عن موعد إشهار الاتفاق بين الفرقاء اليمنيين بشكل رسمي أن "تحالف الحزم عمق استراتيجي عربي ضروري في ظروف إقليمية حساسة".

وكان ممثلو الحكومة اليمنية وقياديون في المجلس الانتقالي أجروا محادثات ومناقشات سرية بوساطة من الرياض في مدينة جدة السعودية.

وقالت المصادر إن تيارا قويا داخل الشرعية والجيش الوطني الذي يهيمن عليه حزب الإصلاح، وقف خلف التحركات العسكرية الأخيرة التي استهدفت مديرية أحور بمحافظة أبين وهدفت إلى تفجير الموقف العسكري وإفشال الاتفاق غير أنها تراجعت أمام ضغوط التحالف العربي بقيادة السعودية.

ويعتقد مراقبون أن التحديات التي ستواجه اتفاق الرياض ما زالت في مهدها مع بروز دور التيار الإخواني الرافض للاتفاق ورهانه على إفراغ الاتفاق من محتواه وخلق الأزمات في كل محطة من محطات تنفيذه، مشيرين إلى أن نجاح اتفاق الرياض يستوجب إضعاف هذا التيار ونزع مخالبه.

ووفقا للاتفاق ستعمل لجنة ثلاثية مشكلة من التحالف العربي والحكومة اليمنية والمجلس الانتقالي الجنوبي على إعادة هيكلة مؤسسات الشرعية السياسية والعسكرية.

وهذا الوضع هو الذي يخشى تيار الإخوان من تأثيره على حالة الهيمنة التي فرضها حزب الإصلاح والقيادات المرتبطة بقطر على قرارات الشرعية ووجهتها نحو الصدام مع التحالف العربي والمكونات السياسية الفاعلة في المشهد مثل المجلس الانتقالي والمؤتمر الشعبي العام.

وينص الاتفاق على تشكيل حكومة جديدة من 24 وزيرا بالتوافق بين الأطراف الموقعة على الاتفاق وإعادة هيكلة مؤسسات الجيش والأمن، وتجويد مستوى الحكومة.

وتعيد مضامين الاتفاق التوازن إلى مؤسسات الشرعية وتحدّ من تغول بعض الأطراف، حيث ستخضع القرارات للتوافق ومشاركة كافة المكونات والأطراف الفاعلة في معسكر الشرعية الذي سيتسع لقوى أخرى فاعلة كانت خارج معادلة القرار نتيجة استحواذ حزب الإصلاح على القرار السياسي بمشاركة شخصيات نافذة مقربة من مؤسسة الرئاسة.

السعودية الجديدة تغير برامجها التعليمية للتأكيد على الهوية الوطنية

التركيز على رسم مساحة الخلاف بين الرؤية الدينية للمملكة وأفكار التيارات المتشددة

الرياض - شرعت السعودية مؤخرا في إحداث تغييرات جذرية على المناهج المدرسية، طالت جميع المستويات تقريبا. وتؤكد الكتب المدرسية الجديدة على الالتزام بالتعبير عن الفخر بالانتماء إلى السعودية، ورسم ملامح خلاف بين رؤية المملكة للفكر الديني وبين تصورات التيارات المتشددة.

وركّزت التغييرات في المناهج المدرسية على مادتي "التاريخ" و"الدراسات الاجتماعية والمواطنة"، حيث تشمل المادتان بعض الرؤى الإصلاحية التي تدعمها القيادة السعودية الجديدة.

كما ركزت على تأكيد مفهوم الدولة وخصوصيات الهوية المحلية وكسر الصورة القديمة التي تنظر إلى تمثل الإسلام من بوابة الخلافة فقط.

ويسلط المنهج الجديد الضوء على خصال المواطن السعودي الصالح ومسؤوليته تجاه الدولة. وفي مادة "الدراسات الاجتماعية والمواطنة"، توصف المواطنة بـ"الانتماء إلى دولة ودعم قيمها ومبادئها والتمتع بالحقوق والالتزام بالواجبات والولاء للقيادة والأمة لتعزيز الأمن والازدهار".

ويتعرف التلاميذ على واجبات المواطن السعودي خلال الصف الرابع، حيث يتعلمون التمييز بين المصادر الأولية والثانوية لحمايتهم من الوقوع ضحايا لتداول الأخبار المزيفة أو غير الدقيقة، في مسعى لمحاصرة التأثيرات السلبية التي يتم تسريبها عبر مواقع التواصل، والتي تشتغل عليها حركات متشددة مثل جماعة الإخوان وداعش والقاعدة، وهي المنظمات التي صنفتها السعودية كجماعات إرهابية.

واستمرت الكتب المدرسية الدينية كما هي عليه، رغم التغييرات التي أدخلت على المناهج الدراسية، إذ تبقى الهوية الدينية وصورة المملكة باعتبارها "مهد الإسلام" على حالهما، وهو ما ذكر في الصفحات الأولى من الكتب الجديدة.

ومن الواضح أن هذه الخطوة محسوبة حتى لا تعطي مبررا للمتشددين الذين ما زال لهم نفوذ في مواقع مختلفة بالمملكة ليهاجموا الإصلاحات التي بدأت تأخذ طريقها للتنفيذ.

ويشير انتقاد الكتب المدرسية عادة إلى المحتوى الديني القديم الذي يتعارض مع نمط الحياة السعودي الجديد ومشروع التحول في المملكة.

وأعطى اهتمام الحكومة المتزايد بتأثير الإخوان المسلمين على نظام التعليم داخل الدولة المزيد من الحوافز لإدخال التعديلات على الكتب المدرسية وتحديثها وفق رؤيتها الجديدة.

ونتيجة لذلك، تبرز الكتب الجديدة الموقف السياسي الحالي للمملكة من خلال التأكيد على دورها المركزي وانتقادها الصريح لخصومها، في سياق مواجهة الحركات السياسية والدينية العابرة للدول مثل داعش والقاعدة والإخوان.

وتشرح مناهج المدارس الثانوية مكافحة الإرهاب والمسؤوليات الإقليمية للبلاد بالتفصيل. وتشمل الكتب تحليلا مكثفا لجهود المملكة في تأسيس التحالف الإسلامي العسكري لمحاربة الإرهاب الذي أعلن عنه في ديسمبر 2015، وتأسيس المركز العالمي لمكافحة التطرف (اعتدال) الذي أعلن عنه في مايو 2017 في الرياض، ودشنه العاهل السعودي الملك سلمان بن عبدالعزيز بحضور الرئيس الأميركي دونالد ترامب وعدد من القادة العرب والمسلمين.

لكن عدم إدراج الكتب المدرسية الدينية في التغييرات الأخيرة قد يدفع الإصلاحات الاجتماعية الحالية إلى توليد التناقضات أمام الشباب الذين وجدوا أنفسهم بين التعاليم الدينية القديمة والجو الاجتماعي الأكثر حداثة.

وحرصت التغييرات الجديدة على إظهار مقارنات بين الماضي والحاضر في تمثل المسألة الدينية. على سبيل المثال، يقارن التلاميذ بين الخوارج (مجموعة ثارت ضد الخليفة علي بن أبي طالب) بما يوصف بـ"الخوارج في العصر الحديث" الذين يروجون للاضطرابات والفوضى والتمرّد على الحكام.

خطاب اللغة الخشبية... وخطاب التمنيات

خيرالله خيرالله

ص4

ليبيا 1 دينار – السعودية 2 ريال – مصر 3 جنيه مصري – موريتانيا 120 أوقية – تونس 900 مليم – المغرب 3 دراهم – الجزائر 7 دينار – البحرين 200 فلس – اليمن 50 ريالا – الكويت 150 فلسا – الإمارات 2 درهم – عمان 200 بيزا – قطر 2 ريال – العراق 2000 دينار – الأردن 500 فلس – سوريا 150 ليرة – السودان 50 دينارا

AUSTRIA 2 € - BELGIUM 2 € - CYPRUS 2 € - FRANCE 2 € - GERMANY 2 € - GREECE 2 € - ITALY 2 € - TURKEY 2.350.000 TL (YTL2.35) - MALTA 2 € - NETHERLANDS 2 € - SPAIN 2 € - SWEDEN 13 KR - SWITZERLAND 3SF - USA $ 1 - UK £ 1

العرب
الأحد 2019/11/03
السنة 42 العدد 11517

مسارات متوازية للحكومة المصرية استعدادا لمراجعة ملف حقوق الإنسان

القاهرة تعوّل على تقييم إيجابي من الاتحاد الأوروبي

تعول القاهرة على تقييم إيجابي من دول الاتحاد الأوروبي في ما يخص تناولها وتعاملها مع ملف حقوق الإنسان، بعد أن تجاوبت مع أغلب التوصيات التي تلقتها خلال المراجعة الدورية السابقة في العام 2014 والخاص بحالة حقوق الإنسان في العالم، وعلى رأسها إقرار قانون جديد ينظم عمل منظمات المجتمع المدني.

أحمد جمال

القاهرة - تتحرك الحكومة المصرية على مسارات متوازية لتحسين سجلها في مجال حقوق الإنسان الذي تعرض لانتقادات حادة من بعض المنظمات الدولية، قبل انطلاق أعمال الدورة الـ24 للمراجعة الدورية الشاملة لحالة حقوق الإنسان، في 13 نوفمبر الجاري بجنيف.

وركزت القاهرة على التحركات الدبلوماسية كحاضنة سياسية داعمة لها، إلى جانب خطوات داخلية أدت إلى إعادة تفعيل دور المجلس القومي لحقوق الإنسان (استشاري حكومي).

وعقد أحمد إيهاب جمال، مساعد وزير الخارجية لحقوق الإنسان والمسائل الاجتماعية والدولية، لقاءات مع سفراء الدول الغربية بالقاهرة اختتمها الخميس، وقدم فيها شرحا لمحاور التقرير الدوري الشامل الذي تتقدم به مصر إلى مجلس حقوق الإنسان.

وقال أيمن نصري، رئيس المنتدى العربي الأوروبي للحوار وحقوق الإنسان بجنيف (حقوقي)، إن الحكومة المصرية تعوّل على تقييم إيجابي من دول الاتحاد الأوروبي الأعضاء بمجلس حقوق الإنسان، بعد تحقيق نجاحات عدة على مستوى مكافحة الهجرة غير الشرعية، وحصولها على إشادات من اليونان وقبرص وإيطاليا وألمانيا وبلجيكا.

وتابع موضحا لـ"العرب"، بأن القاهرة تسعى إلى توظيف علاقاتها السياسية لتفادي قصور عمل المنظمات الحقوقية المحلية، وتراجع دور المجلس القومي لحقوق الإنسان، ومواجهة أي هجوم قطري تركي متوقع خلال المناقشات.

التحديات الأمنية تطغى على اهتمامات الرئيس المصري

أيمن نصري

القاهرة تسعى لتفادي قصور عمل المنظمات الحقوقية المحلية

جورج إسحاق

مطالبات الحقوقيين تتضمن الإفراج عن السجناء السياسيين

رخا أحمد حسن

القاهرة تواجه صعوبات في شرح رؤيتها الخاصة بحقوق الإنسان

وكشفت مصادر لـ"العرب"، أن القاهرة تجاوبت مع 80 بالمئة من إجمالي التوصيات التي تلقتها في المراجعة الدورية السابقة في العام 2014، وعلى رأسها إقرار قانون جديد ينظم عمل منظمات المجتمع المدني، ويهدف إلى تمكينها من التحرك بمرونة حقوقية واسعة. وأضافت المصادر، أنها انضمت إلى العديد من المعاهدات التي تحمي حقوق الإنسان، وتعزيز وحماية حقوق المرأة وتمكينها سياسيا، ما انعكس على اختيار 8 وزيرات ضمن الحكومة الحالية، في سابقة هي الأولى من نوعها.

وتحدثت غادة والي وزيرة التضامن الاجتماعي الجمعة، أمام مجموعة من العاملين في عدد من المؤسسات الأميركية ومسؤولي هيئة المعونة الأميركية، عن التسهيلات التي قدّمت للمنظمات الأجنبية والمحلية لممارسة عملها، في خطوة استهدفت استمرار تدفق المساعدات الاقتصادية والعسكرية سنويا لمصر، وتربطها بعض الدوائر في واشنطن أحيانا بملف حقوق الإنسان.

وتكمن أهمية زيارة والي في أن قانون الجمعيات الأهلية، حين تم إقراره منذ عامين، كان سببا مباشرا في وقف صرف 195 مليون دولار من المساعدات السنوية، قبل أن تعلن الولايات المتحدة الإفراج عنها في يوليو من العام الماضي، عقب وعد القاهرة بتعديل القانون وتحسين حال الحريات في البلاد.

ويبرهن النشاط الدبلوماسي على أن مصر لا تكتفي فقط بالتحركات الداخلية، إنما تدرك أيضا أهمية أن تحظى بمصداقية دولية قبل الذهاب إلى جينيف، وأضحت أكثر ثقة بكونها حققت إنجازات مهمة تستحق الإشارة إليها، بعد أن ركزت غالبية التقارير الصادرة من هيئات ومنظمات دولية، وآخرها البرلمان الأوروبي، على الجوانب السلبية فقط.

وضاعفت القاهرة من وتيرة تحركها البرلماني للتعامل مع انتقادات البرلمان الأوروبي الذي اتهم الحكومة بـ"الاستخدام المفرط للعنف من قوات الشرطة ضد المتظاهرين".

وعقد علاء عابد، رئيس لجنة حقوق الإنسان في مجلس النواب المصري الجمعة، اجتماعات منفصلة مع كل من، غابرييلا كويفاس بارون رئيسة البرلمان الدولي، وروجي نكود دانغ رئيس البرلمان الأفريقي، على هامش مشاركته في مجلس المستشارين المنعقد بالمغرب.

وتنبهت الحكومة المصرية إلى ضرورة تفعيل علاقاتها الدبلوماسية بعد تيقنها من أن التعامل مع ملف حقوق الإنسان لا يخلو من تدخلات سياسية توجه دفة الموقف الدولي نحو اتخاذ مواقف مؤيدة أو مناهضة، ما يستدعي التنسيق المسبق، بعكس سياسة الصمت التي كانت تنتهجها والاكتفاء بإصدار بيانات نفي وتكذيب وتنديد، ما جعلها تأتي كرد فعل عما يثار ويجري ترويجه بشكل واسع على المستوى الدولي.

وأكد السفير رخا أحمد حسن، عضو المجلس المصري للشؤون الخارجية، أن التعامل الدبلوماسي مع ملف حقوق الإنسان يسوّق للرؤية المصرية، ويوضح الأبعاد القانونية المرتبطة بالتعامل مع الملف، ويشرح طبيعة الأوضاع الأمنية التي تحتم العمل وفقا لقانون الطوارئ، وتقديم رؤية شاملة للنقاط التي استجابت لها الحكومة في آخر مراجعة دورية منذ أربع سنوات.

وأضاف في تصريح لـ"العرب"، أن القاهرة تواجه صعوبات في شرح وجهة نظرها نتيجة عدم إدراك الآخرين لطبيعة الأوضاع الأمنية واختلاف معايير التقييم الغربية بشكل عام، ما أدّى إلى التفكير في التواصل مع السفراء باعتبارهم الأقرب إلى التعرف على حقيقة الأوضاع.

ووظفت القاهرة المنظمات الحقوقية العاملة في الداخل للترويج إلى الملف الحقوقي المصري خارجيا، وانعكس ذلك على جملة من اللقاءات التي عقدها عدد من رؤساء هذه المنظمات مع جهات دولية، بهدف تسويق الملف المصري والتركيز على وجهة النظر التي تتعامل مع ملف حقوق الإنسان برؤية شاملة تتضمن تحسين أوضاع السكن والجهود المبذولة للتعامل مع الطبقات الفقيرة، واستقبال مئات الآلاف من اللاجئين التابعين لأكثر من 60 دولة على مستوى العالم.

وشدد متابعون على أن التحركات المصرية تنبع من إدراك أهمية الحصول على تقييم إيجابي يكون مقدمة لوقف اتهامات المنظمات الدولية التي ترى فيها القاهرة تسييسا مقصودا، وتشكك في تلقيها معلومات مغلوطة من جهات محسوبة على تنظيم الإخوان.

ودخلت اللجنة الوطنية المصرية إلى المراجعة الدورية الشاملة بالأمم المتحدة المكونة من قيادات حكومية لها علاقة بملف حقوق الإنسان وممثلي عدد من منظمات المجتمع المدني، في حالة انعقاد دائم إلى حين موعد سفر وفدها إلى جنيف في 10 نوفمبر المقبل.

وأشار جورج إسحاق، عضو المجلس القومي لحقوق الإنسان، إلى أن اللجنة أرسلت توصيات عدة إلى جهات حكومية لتسريع العمل في جملة من الملفات التي ترتبط بتحسين صورة الدولة في الخارج، على رأسها الإسراع بتعديل قانون الإجراءات الجنائية، ومراجعة تحديث منظومة القوانين العقابية، ووضع اللائحة التنفيذية لقانون العمل الأهلي الجديد، بمشاركة المجتمع المدني، وتفعيل الاستراتيجية الوطنية لمكافحة الهجرة غير الشرعية والاتجار بالبشر.

ولفت لـ"العرب"، إلى أن مطالبات الحقوقيين قبل السفر إلى جنيف تتضمن ضرورة الإفراج عن بعض المسجونين السياسيين، والسماح بالمزيد من زيارات وفود المنظمات الحقوقية للسجون وإفساح المجال أمام توفير أوضاع صحية أفضل للمرضى داخل السجون.

ويوفر إتمام الإجراءات المرتبطة بالإفراج عن بعض المحتجزين ثقلا في أثناء عرض ملف المراجعة الدورية، ويفتح المجال أمام الرد بأسانيد واقعية لما هو متوقع إثارته خلال المناقشات، والتأكيد على أن هناك مرحلة جديدة تشهد انفراجة سياسية وحقوقية.

رموز بوتفليقة يهيمنون على مخارج الاستحقاق الرئاسي القادم

صابر بليدي

الجزائر - كشفت السلطة المستقلة للانتخابات الجزائرية عن لائحة المرشحين المؤهلين لخوض سباق الانتخابات الرئاسية المقرر في الثاني عشر من شهر ديسمبر القادم، بعد استيفائهم للشروط اللازمة في قانون الانتخابات، على أن تمنح مهلة عشرة أيام أمام الرافضين لقرار السلطة للطعن أمام هيئة المجلس الدستوري.

وسيخوض غمار الاستحقاق الرئاسي القادم، خمسة مرشحين استطاعوا تحقيق المعايير المفروضة، وعلى رأسها جمع 50 ألف استمارة موقعة من طرف المواطنين، تتوزع على الأقل في 25 ولاية (محافظة) من مجموعة ولايات البلاد الـ48، بتعداد لا يقل عن 1200 استمارة في كل ولاية.

ويتعلق الأمر بكل من الأمين العام بالنيابة لحزب التجمع الوطني الديمقراطي، والوزير السابق للثقافة عزالدين ميهوبي، ورئيس الحكومة السابق عبدالمجيد تبون، ورئيس حزب جبهة المستقبل بلعيد عبدالعزيز، ورئيس حركة البناء الوطني، ووزير سابق للسياحة عبدالقادر بن قرينة، ورئيس الحكومة السابق ورئيس حزب طلائع الحريات علي بن فليس.

وقدم رئيس السلطة المستقلة للانتخابات محمد شرفي، تفاصيل عن مسار ملف الانتخابات الرئاسية منذ الإعلان عن موعده من طرف السلطة، إلى غاية الإعلان عن اللائحة النهائية للمؤهلين لخوض الاستحقاق، حيث قدمت 143 شخصية رغبتها في الترشح، لم تقدم منها إلا 23 شخصية حزبية ومستقلة ملف الترشح لدى مصالح الهيئة.

وسرد أمام الصحافيين تفاصيل عملية دراسة الملفات والمعايير الواجب توفرها، والإمكانيات البشرية واللوجيستية التي سخرتها الهيئة للقيام بالعملية في أحسن الظروف وفي الآجال المحددة قانونا، ولم يفوت الفرصة لانتقاد من وصفهم بـ"المشككين" في عمل اللجنة، في إشارة إلى المعارضة السياسية والرافضين للاستحقاق الانتخابي.

وتفضي عملية مسح أولية على تشكيلة المتسابقين على كرسي قصر المرادية في الثاني عشر من ديسمبر القادم، إلى أن اللائحة يهيمن عليها رجالات نظام الرئيس السابق عبدالعزيز بوتفليقة، فباستثناء رئيس جبهة المستقبل بلعيد عبدالعزيز، المنشق عن حزب جبهة التحرير الوطني الحاكم عام 2011، والذي لم يشغل أي منصب إلا رئاسته لتنظيم الاتحاد الوطني للطلبة الجزائريين لسنوات طويلة، فإن باقي المرشحين شغلوا مناصب سامية في نظام بوتفليقة.

وإذا كان رئيس حزب طلائع الحريات قد استقال من منصبه عام 2003، بسبب ما قيل حينها "خلافات مع بوتفليقة"، بسبب رغبة الرجل في خوض انتخابات عام 2004 بدعم من طرف بعض جنرالات الجيش آنذاك، فإن باقي المرشحين حافظوا على علاقات ولاء لبوتفليقة إلى غاية اليوم الأخير في منصبه.

وشغل المرشح المستقل عبدالمجيد تبون منصب وزير السكن في نظام بوتفليقة، وظل لسنوات طويلة يمثل الذراع الأساسية في عملية شراء السلم الاجتماعي، على اعتبار أن قيادته لقطاع السكن الذي يمثل أحد القطاعات الحساسة في البلاد، يعتبر إحدى آليات ضمان الولاء الشعبي والاستقرار الاجتماعي.

وعين رئيسا للوزراء في مايو 2017، في أعقاب الانتخابات التشريعية، ولم يعمر في منصبه إلا ثلاثة أشهر، حيث أقيل من منصبه واستخلف بأحمد أويحيى، بسبب خلافات قوية بين أركان النظام حينها، وكرد فعل من لوبيات مالية وسياسية على ما أسماه حينها بـ "برنامج الفصل بين المال والسياسة".

ويعتبر الرجل إلى جانب مرشح التجمع الوطني الديمقراطي عزالدين ميهوبي مرشَحَيْ السلطة بامتياز، على اعتبار الأول من المقربين جدا من الرجل القوي في السلطة الحالية والمؤسسة العسكرية، قائد أركان الجيش الجنرال أحمد قايد صالح، بينما يعد الثاني الموصوف بـ"مثقف النظام"، الذراع الاحتياطية للسلطة، على اعتبار أنه يقود ثاني أكبر الأحزاب في البلاد خلفا للأمين العام السابق ورئيس الحكومة المسجون أحمد أويحيى، بإيعاز مما وصف بـ"جهات فوقية".

> **لائحة المرشحين تؤكد مخاوف المعارضين، على اعتبار أن كل المخارج التي ستسفر عنها الانتخابات ستصب في وعاء تجديد النظام بآليات جديدة**

ويأتي في الصف الثاني باقي المرشحين الذين يجمعون بين الولاء للنظام وبين عدم الخروج عن مقارباته السياسية، كما هو الشأن بالنسبة إلى رئيس حركة البناء الوطني المنبثقة عن التيار الإخواني عبدالقادر بن قرينة، الذي شغل منصب وزير للسياحة في نظام بوتفليقة، ورئيس جبهة المستقبل عبدالعزيز بلعيد، وبدرجة أقل رئيس طلائع الحريات علي بن فليس.

وجاءت تشكيلة المرشحين لخوض الاستحقاق الرئاسي، وفق تسريبات تسللت إلى بعض الدوائر السياسية والإعلامية منذ ليل الجمعة، مما يوحي بأن العملية لم تحظ بالحماية اللازمة، وأن السلطة المستقلة لتنظيم ومراقبة الانتخابات لا تتحكم بالشكل اللازم في البيانات الأساسية لعملها.

وجاءت اللائحة لتؤكد مخاوف المعارضين لإجراء الاستحقاق الرئاسي في الظروف الحالية، على اعتبار أن كل المخارج التي سيسفر عنها الموعد الانتخابي ستصب في وعاء تجديد النظام بوجوه وآليات جديدة، لاسيما وأن كل المرشحين محسوبون على نظام بوتفليقة، وأبرز المحظوظين هم من المقربين من السلطة الحالية.

السلطة تتجاهل لاءات الشارع

مقتل العشرات من الجنود في هجوم على موقع للجيش في مالي

باماكو - قالت حكومة مالي، السبت، إن 53 جنديا على الأقل وأحد المدنيين قتلوا في هجوم شنه متشددون على موقع عسكري في شمال البلاد وهي حصيلة مرشحة للارتفاع.

ويعدّ الهجوم إحدى أعنف الضربات لجيش الدولة التي تقع في غرب أفريقيا في التاريخ الحديث. ولا تزال البلاد تعاني من وطأة هجمات فتاكة نفذها متشددون في أواخر سبتمبر الماضي وأبرزت قدرات الجماعات المسلحة في المنطقة وتطوّر أساليبها.

وقال الجيش المالي في بيان على موقعه السبت، إن الغارة، التي يعتقد أن مسلحين إسلاميين هم الذين نفذوها، وقعت في وقت مبكر من يوم الجمعة في قاعدة بمنطقة أندليماني، في شمال البلاد على الحدود مع النيجر.

بدوره أوضح المتحدث باسم الحكومة يايا سانجاري على تويتر في الساعات الأولى من صباح السبت "عثرت التعزيزات التي تم إرسالها، على 54 جثة، بينها جثة لمدني، وعشرة ناجين كما اكتشفت وجود أضرار مادية جسيمة. والآن الوضع تحت السيطرة".

ودعت الحكومة المالية مواطنيها إلى العمل على تحقيق الوحدة والتعاون على خلفية الهجوم.

وكانت السلطات قد أعلنت في بادئ الأمر عن الهجوم، الجمعة، وقالت إنه استهدف موقعا للجيش في منطقة ميناكا، لكنها أوردت حصيلة أقل لعدد القتلى.

وتمكنت جماعات ترتبط بتنظيمي الدولة الإسلامية والقاعدة من شن هجمات في أنحاء منطقة الساحل الأفريقي من معقلها في مالي، ما أدى إلى زعزعة استقرار أجزاء من النيجر وبوركينا فاسو.

وقُتل 38 جنديا ماليا خلال هجمات منسقة في 30 سبتمبر الماضي، على قاعدتين للجيش في وسط مالي الذي خرج عن سيطرة الحكومة على الرغم من وجود قوات فرنسية وقوات دولية أخرى.

وتعرضت منطقة وسط وشمال مالي لأعمال عنف متكررة وهجمات في أعقاب انقلاب عسكري وقع في عام 2012، والذي شهد سيطرة جماعات متمردة انفصالية، وفي وقت لاحق مسلحين مرتبطين بتنظيم القاعدة على المنطقة.

وساعدت العمليات التي قامت بها قوات عسكرية فرنسية وأفريقية فضلا عن جهود جيش مالي في طرد المسلحين واستعادة سيطرة الحكومة على المنطقة، إلا أن أنشطة المتمردين والعمليات العسكرية مستمرة في المنطقة، على الرغم من التوقيع على عدة اتفاقيات سلام.

العرب
الأحد 2019/11/03
السنة 42 العدد 11517

بعد ورقة اللاجئين.. تركيا تبتز أوروبا بمساجين داعش

أنقرة توظف التوتر الأمني في الشمال السوري لتحقيق أجندتها

تنظر أنقرة إلى ملف سجناء الدولة الإسلامية على اعتبار أنه ورقة رابحة جديدة يمكن أن توظفها في إطار محاولاتها المتواترة لابتزاز العالم من أجل القبول بأجنداتها أو عملياتها أو من أجل جمع الأموال من الدول المانحة، إذ اعتمدت نفس الأسلوب في السابق عندما سعت إلى توظيف ملف اللاجئين للضغط على الدول الغربية من أجل القبول بتدخلها في سوريا.

الوجود التركي في سوريا غير مقبول

دمشق – أعلنت مصادر طبية عن مقتل وجرح العشرات من المدنيين جراء انفجار سيارة مفخخة في مدينة تل أبيض بريف الرقة الشمالي في سوريا السبت، وتزامن ذلك مع تهديد أنقرة بإعادة سجناء تنظيم الدولة الإسلامية إلى بلدانهم في محاولة للضغط على أوروبا وابتزاز العالم بعد أن كانت قد استعملت سابقا ملف اللاجئين.

وأفاد مصدر طبي في مدينة تل أبيض بسقوط 15 قتيلا أغلبهم من الأطفال، وأكثر من 30 جريحا جراء انفجار سيارة مفخخة في مدينة تل أبيض السبت. وحدث الانفجار في سوق بمدينة تل أبيض الخاضعة لسيطرة القوات التركية.

> هجوم السبت هو الاعتداء الخامس خلال أسبوع حيث انفجرت ثلاث سيارات مفخخة ودراجة نارية في بلدة سُلوك وتل أبيض وحمام التركمان وعين العروس خلفت أربعة قتلى

وقال المصدر، الذي صرح لوكالة الأنباء الألمانية طالبا عدم ذكر اسمه، "قتل 15 شخصا أغلبهم من الأطفال وأصيب أكثر من 30 في انفجار سيارة مفخخة أمام محطة محروقات الغانم وسط مدينة تل أبيض بعد ظهر اليوم (السبت)". وأضاف المصدر "أغلب الجرحى في حالة حرجة وقد تم نقلهم إلى المستشفيات التركية نظرا إلى عدم قدرة مستشفى تل أبيض على تقديم العلاج لهم".

وأكد المصدر أن "السيارة المفخخة محملة بكمية كبيرة من المتفجرات أدت إلى دمار كبير واحتراق عدد كبير من المحال التجارية والسيارات".

واتهم قائد في الجيش الوطني السوري المعارض والمدعوم من تركيا "قوات سوريا الديمقراطية ووحدات حماية الشعب الكردي بالوقوف وراء عملية التفجير".

وقال القائد، الذي طلب عدم ذكر اسمه، "نبحث حاليا في مدينة تل أبيض وباقي المنطقة (ريف الرقة بسوريا) عن السيارات المفخخة التي فخخها عناصر وحدات الحماية الكردية قبل انسحابهم من تل أبيض".

وطالب قائد الجيش التركي بـ"تزويد الجيش الوطني بأجهزة كشف المتفجرات، وقد تمكنا من رصد سيارة مفخخة يوم أمس (الجمعة)، وتم استهدافها وتفجيرها قرب قرية شريعان 10 كم جنوب مدينة تل أبيض".

وشهدت مدينة تل أبيض، الاثنين الماضي، انفجار سيارة مفخخة قرب أحد المخابز.

كما انفجرت العديد من السيارات في ريف الرقة الشمالي الذي أصبح تحت سيطرة الجيش الوطني السوري المعارض والجيش التركي، ويعتبر الانفجار الذي حدث السبت هو التفجير الخامس خلال أسبوع، حيث انفجرت ثلاث سيارات مفخخة ودراجة نارية في بلدة سُلوك وتل أبيض وحمام التركمان وعين العروس، خلفت أربعة قتلى وأكثر من 25 جريحا.

وسيطر الجيش التركي والجيش الوطني السوري المعارض على مناطق ريف الرقة الشمالي بعد إطلاق عملية "نبع السلام" العسكرية في التاسع من الشهر الجاري إثر معارك مع عناصر قوات سوريا الديمقراطية .

كما نسبت وزارة الدفاع التركية "الاعتداء" إلى وحدات حماية الشعب الكردية، قائلة إن 13 مدنيا على الأقل قتلوا فيه فيما أصيب 20 آخرون.

من جهته، أفاد المرصد السوري لحقوق الإنسان بمقتل 14 مدنيا وعنصرا من مقاتلي فصائل المعارضة السورية المدعومة من أنقرة، في الانفجار.

وجاءت العملية العسكرية التركية كرد من أنقرة على عدم إقامة منطقة آمنة في شمال سوريا. وأوضح الرئيس رجب طيب أردوغان أن هدفه هو نقل مليوني لاجئ سوري يقيمون في تركيا إلى "المنطقة الآمنة" المزمع إقامتها.

وبعد محاولات الضغط على الدول الغربية بتوظيف تركيا لملف اللاجئين من أجل تحقيق هدفها بجمع الأموال من الدول الغنية عن طريق تنظيم مؤتمر للدول المانحة تذهب عائداته لتمويل استقبال الفارين من النزاع في سوريا، وتسعى حاليا أنقرة للضغط على أوروبا باستعمال ورقة عناصر داعش المسجونين لديها، من خلال التهديد بإعادتهم إلى بلدانهم الأصلية رغم عدم رغبة هذه الدول وخصوصا الأوروبية في استعادتهم.

وقال وزير الداخلية التركي سليمان صويلو، السبت، إن تركيا ستعيد أعضاء تنظيم الدولة الإسلامية المعتقلين إلى بلادهم في الوقت الذي اشتكى فيه من التقاعس الأوروبي بشأن هذه المسألة.

وقال صويلو عن الموقف الأوروبي الذي جعل تركيا تتعامل بمفردها مع مسألة السجناء "هذا أمر غير مقبول بالنسبة لنا وغير مسؤول أيضا... سنرسل أعضاء داعش المعتقلين إلى بلادهم".

واعتقلت تركيا البعض من أعضاء تنظيم الدولة الإسلامية الفارين في شمال شرق سوريا خلال الشهر الماضي بعد أن بدأت هجوما عسكريا هناك.

وقال وزير الداخلية التركي "لن نبقيهم لدينا إلى الأبد. لسنا فندقا لداعش".

وأفاد صويلو أن تركيا ستبقي مقاتلي التنظيم الذين تم اعتقالهم "لبعض الوقت. بعد ذلك، سنعيدهم إلى بلدانهم".

وأوضح أن بعض دول الاتحاد الأوروبي، ومن بينها هولندا وبريطانيا، جرّدت بعض المقاتلين من جنسياتهم لمنع أنقرة من إعادتهم.

وقال "وجدوا حلا سهلا. يقولون جردناهم من الجنسية.. باتت المشكلة مشكلتكم الآن. هذا أمر غير مقبول في نظرنا وغير مسؤول على الإطلاق. ماذا تريدونني أن أفعل بإرهابييكم؟".

ونفذت تركيا الشهر الماضي عملية في شمال شرق سوريا ضد الفصائل الكردية التي تعتبرها أنقرة "إرهابية" رغم أنها قادت الحرب على تنظيم داعش بدعم من حكومات غربية.

وفي إطار العملية، اعتقلت تركيا عناصر من التنظيم كانوا أسرى لدى الأكراد. ويعتقد أن آخرين فرّوا من السجون في إطار الفوضى التي رافقت العملية.

وكثيرا ما تحض الحكومة التركية الدول الأوروبية على استعادة مواطنيها الذين انضموا إلى تنظيم الدولة الإسلامية، لكن العديد من الحكومات تماطل في هذه المسألة لدواع أمنية وخشية من ردود الفعل الشعبية.

وكان الرئيس التركي رجب طيب أردوغان قد استعمل ورقة اللاجئين في السابق في إطار جهوده لإجبار الدول الغربية على القبول بتدخلها في سوريا، إذ هدد بفتح الحدود التركية أمام مئات الآلاف من اللاجئين السوريين للمرور إلى أوروبا.

الهوة بين الشعب والحكومة قادت العراق إلى طريق الاحتجاج

القاهرة – قال الكاتب والمؤرخ العراقي توفيق التميمي إن العراق فقد الكثير من الوثائق والمخطوطات والآثار التي كانت مصدرا لتوثيق ذاكرة البلد، والحفاظ عليها من التلف والنسيان، مشيرا إلى أن الهوة كبيرة بين الحكومة والشعب العراقي والتظاهرات الحالية عفوية في انطلاقتها واحتجاجاتها ومطالبها.

وأشار التميمي، في مقابلة مع وكالة الأنباء الألمانية خلال زيارة لمصر، إلى أن التاريخ لا يكتب بالمذكرات الشخصية والشهادات الشفاهية، وإنما انطلاقا من المخطوطات الموروثة والوثائق الصحيحة والآثار العمرانية والمكانية.

ولفت إلى أن الحاجة باتت ماسة لحماية الذاكرة العراقية من ضعف الوعي العام لدى الشعب العراقي بالاهتمام بذاكرته التاريخية والشعبية والحفاظ عليها، عبر مؤسسات حكومية تحفظ للذاكرة العراقية مكانتها، وهيبتها وحقيقتها بلا تشويه، كي تقدم ناصعة للأجيال القادمة، مؤكدا على أن وجود أي شعب أو وطن بلا ذاكرة يعني أنه سيظل وطنا أو شعبا بلا هوية.

وحول جهود الحفاظ على الذاكرة الجمعية العربية، قال التميمي إن تلك الجهود تتفاوت وتتباين من بلد إلى آخر، مشيرا إلى أن مصر تحتل المركز الأول بين البلدان العربية في الحفاظ على ذاكرتها التاريخية والشعبية.

وأضاف أن المصريين نجحوا في الحفاظ على ذاكرتهم الموروثة في مختلف العصور، واحتفظوا بالمعالم والآثار التي تركها كل الغزاة، ولم يقوموا بمحوها، وحافظوا عليها كذاكرة لهم حيث ذهب الغزاة وبقيت تلك المعالم والآثار للمصريين، وأن شارع القاهرة الفاطمية ربما يظل شاهدا بكل آثاره ومعالمه ورسومه على ثلاثة عصور كانت متصارعة على أرض مصر.

التميمي، الذي جعل من الحفاظ على الذاكرة العراقية مشروعا ثقافيا خاصا له، قال إن لبنان من البلدان الأكثر تطورا والأكثر استخداما للتقنيات الحديثة في الحفاظ على الذاكرة الشعبية والتاريخية للبنانيين.

وقال إن العمل التأسيسي للذاكرة العراقية يظل حقلا شاغرا، وقد كانت هناك محاولات فردية من قبل رواد الثقافة العراقية قصد التأسيس للذاكرة العراقية قبيل عقود، ومن بين هؤلاء المؤرخ العراقي اليهودي مير بصري الذي كان من أبرز من وضع أسس توثيق الذاكرة العراقية.

ويعتبر التميمي، من خلال ما اطّلع عليه من وثائق ومخطوطات وصحف عراقية إلى جانب مخطوطات الحكومة العراقية، أن فترة العهد الملكي التي دامت 38 عاما، هي من أزهى الفترات في تاريخ العراق المعاصر، وأكثرها ثراء وخصبا.

وأشار إلى أن تلك الفترة شهدت ازدهار الحياة الاجتماعية والثقافية بالعراق، ففي بغداد وحدها كان يوجد 169 دار عرض سينمائي، وفي شارع الرشيد كان هناك 61 مكتبا للخطاطين الذين كان على رأسهم هاشم الخطاط الذي يعتبر شيخا لخطاطي العالم. وأفاد التميمي بأن الصحف والمجلات تعددت والبعثات التعليمية الخارجية انتعشت في ذلك العهد، وظهرت رموز النهضة العراقية الحديثة في الأدب والمسرح وكل فروع الثقافة والفنون، مثل رائد المسرح العراقي حقي الشبلي ورائد علم الاجتماع العربي الدكتور علي الوردي، والعلامة مصطفى جواد المتخصص في التاريخ واللغة العربية وعلومها، والمؤرخ جواد علي.

وأكد التميمي على أن المثقفين العراقيين يعملون اليوم على ترميم الذاكرة العراقية وأحداثها، وتحريرها من التشوهات الأيديولوجية الحاكمة والمحكومة، وجمع شتات ما تبقى من المخطوطات والصحف القديمة وذلك من أجل وضع تاريخ عراقي غير مزور.

وقال التميمي إنه بعد سقوط حكم صدام حسين استبشر العراقيون خيرا بدخول العراق إلى عصر جديد يشهدون فيه حكما ديمقراطيا وتداولا سلميا للسلطة، ولكن بعد مجيء الحاكم الأميركي برايمر فوجئ شعب العراق بأن التغيير لا يلبي طموحاتهم، وأن الديمقراطية التي حلموا بها "نزلت من المظلات الأميركية على أرض هشة فأنتجت حكما مشوّها".

ولفت إلى أنه بذلك كانت أخطاء التأسيس الأولى لعملية التغيير على يد الأميركيين، كارثية، دفع ثمنها الشعب العراقي بعموم طبقاته الصغيرة والمتوسطة، موضحا أن الهوة أصبحت كبيرة بين الشعب العراقي والحكومات المتعاقبة بالبلاد.

وقال "ربما ازدادت تلك الهوة اتساعا بين الشعب والحكومة الحالية، ولم يبق أمام الشعب العراقي والنخب الثقافية إلا طريق الاحتجاج السلمي والتظاهرات الغاضبة، وهذه التظاهرات التي تجري بالعراق اليوم هي تظاهرات مختلفة ومتطورة نوعيا عن التظاهرات التي سبقتها، لأنها مظاهرات شباب حرموا من حقوقهم في الوظيفة والحرية والتعبير عن أفكاره".

> شعب العراق فوجئ بأن التغيير لا يلبي طموحاتهم وأن الديمقراطية التي حلموا بها نزلت من المظلات الأميركية على أرض هشة فأنتجت حكما مشوها

وأشار إلى أن تلك التظاهرات كانت عفوية في انطلاقتها واحتجاجاتها ومطالبها، وأنه بالرغم ممّا تواجه به التظاهرات من عنف مفرط من قبل الحكومة وأنصارها، وبالرغم من سقوط "شهداء" ومصابين كل يوم، فإن الشعب العراقي لن يكف عن المطالبة بحقوقه حتى تحقيقها كاملة.

والكاتب والمؤرخ العراقي توفيق التميمي مشغول بتوثيق الذاكرة العراقية عبر الكتب والبرامج الوثائقية التلفزيونية، وقد أصدر 10 مؤلفات تتناول أهم محطات الذاكرة العراقية خلال الفترة من 1921 وهو تاريخ تأسيس الدولة العراقية في عهد الملك فيصل وحتى نهاية العهد الجمهوري الثاني وحكم الرئيس العراقي الراحل صدام حسين، وهو يمارس الكتابة في عدد من الصحف والدوريات العراقية والعربية، إلى جانب تقديمه للبرنامج الوثائقي "سيرة في الميزان" على شاشة إحدى الفضائيات العراقية.

السير نحو الديمقراطية المنشودة

غارات إسرائيلية على غزة ردا على هجوم حماس

غزة – شنّت إسرائيل ليل الجمعة السبت سلسلة غارات استهدفت العشرات من المواقع التابعة لحماس ومجموعات متحالفة معها حسب مصدر أمني فلسطيني، ردا على إطلاق صواريخ على أراضيها، ما أسفر عن مقتل فلسطيني.

وجاء إطلاق الصواريخ والغارات غداة صدامات في إطار تظاهرات "مسيرات العودة" قرب حدود قطاع غزة مع إسرائيل، أسفرت عن جرح أكثر من تسعين فلسطينيا، حسب وزارة الصحة التابعة لحماس في القطاع.

وكان الجيش الإسرائيلي أعلن إطلاق ما لا يقل عن عشرة صواريخ من غزة على جنوب إسرائيل، موضحا أن منظومة "القبة الحديد" اعترضت ثمانية منها.

ومع ذلك، قالت الشرطة الإسرائيليّة في بيان إن صواريخ سقطت في سديروت المتاخمة لقطاع غزة، أصاب أحدها منزلا، ما تسبب في أضرار ولم يؤد إلى سقوط جرحى. وهي الليلة الثانية على التوالي التي تُطلق فيها صواريخ من القطاع على الأراضي الإسرائيليّة، بعد تهدئة استمرت نحو ستة أسابيع.

وردا على إطلاق هذه الصواريخ، قصف الطيران الحربي الإسرائيلي "أهدافا إرهابيّة عدّة لحماس في أنحاء قطاع غزّة" الذي تسيطر عليه الحركة ويعيش فيه نحو مليوني فلسطيني تحت الحصار الإسرائيلي. وسمع شهود عيان في المكان دوي الانفجارات الناجمة عن القصف من شمال القطاع إلى جنوبه.

وأعلنت وزارة الصحّة التابعة لحماس في غزة مقتل فلسطيني السبت بغارة جوّية إسرائيليّة على غزة.

العرب
الأحد 2019/11/03
السنة 42 العدد 11517

خطاب اللغة الخشبية... وخطاب التمنيات

خطابات فارغة

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

لم يكن خطاب رئيس الجمهورية اللبنانية ميشال عون، بمناسبة مرور ثلاث سنوات من عمر عهده، سيئا. اتسم الخطاب في جانب منه بالموضوعية والواقعية، خصوصا عندما دعا إلى حكومة جديدة تضمّ وزراء ووزيرات من ذوي "الخبرة والكفاءات وليس وفق الولاءات السياسية".

يظلّ الكلام الجميل مجرّد كلام... في غياب ترجمة لهذا الكلام الذي يستهدف نفي ما يقوله كثيرون عن أن هناك عالما خاصا لا علاقة له بالواقع يعيش فيه رئيس الجمهورية. عكس الخطاب وجود صحوة تسببت بها ثورة شعبية حقيقية للشعب اللبناني الذي رفض استمرار الرضوخ لواقع يتمثّل في أن البلد يحكمه فعلا "المرشد" المحلي أي حسن نصرالله الأمين العام لـ"حزب الله" باسم إيران. ثار اللبنانيون على عهد "حزب الله" الذي يتمثّل في اختيار حسن نصرالله من يكون رئيس جمهورية لبنان؛ ثاروا على الطريقة التي تتشكل بها حكومة لبنان. تساءلوا عن موقع لبنان في المعادلة الإقليمية؛ هل هو بلد حر مستقلّ يبحث عن مصالحه أم هو تابع لإيران لا أكثر؟

أساس الأزمة الاقتصادية العميقة، التي بدأت تنعكس سلبا على كلّ عائلة لبنانية، وجود دويلة «حزب الله» التي تسيطر على الدولة اللبنانية ومؤسساتها. كلّ كلام خارج هذا الكلام يستهدف التغطية على الجريمة المستمرّة بحق لبنان

بالطبع، كانت المطالب الحياتية في طليعة ما أثاره الذين نزلوا إلى الشارع بعدما اكتشفوا أنهم في بلد يموت فيه الناس على أبواب المستشفيات وأنّ لا وظائف لخريجي الجامعات ولا كهرباء ولا ماء ولا طرقات ولا بيئة تصلح لعيش المواطن. هناك بلد ينخره الفساد على كلّ المستويات. لكنّ أهمّ ما قام به الناس العاديون يتمثّل في الذهاب إلى أبعد بكثير من الشعارات الفارغة عن طريق تسمية الأشياء بأسمائها. بالنسبة إلى المواطن العادي لم تعد هناك استثناءات. هذا المواطن يعرف أنّ "حزب الله" مسؤول مثل غيره، بل أكثر من غيره عن الفساد؛ بل هو يغطّي الفساد والفاسدين.

لعلّ نقطة الضعف الأساسية في خطاب رئيس الجمهورية تفاديه الكلام عن الدويلة التي داخل الدولة اللبنانية. هذا يعني بكلّ بساطة أن لا مجال لأي إصلاحات من أي نوع ولأي حكومة تعيد ثقة العالمين العربي والغربي بقدرة لبنان على القيام بالمطلوب منه.

من المهمّ ملاحظة أن الردّ الأول على رئيس الجمهورية جاء من حسن نصرالله الذي يعيش بدوره في عالم مختلف هو العالم الإيراني. أكد الأمين العام لـ"حزب الله" في خطاب ألقاه، بعد أقل من أربع وعشرين ساعة على خطاب رئيس الجمهورية، أن لا عودة عن الدويلة التي أقامتها إيران في لبنان تحت تسمية "المقاومة" وشعارات أخرى واهية تصبّ كلّها في التحكّم بالوضع اللبناني وإلحاق الجمهورية اللبنانية المستقلّة منذ العام 1943 بـ"الجمهورية الإسلامية" في إيران؛ التي تأسست في العام 1979.

مثل هذا الإلحاق للبنان بإيران هو المعنى الوحيد لخطاب حسن نصرالله. في هذا الإلحاق تكمن المشكلة الحقيقية للبنان ولبّ الأزمة اللبنانية التي عبّر عنها نزول كلّ هذا العدد من المواطنين إلى الشارع رفضا لاستمرار الأمر الواقع. هذا الأمر الواقع الذي يفرضه "حزب الله" بسلاحه على اللبنانيين الآخرين. في أساس الأزمة الاقتصادية العميقة، التي بدأت تنعكس سلبا على كلّ عائلة لبنانية، وجود دويلة "حزب الله" التي تسيطر على الدولة اللبنانية ومؤسساتها. كلّ كلام خارج هذا الكلام يستهدف التغطية على الجريمة المستمرّة بحق لبنان. من حسن الحظّ أن جميع اللبنانيين، بمن في ذلك الشيعة، بدأوا يستوعبون ذلك. فإذا كانت هناك عقوبات أو قيود على المصارف اللبنانية وعلى حسابات اللبنانيين، فإن سبب ذلك إيران وأدوات إيران. هل بقي لدى لبنان غير نظامه المصرفي يدافع به عن اقتصاده في هذه الأيام بالذات؟

في نهاية المطاف، ما لا مفرّ من ملاحظته أن الوضع على الأرض تجاوز خطابي رئيس الجمهورية والأمين العام لـ"حزب الله". هناك رفض منهما لأخذ العلم بما حصل في لبنان ابتداء من يوم 17 تشرين الأول – أكتوبر 2019.

هناك مريض اسمه لبنان. عمر المرض اللبناني نصف قرن بالتمام والكمال. في تشرين الثاني – نوفمبر 1969، أجبر لبنان على توقيع اتفاق القاهرة. وقع الاتفاق قائد الجيش اللبناني أميل البستاني، الطامح إلى أن يصبح رئيسا للجمهورية بأيّ ثمن، مع ياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية برعاية الرئيس المصري وقتذاك، جمال عبدالناصر.

لا يزال لبنان يدفع إلى اليوم ثمن توقيع اتفاق القاهرة الذي أجبرته عليه المزايدات بين زعماء المسلمين، السنّة منهم خصوصا، من جهة، وفي ظلّ ضعف أي زعيم ماروني أمام موقع رئاسة الجمهورية من جهة أخرى. حقّق المسلّحون الفلسطينيون الذين تدفقوا على لبنان كلّ الانتصارات التي يريدون تحقيقها. كانت انتصاراتهم على لبنان وليس على إسرائيل. ما يفعله "حزب الله" حاليا، ومن خلفه إيران، هو تحقيق مزيد من الانتصارات على لبنان.

يبقى ملفتا كيف يعيد التاريخ نفسه. كيف اعتبرت المنظمات الفلسطينية أنّها حققت انتصارات على إسرائيل، فيما كانت للأسف الشديد تدمّر مؤسسات الدولة اللبنانية بما كان يصبّ في مصلحة النظام السوري. لم يكن لهذا النظام في سبعينات القرن الماضي وثمانيناته وتسعيناته من هدف سوى وضع اليد على لبنان بحجة أنّه الوحيد القادر على تشكيل قوة فصل بين اللبنانيين والفلسطينيين وبين اللبنانيين المتصارعين أنفسهم.

يعيد التاريخ نفسه في 2019 مع حلول ميليشيا "حزب الله"، التي ليست سوى لواء في "الحرس الثوري" الإيراني عناصره لبنانية. هناك كلام كثير عن انتصارات على إسرائيل، فيما الانتصارات الوحيدة على لبنان لمصلحة إيران التي تجمع أوراقا إقليمية في وقت تخوض صراعا مع أميركا.

تكمن مشكلة "حزب الله" في أنّه يرفض الاعتراف بأن اللبنانيين باتوا يعرفون لعبته عن ظهر قلب وأن الشباب الذي نزل إلى الشارع ليس بالسذاجة التي يعتقدها حسن نصرالله. لو لم يكن ذلك صحيحا، لما كانت الثورة الشعبية شملت كلّ لبنان، من العبدة في عكار، مرورا بطرابلس وصولا إلى بيروت والجنوب، أي صيدا وصور والنبطية وكفرمان. من كان يتصوّر يوما أن أهل النبطية سيثورون على "حزب الله" مع أهل صور وكفرمان؟

يبقى الأمين العام لـ"حزب الله" أسير خطابه ولغته الخشبية وأسير سياسة إيرانية لا تخفى على أحد. لا يعرف أنّ طموح كلّ مواطن لبناني شبيه بطموح أي مواطن إيراني. يختزل هذا الطموح الإعجاب بأميركا وليس بأحد آخر غير أميركا. هذا هو الواقع الذي يسعى حسن نصرالله إلى الهرب منه عن طريق الدعوة إلى تشكيل حكومة تقف في وجه أميركا. يحصل ذلك في وقت ليس لدى رئيس الجمهورية ما يعبّر عنه سوى التمنيات بأن يأتي يوم لا يعود فيه العهد الحالي "عهد حزب الله".

احتجاجات العراق ولبنان تهزّ نفوذ إيران

لم يعد هدف الاحتجاجات التي اندلعت متزامنة في العراق ولبنان إسقاط النظام الطائفي في البلدين فحسب، بل وضع حد لنفوذ الميليشيات الشيعية الموالية لطهران التي نشرت الدمار والفساد، في انعطافة باتت تهدد بتحجيم النفوذ الإيراني.

بيروت - هزت الاحتجاجات العابرة للطائفية في كل من لبنان والعراق الأرض تحت أقدام إيران التي راهنت طويلا على وكلائها في المنطقة ومن ضمنهم حزب الله اللبناني والميليشيات الشيعية العراقية، في انعطافة باتت تهدد بتحجيم النفوذ الإيراني، لكنّ طهران قد لا تبقى مكتوفة الأيدي وقد تلجأ إلى تحريك ميليشياتها لإخماد انتفاضة خلت من المعممين ومن صور الزعماء والأحزاب، خشية أن تمتد إلى ساحتها بنفس عابر أيضا للطائفية.

ففي لبنان استقال رئيس الوزراء سعد الحريري وهو ما يضع حزب الله المدعوم من إيران والشريك في الائتلاف الحكومي في مأزق، بينما دفعت الضغوط الشعبية في العراق حكومة رئيس الوزراء عادل عبدالمهدي إلى حافة الانهيار.

وهو ما يعكس تقلص نفوذ إيران في أنحاء مختلفة من الشرق الأوسط، وهي التي عولت منذ فترات طويلة على أذرعها الميليشياوية في المنطقة، منذ شكلت طهران جماعة حزب الله في لبنان عام 1982 ومنذ الإطاحة بصدام حسين في العراق عام 2003.

ويناوئ المحتجون العراقيون واللبنانيون الآن القوى الموالية لطهران التي يحمّلونها مسؤولية الفساد وتردي حالة الخدمات العامة وإهدار الثروات الوطنية التي يستخلصها العراق من النفط ولبنان من الدعم الأجنبي.

في كلا البلدين، حيث هيمنت من قبل أحزاب طائفية على المشهد السياسي، لم يأت معظم المحتجين من حركات منظمة ولم تربطهم بها أي صلة. في كلا البلدين كان المحتجون يطالبون بنوع التغيير الكاسح الذي حملته رياح انتفاضات 2011 في العالم العربي وأسقطت أربعة زعماء لكنها تجاوزت حينها لبنان والعراق.

في لبنان، ثار المتظاهرون في أواخر سبتمبر على الأوضاع الاقتصادية في وقت يكابد فيه بلدهم أزمة مالية طاحنة. وتفجرت مظاهرات على مستوى البلاد بعد ذلك بأسبوعين احتجاجا على خطط حكومية لفرض رسوم جديدة على المكالمات عبر التطبيقات المتداولة على الهواتف المحمولة مثل تطبيق واتساب. وجاءت المظاهرات في وقت أزمة سياسية يراها كثيرون الأسوأ منذ الحرب الأهلية التي عصفت بالبلاد من عام 1975 إلى 1990. واعتبر محللون أن استقالة الحريري ستطيل أمد الشلل السياسي مما يقوض احتمالات تمويلات الدعم المقدمة من حكومات غربية وخليجية.

وحاول في البداية زعيم جماعة حزب الله، حسن نصرالله، استمالة المحتجين مبديا تعاطفه ومرددا لهجة تصالحية تحدث بها الحريري. لكن الدفة تغيرت واتهم قوى أجنبية بإثارة الفتن. ودفع بأشخاص من حزبه ومن حركة أمل الشيعية إلى مهاجمة مخيم احتجاج في بيروت وهدموه.

وأعلن الحريري استقالته بعد ذلك بقليل رغم ضغوط حزب الله، الذي يعتبره الكثيرون أقوى عنصر فاعل بلبنان، كي لا يذعن رئيس الوزراء لضغط الاحتجاجات.

وفي غياب أي بديل واضح للحريري، يجد حزب الله الواقع تحت عقوبات أميركية نفسه أمام معضلة. فرغم أن الجماعة لديها مع حلفائها أغلبية برلمانية، يتعذر عليهم تشكيل حكومة بذاتهم لأنهم سيواجهون حينها عزلة دولية، حسب قول نبيل بومنصف المعلق بصحيفة "النهار" اللبنانية.

واعتبر نديم حوري المدير التنفيذي لمبادرة الإصلاح العربي أن مفهوم الفائز الذي يحصد كل شيء غير قابل للتطبيق بلبنان، مشيرا إلى أن حزب الله ربما أخطأ في حساباته عندما لجأ إلى أسلوب ترهيب المحتجين.

وقال إن هذا يتعارض تماما مع ثوابت السياسة اللبنانية وأن حزب الله سيلجأ حتما إلى الحلول الوسطى.

ذلك أن اتفاق المشاركة في السلطة القائم منذ فترة طويلة في لبنان يجعل من المستحيل على أي جماعة أو طائفة أن تهيمن بمفردها على مؤسسات الدولة. فحزب الله، مع كل عزوته، اختار ثلاثة وزراء فقط في حكومة الحريري السابقة.

أما الاحتجاجات في العراق، فقد خرجت على نطاق لم يحدث منذ الإطاحة بصدام وسط مطالبات عاتية بالتغيير، بلغت معقل الشيعة في الجنوب في مدن كربلاء والنجف. وردت السلطات بحملة عنيفة خلّفت أكثر من 250 قتيلا سقط معظمهم برصاص قناصة كانوا يطلقون النار على الحشود من أسطح البنايات.

قال ريناد منصور محلل الشؤون العراقية في مؤسسة تشاتام هاوس في لندن "مجرد رؤية احتشاد بهذا النطاق يجعل الاحتجاجات أشد خطورة في نظر النخبة السياسية".

وأضاف أن الفصائل المدعومة من إيران في الأساس تعتبر الاحتجاجات الشعبية خطرا يتهدد ذلك النظام السياسي.

وأفلتت حكومة عبدالمهدي من السقوط في الوقت الراهن بعد تدخل إيراني فيما يبدو. وأوردت رويترز تقريرا هذا الأسبوع ذكرت فيه أن قاسم سليماني قائد فيلق القدس بالحرس الثوري الإيراني المسؤول عن رعاية الحلفاء في الخارج زار بغداد وعقد اجتماعا سريا وافقت فيه جماعة شيعية قوية على الإبقاء على رئيس الوزراء في منصبه.

وكان مسؤولون أمنيون عراقيون قد قالوا إن فصائل مرتبطة بإيران هي التي نشرت القناصة الذين أطلقوا النار على الحشود من أسطح المباني الشهر الماضي. وهو ما خلف المئات من القتلى والآلاف من الجرحى، وكشف حقيقة الوجود الإيراني في البلدين.

في العراق، من السابق لأوانه تحديد ذلك. فالولايات المتحدة، خصم إيران الرئيسي، تلزم حتى الآن الصمت إلى حد كبير إزاء الاحتجاجات، ربما انتظارا لرؤية النتيجة.

المحتجون العراقيون واللبنانيون يناوئون القوى الموالية لطهران التي يحمّلونها مسؤولية الفساد وتردي حالة الخدمات العامة وإهدار الثروات الوطنية

وفي لبنان، الذي يلزمه التمويل الخارجي للحفاظ على اقتصاده من الانهيار، استخدم خصوم طهران الدوليون سطوتهم المالية لتحدي نفوذها بقدر أكبر من المباشرة. وأخفق الحريري قبل استقالته في إقناع المانحين الأجانب بتقديم معونات بحجم 11 مليار دولار تعهدوا بها العام الماضي، وذلك لأسباب منها سطوة جماعة حزب الله.

ولطالما قدمت دول عربية خليجية تخوض حروبا بالوكالة مع إيران في مناطق متفرقة من المنطقة تمويلا للبنان، لكن السعودية خفضت دعمها بشدة قبل ثلاث سنوات قائلة إن حزب الله "خطف" الدولة اللبنانية.

ونسقت دول عربية خليجية والولايات المتحدة الخطى في مواجهة أهداف مرتبطة بإيران وفرضت عقوبات على 25 من المؤسسات والبنوك والأفراد على صلة بالدعم الإيراني لشبكات مسلحة تشمل حزب الله.

احتجاجات عابرة للطائفية

العرب
الأحد 2019/11/03
السنة 42 العدد 11517

شرق الفرات: تداخلات عسكرية ومساومات سياسية

رانيا مصطفى

تشهد منطقة شرق الفرات تغيّرات مستمرّة في تموضع القوات العسكرية المختلفة للأطراف الفاعلة على الأرض: أميركا وروسيا وتركيا والجيش الوطني المعارض وجيش النظام وقوات سوريا الديمقراطية، وسط مناوشات عسكرية، خاصة حول بلدة تل تمر الاستراتيجية في ريف الحسكة الشمالي، بالقرب من الحدود السورية الشمالية، الواقعة على مفترق طرق منها طريق الحسكة- رأس العين، والطريق الدولي أم 4 القادم من حلب إلى الحسكة والقامشلي، إضافة إلى عودة القوات الأميركية إلى المنطقة، للتمركز حول حقول النفط في ريفي الحسكة ودير الزور.

التموضعات العسكرية الجديدة تسير بالتوازي مع خطوط المساومات السياسية المختلفة: التنسيق الأميركي- التركي الذي بدأ مع بداية أكتوبر الماضي، والمساومات التركية- الروسية المبنية على مذكرة تفاهم سوتشي في الـ22 من الشهر الماضي، ووساطة روسية بين النظام من جهة، وكل من تركيا وقوات سوريا الديمقراطية، بشكل منفصل. وذلك مع تغير شبه أسبوعي في الاستراتيجية الأميركية تجاه سوريا، وتجاه استمرار دعمها قوات سوريا الديمقراطية، وتأهب عسكري تركي مع عدم ثقة بالطرفين الروسي والأميركي، ومخططات تركية لعودة اللاجئين إلى المنطقة الآمنة، ورغبة روسية في الإمساك بكل الخيوط السورية، واستعجال لاستعادة سيطرة النظام على موارد الطاقة، وسعي النظام لضم الوحدات الكردية إلى جيشه وفق مبدأ المصالحة الذي طبقه مع معارضيه في مناطق التسوية، وتمسك كردي بالإدارة الذاتية لتكون عودتها إلى دائرة النظام وفق تسوية سياسية أممية تحفظ لها خصوصيتها، وخضوع كلي للأجندات التركية من "الجيش الوطني" السوري، المعارض للنظام، فيما لا مكان لإيران وميليشياتها شرق الفرات.

جغرافياً، وحتى الساعة، ارتسمت حدود المنطقة الآمنة، التي اتفق الروس والأميركان على منحها لتركيا، بطول 100 كيلومتر، بين مدينتي تل أبيض ورأس العين، وعمق 30 كيلومتراً من الحدود مع تركيا، أي حتى الطريق الدولي أم 4. وسيرت روسيا دورية جديدة، هي السادسة، مؤلفة من ثلاث آليات عسكرية روسية، وسيارات لقوات الأسايش التابعة للإدارة الذاتية، من مدينة القامشلي، باتجاه مدينة عامودا شمال الحسكة، في إطار الاتفاق الروسي- التركي المبرم في 22 أكتوبر الماضي، والذي كان قد نصّ على أن تقوم الشرطة العسكرية الروسية بإخراج عناصر قوات سوريا الديمقراطية وأسلحتهم حتى 30 كيلومتراً من الحدود التركية، وإخراج عناصر الوحدات الكردية من منبج وتل رفعت في ريف حلب.

> **التموضعات العسكرية الجديدة تسير بالتوازي مع خطوط المساومات السياسية المختلفة؛ التنسيق الأميركي- التركي الذي بدأ مع بداية أكتوبر الماضي، والمساومات التركية- الروسية المبنية على مذكرة تفاهم سوتشي**

تتأهب تركيا والفصائل السورية التابعة لها، بحجة استعدادها للهجوم إذا لم تنسحب الوحدات الكردية من المنطقة الآمنة، لكن المطامح التركية تريد التوسع شرقاً، لتشمل سيطرتها بقية الحدود بطول 440 كيلومترا، فيما المقترح التركي إعادة اللاجئين السوريين إلى المنطقة الآمنة، ما زال يفتقد إلى التأييد والدعم الدوليين.لاقت تبعية الجيش الوطني المعارض لتركيا استهجاناً كبيراً في الوسط السوري المعارض، مع تسليم تركيا 18 أسيرا من قوات النظام إلى روسيا، دون مقابل إخراج معتقلين، أي وفق اتفاق روسي- تركي، في حين أن سكان مناطق المعارضة في إدلب يرون أنه من الأفضل أن يوجه الجيش المعارض قواه لردع النظام عن التقدم شمالاً في ريف حماه وإدلب، وأن يتولى مهمة إنهاء ملف هيئة تحرير الشام والفصائل الجهادية غير السورية، حتى لا تكون ذريعة لروسيا والنظام، وخاصة أن أبوبكر البغدادي، زعيم تنظيم داعش كان مختبئاً في منطقة حدودية مع تركيا ضمن محافظة إدلب، قبل مصرعه بعملية عسكرية أميركية، ما يفتح الباب أمام قوات التحالف أيضاً لاستباحة المنطقة بحجة محاربة الإرهاب.

كان الرئيس الأميركي، دونالد ترامب، قد أعلن في الأسبوع الأول من شهر أكتوبر الماضي، الانسحاب من سوريا؛ وانسحبت قواته من القواعد الأميركية، ثم أعلنت واشنطن مؤخرا إرسال تعزيزات لحماية حقول النفط والغاز. فقد عبر رتل كبير من القوات الأميركية، برفقة عناصر كردية، مدينة تل تمر باتجاه الطريق أم 4، إلى قاعدة صرين قرب عين العرب/ كوباني، التي لا تزال تحت سيطرة الوحدات الكردية، بعد أن دخلتها مؤخراً وحدات من النظام والشرطة العسكرية الروسية.

وكذلك سيرت القوات الأميركية، للمرة الأولى، دورية في المنطقة الممتدة بين الرميلان والقحطانية، شرقي القامشلي، حيث توجد آبار النفط، وحقول البترول في الرميلان هي الأهم في سوريا. ويبدو أن واشنطن قررت البقاء في الجهة الشرقية من الحدود السورية الشمالية، ومنع روسيا وجيش النظام من الانتشار شرق القامشلي.

وأعلنت وزارة الدفاع الأميركية إرسال تعزيزات إلى منطقة دير الزور، للتموضع في محيط حقول النفط والغاز، بحجة منع الإرهاب من الوصول إليها.

طالما أن الإدارة الأميركية لم تحسم أمرها بالانسحاب من شرقي سوريا، وما زالت تقدم الدعم العسكري لحلفائها المحليين على الأرض من قوات سوريا الديمقراطية، فإن الأخيرة ستبقى تراهن على استمرار هذا الدعم، ما يقوي موقفها تجاه رفع سقف شروطها بالانضمام إلى جيش النظام، وتجاه التوجه كلياً إلى الحضن الروسي، خاصة مع بقاء سيطرتها واستفادتها من منابع النفط والغاز في المنطقة، وبحماية أميركية.

وهي تتمسك بمطلب إدارة ذاتية، أو لامركزية موسعة، تشمل استقلالاً اقتصادياً بدرجة معقولة؛ ومع المنع الأميركي من استفادة النظام من منابع الطاقة، يبدو أن أي تقارب مع دمشق مرهون بحل سياسي للمنطقة، توافق عليه واشنطن، وبالتالي هو أيضاً مرتبط بحل شامل للملف السوري، يتوافق عليه الروس والأميركان.

روسيا كانت سعيدة بقرار الانسحاب الأميركي مطلع الشهر الماضي، وبالتنسيق العالي مع واشنطن والسماح لقواتها ولقوات النظام بعبور نهر الفرات شرقاً، بعد أن كان ممنوعاً عليها منذ سنتين. لكنها أصيبت بالخيبة مجدداً مع احتفاظ الولايات المتحدة بالسيطرة على حقول النفط، التي كانت تريد استعادة سيطرة النظام عليها للخروج من أزمة انهياره الاقتصادي، وتمكنه من تسديد الديون الروسية والمضي بمشاريع الاستثمار للعقود الموقعة مع الجانب الروسي.

ورغم التزام موسكو بعدم السماح لطهران وميليشياتها بالاقتراب من مناطق شرق الفرات، لا تزال تواجه التعنت الأميركي تجاه تمرير الحل الروسي لسوريا، المتمثل في الاحتفاظ الأميركي بمنابع الطاقة، ضمن مخطط الحصار الاقتصادي والعقوبات التي تفرضها واشنطن على حكومة النظام.

وبالتالي لا قيمة عملية لما يجري في جنيف بخصوص عقد اللجنة الدستورية، والعمل على كتابة دستور جديد، طالما أن التوافقات الروسية الأميركية، والمساومات على الملفات غير السورية أيضاً، لم تصل إلى درجة حسم الملف السوري سياسيًا وعسكريًا.

التضامن العربي الكردي أساس المشروع الوطني السوري

عبدالباسط سيدا
كاتب سوري

لم يتمكن النظام السوري على مدى عقود من اعتماده سياسة اضطهادية رسمية مبرمجة مزدوجة ضد الأكراد، تمثلت في الحرمان من الحقوق، والتعرض لجملة من المشاريع التمييزية، من إحداث شرخ بين المجتمعين العربي والكردي مثلما هو حاصل في يومنا الراهن. فالسياسة الاضطهادية تلك تبقى في المستوى السلطوي الفوقي، ولا تؤثر في بنية العلاقات العميقة بين الوسطين الكردي والعربي، خاصة في مناطق الجزيرة ودمشق وحلب، حيث الاختلاط السكاني، وتداخل العلاقات على مختلف المستويات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، وحتى على المستوى السياسي عبر الانتماء إلى الأحزاب السياسية ذاتها، لاسيما الحزب الشيوعي، ومن ثم الأحزاب الشيوعية واليسارية بتوجهاتها المختلفة.

هذا رغم أن النظام كان يحاول، بكل السبل، تفتيت النسيج المجتمعي الوطني من أجل التمكن من السيطرة على الجميع. وقد تجسّد توجهه هذا بصورة واضحة في أحداث ملعب القامشلي عام 2004، وتعامله مع الإنتفاضة الكردية التي كانت احتجاجاً على إقدام عناصر النظام على إطلاق الرصاص الحي على المدنيين العزل المتظاهرين بدم بارد.

ومع تصاعد الاحتجاجات والمظاهرات، أعطى النظام الضوء الأخضر لحفنة مرتبطة به أمنيا من أبناء العشائر في المنطقة الذين حطموا المحلات العائدة ملكيتها للأكراد، ونهبوا وسلبوا ممتلكاتها، الأمر أحدث جروحاً في النسيج المجتمعي، ولكن بفضل تدخل وتأثير العقلاء والحكماء من الجانبين، لم تتطور الأمور نحو الأسوأ الذي كان النظام قد خطط له، ويريده.

ومع انطلاقة الثورة السورية شارك الشباب الكردي في مختلف المناطق، خاصة من غير المنتمين إلى الأحزاب السياسية، في الثورة منذ أيامها الأولى؛ وكانت المظاهرات في المناطق الكردية فاعلة، ولافتة للانتباه. ولكن الذي حصل هو أن النظام كان قد تحسّب للأمر، فهو كان يدرك أن تدخله المباشر لقمع المظاهرات في المناطق المعنية سيؤدي إلى تصاعد التفاعل الكردي مع الثورة، وسيعزز تماسك السوريين في مواجهته. هذا إلى جانب الخشية من المواقف الدولية التي كانت ستختلف من دون شك، وكان من الصعب حينئذ بالنسبة إليه أن يمرر استراتيجيته التي كانت تقوم على الربط بين الثورة والإرهاب، ومحاولة تصوير ما يجري في سوريا وكأنه صراع بين التيارات الإسلامية العربية السنية المتشددة، والنظام العلماني "الحامي للأقليات" المذهبية والقومية في سوريا. ولتحاشي كل ذلك، عقد النظام صفقة مع حزب الاتحاد الديمقراطي، الفرع السوري لحزب العمال الكردستاني، من أجل تسليمه المناطق الكردية، ليتمكن من ضبطها، ومنع تفاعلها مع الثورة بكل الوسائل وبأي ثمن؛ وتفاصيل هذا الموضوع قد باتت معروفة من قبل الجميع. ومع ظهور داعش، الذي هو في الأساس كوكتيل مخابراتي أسهمت في صناعته وترويجه أجهزة أمنية متعددة الجنسيات، ومن ضمنها أجهزة النظام نفسها، سعى النظام لخلق حالة من الفوضى العاتية، ووضع العالم أمام خيارين فاسدين: إما النظام بفساده واستبداده أو التطرف الإسلاموي المتشدد الذي يهدد المنطقة، بل والعالم بإرهابه.

وكان من الواضح أن هناك جهات تعمل بمختلف الأشكال من أجل تفجير العلاقات العربية- الكردية، وقد ظهر ذلك واضحا من خلال الهجمات التي قامت بها قوات حزب الاتحاد الديمقراطي على بعض المدن والقرى العربية مثل تل حميس وتل براك دون أسباب مقنعة. كما هاجم بعض المسلحين بلدة تل معروف حيث مقر مشيخة آل الخزنوي، وهاجمت بعض الفصائل التي كانت محسوبة على المعارضة مدينة رأس العين، حيث قامت عناصرها بسرقة الممتلكات العامة والخاصة، وارتكبت جملة من الانتهاكات بحق المواطنين. بعد ذلك كان الهجوم الداعشي المفاجئ على سنجار والمناطق الإيزيدية المحيطة بها، وهو الهجوم الذي أسفر عن مجازر مروعة، وحالات خطف جماعية للأطفال والنساء، ونهب متوحش للممتلكات. وكانت هناك محاولات مشبوهة من قبل الداعمين والمستفيدين للربط بين العرب السنة والتنظيم المذكور؛ الأمر الذي أحدث صدمة عميقة في الوجدان الكردي الشعبي العام، ومنح ذريعة إضافية للكرد المترددين، أولئك الذين كانوا قد اصطفوا بناء على المصالح مع النظام، لتسويغ مواقفهم، بل واتهام الكرد الآخرين الذين كانوا قد التزموا خط الثورة منذ البدايات بأنهم ضد شعبهم، يتحالفون مع الإسلاميين المتشددين، الأمر الذي كان يتطابق حرفياً مع الاستراتيجية التي اعتمدها النظام منذ البداية كما أسلفنا.

ومع الهجوم الداعشي على كوباني ومنطقتها، توفر المزيد من الحجج لأنصار عزل الأكراد عن الثورة السورية، وتعززت جهود أولئك الذين كانوا يخططون، وما زالوا، لإحداث قطيعة مجتمعية بين الكرد والعرب، بل وترسيخ أسباب الكراهية والعداوة بينهم.

وتطورت الأمور، وجاء التدخل الأميركي في سوريا بالتنسيق مع التدخل الروسي، وتم الاعتماد على قوات حزب الاتحاد الديمقراطي في محاربة مشروع داعش، وذلك بعد إخفاق تجربة تدريب فصائل الجيش الحر بسبب إصرار الجانب الأميركي على أن يكون الهدف محاربة داعش من دون النظام.

وكان إقحام القوات المعنية في القتال ضمن المناطق العربية سواء في الرقة أو في دير الزور، وريف الحسكة الجنوبي، من الأسباب التي أدت لاحقاً إلى تصاعد وتيرة خطاب الكراهية بين العرب والكرد؛ خطاب مبني على جرائم خططت لها الأطراف التي كانت، وما زالت، لا تريد الخير للكرد وللعرب، وإنما تريد إشغال الطرفين ببعضهما البعض، لتتمكن من تنفيذ خططها، والوصول إلى أهدافها.

وقد أسهمت انتهاكات عناصر الفصائل العسكرية التي أدخلتها القوات التركية إلى عفرين تحت مسمى الجيش الحر، أو تلك التي رافقت الحملة التركية الأخيرة في منطقتي تل أبيض ورأس العين تحت اسم الجيش الوطني، في تفاقم الأمور بصورة أسوأ، ورسخت حالة من التوتر والتشنج والترقب لدى الأكراد والعرب في الوقت ذاته، وفي مختلف المناطق؛ وكل ذلك لن يكون في مصلحة السوريين، بل سيكون في مصلحة النظام ومصلحة القوى التي تعبث بمصير سوريا والسوريين.

المسؤولية الوطنية تلزم النخب العربية والكردية بالتدخل لمواجهة هذه الوضعية المصطنعة التي فرضت على الجميع بإرادة الآخرين. التزام الصمت في هذه الحالة لا يخدم سوى المتطرفين، سواء في هذا الجانب أو في ذاك، وفي المحصلة النهائية يخدم النظام.

ما نحتاج إليه هو أن نلتزم الصبر والهدوء، ونتناول الموضوع من جوانبه بجرأة وحكمة بعيدة النظر. نبحث بموضوعية عن الأسباب التي أدت إلى ما نحن فيه، ونعمل على تجاوز النتائج السلبية التي لا تخدم قطعا المشروع الوطني السوري الذي ثار الشعب السوري لتحقيقه، هذا المشروع الذي تمكنت القوى المضادة بفعل عوامل عدة لسنا بصدد الإسهاب في شرحها بتفاصيلها هنا، من عرقلته، حينما دفعت بالثورة نحو مسارات لا تتقاطع من بعيد أو من قريب مع تطلعات السوريين، بل تتناقض معها بالمطلق.

وما تشهده عدة دول عربية في أيامنا هذه من تحركات شعبية تطالب بإبعاد الفاسدين عن الحكم ومحاسبتهم، بل تدعو إلى تفكيك الأنظمة الفاسدة المفسدة، واحترام إرادة الشعوب، يؤكد أن التغيير بات خياراً استراتيجيا بالنسبة إلى شعوب المنطقة، وكل الأدوات التي استخدمت، وتستخدم لمنع أنصار التغيير لن تتمكن من منع حصول المنتظر المطلوب. ربما تمكنت من تشكيل عرقلة هنا أوهناك، أو أفلحت أحيانا في تكريس إحباط هنا وهناك، ولكن في نهاية المطاف ستكون الكلمة للشعوب بعد أن تحررت من أوهامها؛ أوهام الأيديولوجيات التي لم تتناسب يوماً مع طبيعة مجتمعاتها وحاجاتها الحقيقية، كما تحررت تلك الشعوب من مخاوفها بعد أن وصل السكين إلى العظم كما يقول المثل، نتيجة تراكمات الفساد والاستبداد.

لقد أثبتت العقلية الماضوية النكوصية بكل توجهاتها فشلها الذريع، الأمر الذي يفتح الطريق أمام الجهود المتوجهة نحو مستقبل أفضل، يضمن لمجتمعنا وأجيالنا المقبلة حياة إنسانية كريمة، ويوفر أسباب نمو مستدام، أساسه الاستثمار الرشيد لمواردنا البشرية والطبيعية.

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
حذام خريف

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

العرب
الأحد 2019/11/03
السنة 42 العدد 11517

السودان وأزمة سدّ النهضة بين مصر وإثيوبيا.. حضور يشبه الغياب

محمد أبوالفضل
كاتب مصري

في الوقت الذي اشتعلت فيه أزمة سد النهضة بين مصر وإثيوبيا مؤخرا، تعامل السودان معها وكأنها لا تعنيه من قريب، مع أن الخرطوم تمثل الضلع الثالث مع القاهرة وأديس أبابا. وأصبحت تطورات الأزمة، صعودا وهبوطا، محصورة في البلدين، ولم تبد السلطة الانتقالية السودانية موقفا واضحا، واعتبر صمتها يميل إلى وجهة نظر إثيوبيا، وجاءت موافقتها متأخرة على حضور لقاء برعاية واشنطن بين وزراء خارجية الدول الثلاث في 6 نوفمبر.

شهد السودان خلال الأيام الماضية نقاشات واسعة بين شريحة من النخبة السياسية حول موقف الخرطوم من سد النهضة، ووجهت بعض الأحزاب رسائل لرئيس الحكومة عبدالله حمدوك، منها ما حذر من خطورة الصمت وعدم التفاعل، وترك القضية تتقاذفها مصر وإثيوبيا فقط، ومنها ما طالب بوضع رؤية محددة لمكاسب وخسائر السودان من السد، وتبنّي موقف واضح تتعامل بموجبه الجهات المعنية، لأن التذبذب قد تكون عواقبه وخيمة.

تؤكد المؤشرات الراهنة عدم التخلي عن النهج الذي اتبعه الرئيس المعزول عمر حسن البشير، ومال كثيرا نحو دعم الموقف الإثيوبي، وابتعد عنه في لحظات نادرة تحسنت فيها العلاقات مع مصر، أو كان يرغب في ترطيب الأجواء معها من دون تبني مقاربات توحي بأنه تنصل من التزاماته مع أديس أبابا.

تكوّن لدى حزب المؤتمر الوطني الحاكم في ذلك الوقت، تقدير بأن السد يحمل خيرا كثيرا للسودان، في الحصول على الكهرباء بأسعار تفضيلية، والاستفادة من مساحات شاسعة من الأراضي الزراعية، وتنظيم الري، وما إلى ذلك من مزايا جرى الترويج لها عمدا، تبرر الدعم السوداني الكبير لمشروع السد، وتم تجاهل كل انتقادات مالت إلى أن هناك أضرارا قد تقع على البلاد، حال اكتمال البناء بالمواصفات التي يقوم عليها وتعرضه للانهيار.

الكلام الساكت

توقعت بعض الدوائر أن يحدث تغير في الموقف مع تولي السلطة الانتقالية الحكم، وتسبب تأخير تشكيلها في تأجيل بعض الاجتماعات الثلاثية، وعندما تم تجاوز هذه المشكلة عُقدت جلستان، إحداهما في القاهرة منتصف سبتمبر، والأخرى في الخرطوم أوائل أكتوبر الماضي.

ولم تتكشف هوية حاسمة لموقف سوداني عند احتدام التراشقات بين مصر وإثيوبيا، ووصولها إلى مستوى ساخن وصل درجة عدم استبعاد نشوب حرب بين البلدين، مع ذلك بقيت الخرطوم على حالها من الكلام الساكت، كما يقول أهل السودان.

ارتفعت وتيرة التجاذبات بين القاهرة وأديس أبابا، عندما طالبت الأولى بدخول طرف رابع يساعد في تسهيل التفاهم بينهما، ولم يتخل السودان عن صمته الذي فسره البعض بأنه يتماشى مع مواقف البشير السابقة، ويحمل تأييدا ضمنيا لإثيوبيا.

وتكرر الأمر وقت طرح استضافة الولايات المتحدة لاجتماع ثلاثي، تحمست له وأيدته القاهرة، وتحفظت عليه أو تجاهلته أديس أبابا، بينما واصلت الخرطوم تمسكها بفضيلة الصمت السياسي، حتى أعلنت الخميس الماضي موافقتها على حضور وزير الري ياسر عباس، ووزيرة الخارجية أسماء عبدالله، بعد يوم واحد فقط من إعلان إثيوبيا قبول الدعوة.

يفرض انخراط الخرطوم في لقاء واشنطن أن تكون رؤيتها ناصعة، فالمحادثات من المفترض أن تكون شفافة، وتتناول جميع الجوانب الفنية لمشروع سد النهضة، وكل من القاهرة وأديس أبابا لديها الحسابات التي تعزز موقفها وتبرر عدم تراجعها، بصرف النظر عن المسافة المتباعدة بينهما، والمطلوب من واشنطن تقريبها للحد الذي ينزع فتيل الأزمة ويعيد الهدوء إلى المنطقة، من خلال تقديم حلول مبتكرة ترضي غرور إثيوبيا، وتتجنب وقوع أضرار مائية على مصر.

المطلوب.. توضيح الرؤية

لا يزال موقف السودان مبهما، وربما يفهم من السياق العام أن ثمة إنحيازا نحو إثيوبيا، غير أن اهتمام بعض الشخصيات السياسية في الخرطوم بالأزمة وضع على عاتق رئيس الحكومة، عبدالله حمدوك، عبئا ثقيلا في الشق الذي يتهمه بتكرار سياسات نظام البشير بشأن تأييد المشروع بلا تحفظ وبالطريقة التي تريدها إثيوبيا، في حين هناك دراسات تشير إلى احتمال وجود مخاطر بالغة على السودان.

وجه الصادق المهدي زعيم حزب الأمة القومي، رسالة إلى آبي أحمد رئيس الوزراء الإثيوبي، هنأه فيها بفوزه بجائزة نوبل للسلام، وناشده البحث عن حل عادل لأزمة سد النهضة يحافظ على حقوق جميع الدول، وقدم عادل عبدالعاطي رئيس الحزب الليبرالي السوداني، خطابا لحمدوك، ناشده فيه دراسة الأزمة والاهتمام بها والحفاظ على حقوق البلاد المائية، وكتب فيصل عوض حسن سلسلة من المقالات، حذر فيها من تراخي السودان في الدفاع عن مصالحه الإقليمية، وما ينطوي عليه سد النهضة من تهديد مباشر لها.

وتتعامل الخرطوم سياسيا بحذر شديد مع الأزمة، ولم تعلن صراحة عن طفرة مغايرة في التصورات، ليس اقتناعا بسابقتها المعمول بها منذ أيام البشير، لكن لأنها تفتقر إلى الدراسات الجادة التي تعدها جهات مسؤولة في البلاد. وكل ما رشح من معلومات، سلبا أو إيجابا، كان خاضعا لتقديرات سياسية أكثر منها فنية، وجزء أصيل فيها عوامل تتحكم في مسار العلاقات مع أديس أبابا وتجعلها لا تحتمل التوتر والغليان، وجزء آخر لا يخلو من مكايدة مقصودة من حزب المؤتمر الوطني الحاكم لمصر.

> انخراط الخرطوم في لقاء واشنطن يفرض أن تكون رؤيتها ناصعة، فالمحادثات من المفترض أن تكون شفافة، وتتناول جميع الجوانب الفنية لمشروع سد النهضة

انتهت هذه المرحلة، لكن رواسبها موجودة في الآليات التي تدير بها الخرطوم ملف سد النهضة، من جهة استمرار بعض المسؤولين في وزارة الري وإصرارهم على وجهة نظرهم المؤيدة للحق الإثيوبي والمكاسب السودانية والتعنت المصري، وهو ما أدى إلى عدم تغيير المواقف السياسية والفنية عما كانت عليه أيام البشير.

يحتاج تقديم رؤية سودانية جديدة أو إجراء تعديل في الموقف القديم الحصول على دراسات فنية سودانية رسمية تجهض التقدير المنصرم، وهذا يتطلب المزيد من الوقت، لأن المعلومات المتوافرة من أطراف عدة تقديراتها متفاوتة في المكاسب والخسائر، بصورة تضع الحكومة أمام مأزق عند دخول مفاوضات واشنطن، وهل تصر على تبني موقف إثيوبيا أم تميل إلى القاهرة؟

النتيجة في الحالتين ستكون لها انعكاسات على ما سيقدمه الطرف الأميركي (الرابع) من حلول خلاقة للخروج بالأزمة إلى بر الأمان، فدخول واشنطن لن يضيّع وقتا في الاستماع لوجهة نظر جميع الأطراف، بل لاقتراح تسوية تؤدي إلى تبريد أزمة، قد تتصاعد بمرور الوقت، فلدى الولايات المتحدة الصورة الكاملة، فنيا وسياسيا وأمنيا.

وضعت الرسائل التي وجهتها بعض الشخصيات السودانية عبر إشارات حذرت من وقوع مخاطر كبيرة بسبب سد النهضة، السلطة في موقف المتقاعس، لأنه جرى تفجير قضية حساسة تتعلق بحقوق تاريخية مسكوت عنها في إقليم بني شنقول القريب من الحدود الجنوبية الشرقية والذي يقام عليه السد.

تطغى الجوانب السياسية على الفنية في التعامل السوداني مع الأزمة، وبدت التوجهات العامة خاضعة لهذه المسألة، فالبشير استخدم أزمة السد كورقة في إدارة علاقته مع كل من القاهرة وأديس أبابا، بما جعل التعاطي معها مرهونا بشكل التطورات مع العاصمتين فترة طويلة.

اختلاف الدوافع

كشفت الأسابيع الماضية عن شيء يشبه إعادة إنتاج الموقف السابق، مع اختلاف الدوافع في الحالتين. ففي زمن البشير كان التوجه السياسي محكوما وإلى حد بعيد بحالة الخصام والوئام التي تعيشها الخرطوم مع القاهرة، والآن يسيطر على السودان موقف تصالحي مع أديس أبابا على مفاتيح كثيرة في التعاملات الإقليمية، وهذا لا يعني أن هناك فتورا مع القاهرة، غير أنه قد يكون من نوعية الهدوء الذي يسبق العاصفة، في ظل هواجس سودانية غير رسمية من تطوير العلاقات مع مصر، وهناك ملفات خلافية تتجاوز سد النهضة.

يمثل تحديد مكانة سد النهضة في التصورات الاستراتيجية للسودان، ومزاياه وعيوبه، نقطة البدء في معرفة المسار التفاوضي المقبل، ففي لحظة معينة ستعلن الحكومة عن رأيها الفني بجلاء، بعيدا عن أي مراوغات سياسية، لأن المشروع قاب قوسين أو أدنى ليتحول إلى أمر واقع على الأرض، وتظهر كراماته أو سلبياته.

لتحاشي الوقوع في مفارقة من هذا النوع، ستحاول الإدارة الأميركية تبني رؤية ترضي الأطراف الثلاثة، من خلال التوفيق بين المطالب والحقوق والطموحات. وهو المخرج الذي يساعد السودان على الاحتفاظ بعلاقات وطيدة مع إثيوبيا، وعدم خسارة مصر، وتجنب مغادرة مربع الغموض البناء ورسم صورة للموقف النهائي من السد، في وقت تتضارب فيه التقديرات.

ملاحظات أثارتها حرب أردوغان على الشعب الكردي

هايكو باغدات
كاتب في موقع أحوال تركية

عدوان، احتلال، تهجير، اغتصاب، خطف، ابتزاز، مذابح، إبادة جماعية وعصابات.. ما أشبه الليلة بالبارحة!

أحببت أن أعيد ذكرى هذه المفاهيم التي سبق أن عاشها تراب هذا الوطن (تركيا) في تاريخه القريب.

إن الحديث عن النضال من أجل تحقيق مطالب المساواة في الحقوق الاجتماعية والسياسية والثقافية والإدارية للهويات العرقية التي كانت تعيش داخل حدود البلاد قد يبدو مملّا بالنسبة إلى بعض القراء، ولكن الواقع الحالي يملي علينا أن نعيد ذكراها حتى يتبين للجميع صدق المثل القائل "ما أشبه الليلة بالبارحة!".

أجل، كانت الدولة القديمة تحافظ على أساليبها التي عفا عليها الزمن، وتطبق -بشكل منهجي- طريقة القتل والمذابح والتعذيب ضد المدافعين عن الحقوق والحريات. وعلى الرغم من أن ضحايا تلك "الدولة القديمة" كانوا من أطياف غير متناغمة أيديولوجيا، ولكنهم كانوا يشكّلون قوة تستطيع أن تقوم بدور المعارضة. وعلى وجه الخصوص، كانت الحركات التي تريد المحافظة على لغتها وهويتها وثقافتها ووجودها، وعانت في تاريخها القريب من اضطهاد "الدولة القديمة"، قد أصبحت ذات وزن في المعادلة السياسية الحديثة.

وكانت هذه الأطياف تتحرك بدافع "إنقاذ تركيا"، على عكس ما كان خصومها يتهمونها بمحاولة تقسيم البلاد. وبفضل هذا التحفيز الكامن في دفاعها عن هويتها أصبحت لديها تقاليد سياسية راسخة، وقوة تنظيمية رائعة، وجماهير سياسية واسعة، ولو كان قياديوها بالفعل "إرهابيين وانفصاليين" -كما يتهمهم به خصومهم- لكان واقع البلاد مختلفا جدا، ولكانت البلاد تعيش صعوبات في الحفاظ على وحدتها السياسية.

أجل، لم يكن هؤلاء "إرهابيين" ولا "انفصاليين"، بل كان همُّهم الأوليّ "إنقاذ تركيا". إنهم كانوا يطالبون -بدلا من العبودية- تحقيق المواطنة المتساوية واحترام حقوق الإنسان في مستوى المعايير العالمية، واحتضان الوطن من جميع الهويات، وتأسيس روابط الأُخوّة بين الشعوب... فكانت هذه المطالب أكثر أهمية بالنسبة إليهم من اقتطاع جزء من تراب الوطن.. حيث كانت المواطنة المتساوية كافية لتلبية مطالبهم في نهاية المطاف.

ففي هذا الجو المناسب والأرضية المناسبة ظهرت بوادر حركة جديدة كانت مصمِّمة على صراع الدولة القديمة من أجل السلطة. وبالفعل ما كان لهذه الحركة وزعيمها الكاريزمي تجاهل ما تراكم لدى المجتمع من قوى المعارضة. وبالفعل أصبح هذا الزعيم الجديد يقف في نضاله من أجل السلطة إلى جانب الذين صادرت "الدولة القديمة" حقوقهم الطبيعية لفترة طويلة، ويدافع عن قضاياهم، ويضم ممثليهم إلى حركته، ويبدي تعاطفه مع مآسيهم التاريخية، فحصل على تأييدهم.

نعم، استطاع هذا الوحش أن يحافظ على مكياجه الديمقراطي حتى اللحظة الأخيرة، وأن يستر وجهه الحقيقي الذي لم يظهر إلا بعدما فاجأ الجميعَ بأنه قد تحوّل إلى ماكينة تقطّع المجتمع أشلاء متناثرة.

لقد حصل على تأييد كل الأطياف، وأصبح زعيما. لكنه لم يكن زعيما عاديا.. بل دخلت البلاد في عهده مرحلة "دولة واحدة، أمة واحدة، راية واحدة، لغة واحدة، زعيم واحد". فخان الزعيمُ الجديدُ كلَّ من جلبوه إلى قمة الدولة. حتى إن المكاسب القليلة التي حققوها في نضالهم التاريخي الطويل أصبحت الآن في خطر؛ أصبحت القوميةُ هي الأيديولوجيا الوحيدة، ويُنظر إلى كل من لا يطيع الزعيم على أنه "متواطئ مع أعداء الوطن".

ودخلت معظم وسائل الإعلام، وأصحاب رؤوس الأموال، والكوادرُ البيروقراطية، والجيش، والمجتمع المدني، صفا واحدا تحت طاعة القائد العظيم. ووَضع الزعيم على كاهلنا مهمة أسطورية من البطولة التاريخية، ووعد باستعادة الأراضي التي فقدناها، وأراد منا أن نصبح المركز الجديد في العالم ضد الغرب الناهب والشرق المحتال. ووعدنا إن نحن تبنّينا هوية "التركي" واجتمعنا حول قائدنا فسيرى العالم قوة التّرك.

وكانت لا تزال هناك أصوات تعارض هذا الهراء.

المهمة الأُولى، إذن، هي القضاء على الخونة في الداخل، فالهويات العرقية والطائفية الأخرى التي كانت حلفاءه في طريقه إلى السلطة ولكنها قاومت سياسة التتريك، قد أصبحت الآن عناصر يجب تدميرها واجتثاثها.

وقد أثارت الحروب القائمة في الشرق الأوسط والتي تهدف إلى تقسيم الدول، هواجسَ المجتمع التركي وأيقظت مخاوفها تجاه باقي مكونات المجتمع، مما أعطى فرصة كبيرة للزعيم بأن ينفذ خطته الوحشية. حيث إن "الغرب الناهب والشرق المتحايل" -على حدّ تعبيره- كانا يتصرفان في هذا الاتجاه. فكانت الشعوب تُذبح بينما كانت القوى الإمبريالية تتكالب على قضم ثروات المنطقة كما يتداعى الأكلة على قصعتها.

> الذريعة جاهزة لتدمير المدن الكردية، وأسفرت العمليات عن مقتل الآلاف من شباب المنطقة بطرق وحشية، ودُكّت المنازل بالأسلحة الثقيلة المدمرة، وأُجبِر السكان على هجر منازلهم وديارهم

وبفضل شن الحرب حصل الزعيم على فرصة إعادة ترتيب البيت من الداخل، وتحييد المعارضة، و"إنقاذ الدولة من مشكلة عرقية استمرت لمدة 50 عاما".

وقد وفرت أجواءُ الحرب العديد من الفرص أمام الزعيم. وحان الوقت لتنفيذ خطة المجزرة الرهيبة.

فأولا، قام بتنظيم العمليات التي من شأنها أن تتسبب في غضب الشارع بالمدن الكبيرة ضد من يريد استهدافهم، واستطاع أن يجذبهم إلى الحلبة ليخلق صورة أقرب ما تكون إلى "تمرد ضد السلطات الشرعية".

فكانت الذريعة جاهزة لتدمير المدن الكردية، وأسفرت العمليات عن مقتل الآلاف من شباب المنطقة بطرق وحشية، ودُكّت المنازل بالأسلحة الثقيلة المدمرة، وأُجبِر السكان على هجر منازلهم وديارهمَ، ليتمزق كيانهم المنظم فيتفرقوا في شرق البلاد وغربها. ثم جاء دور ممثلي الأحزاب والقادة السياسيين، وتم اعتقال النواب.

وتم "تطهير" المثقفين والفنانين بحملة اعتقالات واسعة حتى يمكن تقطيع عروق الناس فيصبحوا من غير قادة فكر أو تنظيم، بل كل من ألقى إليهم السلام وجد نفسه قابعا في السجون. وبُثّت الكراهية ضدهم، لتتألب عليهم عصابات الشوارع..

وأخيرا انقطعت الأصوات المنادية بالحقوق وانتهت العملية السياسية. كان الوقت قد حان "لترحيل الخونة اللابسين قميص العدو إلى الصحارى" بهدف تحقيق التغييرات الديموغرافية.

ليست هذه الظاهرة غريبة على هذه المنطقة المنكوبة، فلقد كانت في العقود الماضية مسرحا لذبح مئات الآلاف من أبنائها... وقد حصل كل ذلك على مرأى ومسمع بل ومساهمة من العالَم الغربي والشرقي، ولا تزال المذابح قائمة من دون حسيب أو رقيب.

طلب الزعيم من العالَم المتحضر أن يحوِّل أنظاره إلى جهات أخرى لبعض الوقت.. وبالفعل قام بذلك.. فقامت أسواق يروج فيها العدوان والاحتلال والتهجير والاغتصاب والخطف والابتزاز، والمذابح والإبادة الجماعية والعصابات، وتأسست في براري سوريا أوكار للجماعات الإرهابية. وكانت العصابات تتصرف دائما قبل الجيوش النظامية فتنهب كل منزل دخلتها، وتأسر النساء والأطفال.

وكان الجيش التركي يرفض هذه الادعاءات في المراسلات الرسمية أو المناقشات الدبلوماسية أو وسائل الإعلام. وعلى الرغم من أن الدعاية الرسمية كانت تقول إن العمليات من أجل أمن البلاد، إلا أنه في الواقع قد تم طرد الناس من ديارهم، وتم تدمير ممتلكاتهم بشكل لا رجعة فيها.

وقد تكرر مثل هذا قبل مئة عام تجاه المواطنين الأرمن وغيرهم من الأقليات. وفي تلك الأيام أيضا كان المثقفون الأتراك راضين عما كان يجري، حيث إن هذه هي الطريقة التي كانت دولتهم تحافظ بها على وحدة أراضيها لعدة قرون.

وللأسف، كان معظم المثقفين والكتاب الغربيين يشيدون بهذه الإبادة الجماعية أو على الأقل يتجاهلونها.

وأخيرا اكتملت المذابح، وتم ترحيل أهالي المنطقة وإحراق منازلهم وتجفيف أجيالهم.

وكان الغربيون قد قضوا فترة طويلة في المنطقة من أجل الحروب، وكانوا يريدون العودة إلى بلادهم، وكانت الهدنة الجزئية كافية بالنسبة إليهم، وكانت الصفقات التي أبرموها كافية لهم ليقضموا خيرات المنطقة لمدة مئة عام أخرى.

أما عن صناديد تلك الأيام المتمثلة في جمال باشا وأنور باشا وطلعت باشا وغيرهم، فإنهم بعد ما أزاحوا من سبقهم من كوادر الدولة بمن فيهم السلطان عبد الحميد، تم طردهم هم أيضا من البلاد وتم التخلص منهم بحجة أنهم السبب وراء كل الكوارث التي نزلت بالوطن، وتم لعنهم بأنهم وراء كل تلك المذابح الشنيعة التي تتبرأ الدولة منها. وليس هذا غريبا في تقاليد الدولة التركية على مدى سبعة قرون، حيث كانوا يرون جواز التضحية بالأفراد من أجل الحفاظ على بقاء الدولة.

ولكن الغريب أنه في الفترات اللاحقة احتاج العقل المدبر للدولة إلى إحياء روح هؤلاء الصناديد، لإعادة صنيعهم من أجل "تنظيف البلاد"، فإذا بنا أمام تمجيد مبطن لتلك الأرواح الخبيثة لتتناسخ في روح "زعيم جديد".

وأعود لأقول: ما أشبه الليلة بالبارحة، حينما أشاهد بأُمِّ عيني ما يجري حاليا على أرض الوطن والحدود المتاخمة لها.

وها نحن أمام مشكلة مشابهة لا تزال قائمة منذ 50 عاما، وإنني أخشى أن يتصدى أردوغان لحلها بشكل جذري، (أي بالذبح والترحيل) كما تصدى أسلافه لقضية الأرمن التي أراد الصناديد حلها بشكل نهائي، وبالفعل كانت النتيجة محو شعب الأرمن بأكمله من خارطة هذه البلاد.

وأظن أن الأكراد هم الآن أقرب الناس إلى فهم مجازر الشعب الأرمني، عندما بدأوا يقولون "ما كنا نظن أن الدولة ستكون ظالمة إلى هذا الحد".

العرب
الأحد 2019/11/03
السنة 42 العدد 11517

عملية «أوبرا» تفضح تاريخ التعاون بين إيران وإسرائيل

تل أبيب وطهران.. عدوّ ودود أفضل من صديق لدود

إيران حليفة الأمس أصبحت أخطر دولة في المنطقة

يكشف البحث والتحليل والتدقيق في تفاصيل أحد أهم الأحداث في تاريخ العراق، والذي كان مفصليا في تشكيل موازين القوى بمنطقة الشرق الأوسط، عن الكثير من أسرار التعاون والتآمر المشترك بين إسرائيل وإيران. ويبدو البلدان حاليا طرفين في حرب مستعرة إعلاميا، لكن الحقيقة عكس ذلك، بل تتضمن الكثير من المفارقات، فمصالح البلدين التي تقاربت في بداية ثمانينات القرن الماضي والتي جسدها هدفهما المشترك وهو ضرورة تدمير برنامج الأسلحة النووية للعراق، جعلهما ينسّقان معا ويتعاونان لتنفيذ الهجوم الجوي على مفاعل تموز العراقي، فظاهريا سلاح الجو الإسرائيلي هو الذي نفذ الهجوم، لكن إيران لعبت دورا محوريا في العملية من خلال تقديم الدعم العسكري لإسرائيل، ما جعل الرئيس العراقي الراحل صدام حسين يردّ على تلك العملية بتنفيذ هجوم على محطة بوشهر الكهروذرية للأبحاث النووية الإيرانية، بدلا من استهداف إسرائيل مباشرة.

لندن - تعد إيران في نظر أغلب الزعماء الأمنيين الإسرائيليين "عدوا ودودا وهي أفضل من صديق لدود" لأنه على مرّ التاريخ المعاصر لم تطلق إسرائيل رصاصة واحدة على إيران غير حربها الكلامية، وبالمثل فعلت إيران التي لم تتجاوز حدود الشعارات في "حربها" ضد إسرائيل.

وخلف هذا العداء "الصوتي" بين إيران وإسرائيل يختبئ تاريخ من التعاون والتآمر المشترك، إذ تجسّد هذا التعاون في أبرز صوره في عملية "أوبرا" العسكرية حين أطلق الطيران الحربي الإسرائيلي ضربة جوية مفاجئة استهدفت مفاعل تموز النووي العراقي في العام 1981.

لقد عاد الصحافي المتخصص في شؤون الدفاع، سيباستيان روبلين، في تحليل نشرته مجلة "ناشيونال أنترست"، إلى تقارب المصالح والتحالف بين إيران وإسرائيل وطبيعة المفارقات التي تتسم بها علاقتهما.

يقول روبلين؛ من الأسرار الخفية لعملية "أوبرا" أن إسرائيل ما كانت لتنجح لولا مساندة إيران وتعاونها معها.

وتم تنظيم تظاهرة لإحياء ذكرى الهجوم بعد 38 عاما من حدوثه، وهي العملية الذي ينظر إليها البعض على أنها "المهمة التي أعادت صنع الشرق الأوسط"، وشارك فيها الطيارون المنفذون لـ"عملية أوبرا" والذين لا يزالون على قيد الحياة. وأعاد الطيارون تمثيل الهجوم على أجهزة محاكاة للطيران.

قال هؤلاء إن "إحدى أكبر المفارقات في التاريخ هي أن الجمهورية الإسلامية في إيران ساعدت على تنفيذ هذا الهجوم".

وكانت واشنطن تستعد لعقد صفقة كبيرة مع طهران لتزويدها بنحو 75 طائرة مقاتلة متطورة من طراز "أف-16، لكن الإطاحة بشاه إيران محمد رضا بهلوي -الذي كان حليفا قويا للولايات المتحدة- إثر اندلاع الثورة الإسلامية التي قادها آية الله الخميني، جعل الولايات المتحدة تضطر إلى إلغاء الصفقة مع إيران وعرضها على إسرائيل التي قبلت بها دون تردد. وقال الميجر جنرال المتقاعد دافيد عيفري، قائد سلاح الجو الإسرائيلي آنذاك، في مقابلة تلفزيونية، "على الفور قلت نعم، من دون أن أسأل أحدا.. عندما يعرض عليك أحدهم أفضل طائرات مقاتلة، فأول شيء تفعله هو قول نعم.. وبعد ذلك سوف نرى".

وقال الكولونيل المتقاعد زئيف ران، الذي قاد الغارة في 7 يونيو 1981، "حقيقة حصولنا على الطائرات بسبب الثورة الإيرانية هي إحدى أكبر المفارقات في التاريخ".

واكتشفت إسرائيل لأول مرة أن العراق يعمل على بناء مفاعل بلوتونيوم يمكن استخدامه لصناعة أسلحة نووية في العام1977، حينها لم تكن الطائرات المقاتلة التي تملكها -وهي من طراز "أف 4 فانتوم" و"سكاي هوك"- قادرة على السفر لأكثر من 1000 ميل داخل أراضي العراق والعودة بسلام.

ولهذه الأسباب كانت الصفقة الأميركية لشراء طائرات "أف16-" فرصة ذهبية بالنسبة إلى إسرائيل لتنفيذ أهدافها. لكن لم يكن واضحا تماما ما إذا كانت هذه الطائرات الجديدة ستتمكن من الوصول إلى العراق وتنفيذ المهمة بنجاح بسبب سعة الوقود فيها، لذلك وضع سلاح الجو حلولا بديلة من أجل مضاعفة فرص النجاح.

وقبل تسعة أشهر من تنفيذ عملية "أوبرا" العسكرية الإسرائيلية التي دمرت مفاعل أوزيراك النووي العراقي، وفي فجر 30 سبتمبر 1980، حلقت 4 طائرات من طراز أف4- إي فانتوم أميركية الصنع على ارتفاع منخفض في سماء العراق، وكانت كل واحدة منها محمّلة بقذائف جو، وثلاثة آلاف رطل من القنابل.

وثّق الكاتبان توم كوبر وفرزاد بيشوب هذه الغارة الغامضة والسياق الذي حدثت فيه في مقالة نشرتها مجلة "إير أنثوزياست" في العام 2004.

كانت إيران وإسرائيل حليفتين قبل الثورة الإيرانية، وواصلت تل أبيب نقل الأسلحة وغيرها من المساعدات الأمنية إلى طهران خلال ثمانينات القرن الماضي، على الرغم من خطاب المرشد الأعلى المعادي لإسرائيل. وكان هذا مدفوعا بالمخاوف التي جمعت بين الطرفين من عراق يحكمه صدام حسين.

وفي العام 1975، نجح العراق في التفاوض على صفقة بقيمة 300 مليون دولار (ما يعادل 1.3 مليار دولار في 2019) مع فرنسا لبناء المفاعل العراقي. وكان الاتفاق بين صدام حسين وجاك شيراك عندما كان رئيسا للحكومة الفرنسية.

وتضمن هذا المشروع بناء مفاعلين باسم تموز1 وتموز2 في منشأة التويثة للأبحاث النووية جنوب بغداد.

تم تصميم مفاعل أوزوريس لأغراض مدنية، ولكن البعض من الأطراف رأى فيه تهديدا وخشي أن يتحول إلى انطلاقة برنامج للأسلحة النووية.

ويختلف الخبراء إلى يومنا هذا حول مدى اقتراب العراق من تحقيق هذه القفزة.

نجح صدام حسين في الضغط على الفرنسيين لتسليم عشرات الكيلوغرامات من الوقود النووي المخصب بنسبة 93 بالمئة، بينما جمع كيلوغرامات من اليورانيوم من أميركا الجنوبية وأماكن أخرى.

وأزعج وجود هذا المفاعل إسرائيل التي بقيت الدولة الشرق أوسطية الوحيدة التي تمتلك أسلحة نووية، وكذلك إيران التي صدت غزوا عراقيا بالدبابات في سنة 1975.

وقال الميجر جنرال عاموس يالدين، الرئيس السابق للمخابرات العسكرية الإسرائيلية والذي كان طيارا خلال المهمة، إن "القرار الذي اتخذه بيغن (رئيس الوزراء الإسرائيلي آنذاك مناحيم بيغين الذي أمر بتنفيذ الهجوم)، استنادا على العقيدة التي تم تأسيسها مع هذه العملية وقد سُميت في ما بعد باسمه كان كالتالي: إذا كان هناك قائد عربي يدعو إلى تدمير إسرائيل، فإن إسرائيل لن تسمح له بامتلاك أسلحة نووية".

وسعيا لإحباط البرنامج، قصف عملاء إسرائيليون قلب مفاعل نووي اكتمل بناؤه بالقرب من مدينة تولون جنوب فرنسا، في حين طعن عملاء فرنسيون عالم الفيزياء والذّرة المصري يحيى المشدّ حتى الموت في فندق بباريس في 14 يونيو من العام 1980. ونجحت تلك الإجراءات في تأخير بناء مفاعل أوزيراك النووي بمنشأة مكشوفة، إلا أن الأعمال استؤنفت لاحقا.

وفي 22 سبتمبر 1980، شن صدام حسين غزوا واسع النطاق جنوب غرب إيران على أمل الاستفادة من الفوضى السائدة في الجمهورية المولودة من رحم الثورة الإسلامية. واستمرت الحرب الناتجة عن هذه الخطوة لمدة 8 سنوات دامية.

في هذا السياق، بدأت القوات الجوية الإيرانية بالتخطيط لشن هجوم على مفاعل أوزيراك في يونيو، ويقال إنها قررت ذلك بناء على طلب رئيس المخابرات الإسرائيلية العسكرية. حينها، كانت إسرائيل واحدة من الدول القليلة التي واصلت تزويد إيران بالأسلحة والمعلومات الاستخباراتية اللازمة لمحاربة العراقيين، مما جعل الغارة تحمل منافع للطرفين.

أثبت الأسطول الإيراني الكبير الذي شمل المقاتلات الأميركية "أف 4" و"أف 14" فعاليته ضد القوات العراقية خلال السنوات الأولى من الحرب العراقية الإيرانية. وانطلقت طائرات الفانتوم التي نشرتها إيران في الغارة من سرب المقاتلات الثالث والثلاثين المتمركز بالقرب من مدينة همدان الإيرانية.

واستغلت هذه الطائرات غفوة أفراد قوات الدفاع العراقي، وأسقطت قنابلها على محطة طاقة عراقية، مما أدى إلى انقطاع التيار الكهربائي في بغداد لمدة يومين حسبما ذكره كوبر. وخلال تلك الفوضى، أطلقت جميع القنابل الاثنتي عشرة في التويثة في ثوان معدودات. ولا توجد تقارير تدل على أي رد دفاعي من العراق.

وذكر بعض الشهود أنهم رأوا قنبلتين إيرانيتين ترتدان عن قبة المفاعل. وأدى الهجوم إلى اندلاع حريق هائل ما ألحق أضرارا بالأنابيب ومضخّات التبريد ومنشآت المختبرات. وانسحب المئات من الفنيين الفرنسيين والإيطاليين من المنشأة بعد الغارة، رغم أن بعضهم عاد لاحقا.

ومع ذلك، أشار تقرير استخباراتي أدته وكالة المخابرات المركزية الأميركية بحسب مصدر بقيت هويته سرية، إلى أن القصف لم يطل سوى المباني الثانوية.

وانتشرت رواية في الغرب، وإن كانت خاطئة، تدّعي أن طيارين إسرائيليين قادوا الطائرات الإيرانية في الغارة.

في 30 نوفمبر، عادت طائرة استطلاع إيرانية من طراز "آر أف 4 فانتوم" إلى المبنى بسرعة تتجاوز سرعة الصوت، والتقطت صورا لتقييم آثار الضربة. ووفقا لكوبر وبيشوب، نقلت الصور الاستخباراتية بعد ذلك في صندوق معدني إلى إسرائيل عبر طائرة بوينغ 707 كانت تستخدم لتسليم أسلحة إسرائيلية إلى طهران.

ساعدت هذه الصور الاستخباراتية الجيش الإسرائيلي على تصميم نسخة طبق الأصل للمبنى بغرض التخطيط لمهاجمته والتمرن على العملية.

ونفذ الجيش خطته النهائية في 7 يونيو 1981، بعد أن انطلقت 8 طائرات إسرائيلية من طراز "أف 16 فايتينغ فالكون"، مع 6 طائرات من طراز "أف 15 إيغل" عبر الأجواء السعودية، مستغلة فجوة في تغطية الرادار العراقي. وفي أقل من دقيقة، دمرت مقاتلات إيغل مفاعل أوزيراك بقنابل "مارك 84" الضخمة التي تزن 2000 رطل، ما أسفر عن مقتل تسعة عراقيين ومهندس فرنسي.

ووجّه صدام حسين تركيزه إلى محطة بوشهر الكهروذرية للأبحاث النووية الإيرانية، لعدم رغبته في الانتقام من إسرائيل مباشرة.

وقصفت الطائرات النفاثة العراقية، بين عامي 1984 و1987، المجمع الإيراني خمس مرات ما ألحق أضرارا كبيرة بالمنشأة التي لم تكن تستخدم كثيرا بسبب القيود المالية التي فرضتها الحرب.

وتعد غارة أوزيراك من الأحداث التي يستشهد بها في الحجج المؤيدة للضربات الاستباقية المناهضة للأسلحة النووية. ويبدو نجاح الغارة واضحا. لكن، ورغم تعطيل الجهود العراقية الرامية إلى الحصول على الأسلحة النووية لعقد كامل، يزعم بعض الخبراء أن المفاعل لم يكن مناسبا لمثل هذه الأغراض.

وفي أعقاب الغارة، بدأ صدام حسين برنامجا نوويا واسع النطاق يسعى إلى إنتاج الأسلحة في المباني المحصنة تحت الأرض. ولو لم يتحول تركيزه إلى المواجهة العسكرية مع الولايات المتحدة عند غزو الكويت في العام 1990، لنجح صدام حسين في حشد قوة أكبر في مجال الأسلحة النووية على المدى الطويل.

وتسببت الهزيمة التي تكبدها نظام صدام حسين في العام 1991، بالإضافة إلى انهيار الاتحاد السوفييتي، في إنهاء التحالف السري بين إسرائيل وإيران، إذ اعتمدت طهران على دعمها للجماعات المعادية لإسرائيل لكسب النفوذ والتحالفات في العالم العربي، في حين أدركت إسرائيل أن إيران هي الأكثر عدائية في المنطقة.

إيران وإسرائيل كانتا حليفتين قبل الثورة الإيرانية، وواصلت تل أبيب نقل الأسلحة وغيرها من المساعدات الأمنية إلى طهران خلال ثمانينات القرن الماضي، على الرغم من خطاب المرشد الأعلى المعادي لإسرائيل. وكان هذا مدفوعا بالمخاوف التي جمعت بين الطرفين من عراق يحكمه صدام حسين

وتكمن المفارقة هنا؛ فبعد أن كانت إيران حليفة إسرائيل في الهجمة الاستباقية التي استهدفت محطات الأبحاث النووية التابعة لدولة أخرى، أصبح برنامج إيران النووي الشامل مهددا اليوم بهجمات جوية وقائية من إسرائيل والولايات المتحدة.

ومع ذلك، تعلمت إيران من ضربات أوزيراك، ونشرت برنامج أبحاثها النووية بين العديد من المنشآت الموجودة تحت الأرض، بدلا من جمعها في مبنى مكشوف معرّض للهجوم في أي وقت.

العرب
الأحد 2019/11/03
السنة 42 العدد 11517

طبيب يشخّص أعراض الضمور السياسي المصري

محمد غنيم

معارض تلجأ إليه الحكومة لتأكيد جديتها

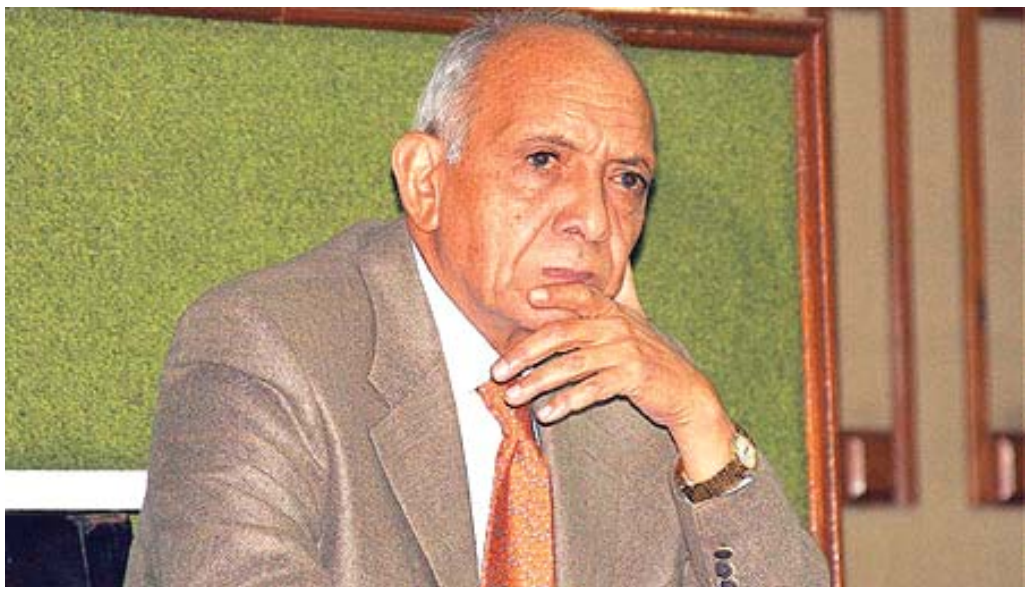

● وسائل الإعلام المصرية تقدم غنيم، كمدير لأول مركز متخصص بزراعة الكُلى في الشرق الأوسط، استطاع بإمكانيات محدودة أن يعالج أكثر من مليون و800 ألف مريض خلال 26 عاما، ما جعل الرئيس السيسي يعينه مستشارا علميا له.

● غنيم يرى أن العمل السياسي لأستاذ في ألمانيا، على سبيل المثال، قد يكون في أن يذهب ليُدلي بصوته في الانتخابات، لكن "في مصر وفي ظروفنا هذه فإن الأمر يتطلب أكثر من ذلك".

أحمد جمال
صحافي مصري

تعاني الساحة السياسية المصرية حالة من الضعف، في ظل عدم وجود نخبة غير قادرة على قيادة الرأي العام، وغلق مساحات كبيرة في الفضاء السياسي، ما يجعل الارتكان على بعض الشخصيات، التي تتمتع بثقل شعبي ولديها قدر من الثقة لدى الحكومة والمعارضة، حلا مناسبا لتحريك المياه الراكدة تدريجيا.

وعندما أرادت الحكومة أن تبرهن على جدية رغبتها في الإصلاح السياسي عقب تعرضها لصدمة بسبب خروج تظاهرات محدودة مناوئة لها في 20 سبتمبر الماضي، لجأت إلى شخصيات من نوعية الطبيب محمد غنيم، رائد جراحة الكُلى، والسياسي المعروف وصاحب المواقف المعارضة، الذي رفض الكثير من تصرفات الحكومة وانتقد بجرأة أخطاء عدة وقع فيها النظام الحاكم.

أزمة ثقة عميقة

استطاع هذا الطبيب المصري أن يلفت أنظار الرأي العام المصري إلى أن هناك خطوات تسير ببطء نحو فتح المجال أمام المزيد من النقاشات السياسية، وعبر حديثه المطول مع الإعلامي عمرو أديب على فضائية "أم. بي.سي مصر" مؤخرا، عن وجود أزمة ثقة بين الحكومة والمعارضة، بدليل تقبلها النقد اللاذع الذي طالها في الحلقة التليفزيونية، بينما تضيق ذرعا بما ذهب إليه آخرون، وإن كان أقل حدة.

موقف غنيم الأخير يعبر عن جوهر أزمة المعارضة في مصر، فالحكومة تتشبث برأيها في أن تكون مدركة لجميع أبعاد الأوضاع العامة في البلاد، ولديها من المسؤولية التي تجعلها تتحمل الأخطاء، بينما العديد من المعارضين يرون أن وجهة نظرهم فقط هي السليمة، وكل ما تذهب إليه الحكومة خاطئ

ما يجعل صوت الطبيب والسياسي المصري مقبولا لدى السلطة، أنها تدرك انطلاقه من أبعاد وطنية وليست أيديولوجية، فهو دائم الحرص على إبراز عدم انتمائه إلى أي تنظيم أو حزب سياسي، ولا يتطلع لأي منصب سوى أن يظل أستاذا متفرغا بجامعة المنصورة، وإن كان لا ينفي انضمامه من قبل إلى الجمعية الوطنية للتغيير التي قادت الشارع للانتفاض ضد نظام الرئيس الأسبق حسني مبارك، واشتراكه في الجبهة الوطنية للإنقاذ التي مهدت للإطاحة بحكم الإخوان.

يعد غنيم صاحب الثمانين عاما، يساري الهوى والميول السياسية، لكنه يرفض أن تكون مواقفه معبرة عن هذا التيار وحسب، فهو يشارك في العمل السياسي المجتمعي من رؤيته، بضرورة أن تكون جزءا من حياة أستاذ الجامعة في بلد يعاني من ضمور سياسي، ونخبة لا تستطيع رسم طريق سليم لها.

في جميع الحالات فإن وجود شخصيات تقع في مساحات مشتركة بين الحكومة والمعارضة يصب لصالح عدم حدوث صدام عنيف تخشاه الحكومة، كما تخشاه المعارضة، ما يمهد لأدوار إرشادية أكثر منها سياسية للطبيب المصري الذي ينهمك بشكل أكبر في متابعة مرضاه، وعينه لا تغفل ما يجري في الغلاف العام للأحزاب.

انخراط ثم انسحاب

قال غنيم، حسب ما نشره الأديب محمد المخزنجي عنه في كتابه الأخير "السعادة في مكان آخر"، وتناول فيه أبرز محطاته العلمية والسياسية، "قد يكون العمل السياسي لأستاذ في ألمانيا أن يذهب ليُدلي بصوته في الانتخابات، لكن في مصر وفي ظروفنا هذه فإن الأمر يتطلب أكثر من ذلك".

غنيم، الذي ينغمس أحيانا في أنشطة سياسية لها علاقة بأحزاب مدنية، سرعان ما ينسحب منها حينما يدرك أنها تحيد عن هدفها، ولعل ذلك ظهر في أعقاب مشاركته في تأسيس الحزب المصري الديمقراطي الاجتماعي، ارتكانا على صداقته بمؤسس الحزب الدكتور محمد أبوالغار، قبل أن ينسحب في توقيت مبكر لإدراكه أن الحزب لن يقوم بالدور الذي تأسس من أجله، وهو تمثيل طبقة اليسار المعتدل.

لم ينخرط الرجل بشكل مباشر في صفقات السياسيين وتجاذباتهم وانقساماتهم بشكل مباشر، رغم علاقته بتجارب سياسية عديدة وتدشينه تحالفا انتخابيا واسعا في عقب الإطاحة بنظام مبارك في فبراير 2011، إلا أنه اختار أن يقوم بدور ما يسمى "صوت العقل" في الكثير من الاشتباكات السياسية من فترة اندلاع ثورة يناير إلى عام 2014، ولم يتأخر عن دعم بعض التجارب الحزبية الصاعدة.

وفي المقابل، لا يتوقف عن تقديم الدعم والنصيحة للأنظمة الحاكمة على مختلف توجهاتها، وتحديدا منذ استقراره في محافظة المنصورة بشكل دائم مطلع الثمانينات مع بداية حكم الرئيس حسني مبارك، وقدم قبل عشر سنوات من اندلاع ثورة يناير ورقة بحثية سياسية مطولة تحدثت عن أهمية الإصلاح الدستوري والسياسي.

بالرغم من أنه كان من أشد المؤيدين والداعمين لثورتي يناير 2011 ويونيو 2013، لكنه يرى الأصل في الأمور أن يكون الإصلاح نابعا من السلطة الحاكمة، وبالتالي فإن سعيه الحالي نحو الإصلاح ورفضه دعوات التظاهر، تجعلانه قريبا من دوائر رسمية تواجه صعوبات في تحديد الآلية المناسبة لعملية الإصلاح بصورة هيكلية، وينعكس ذلك على ترددها بشأن الخطوات التي ينتظرها المواطنون.

انعكاسات مهنة الطب، وبالتحديد عمله كجراح كُلى ومسالك بولية والذي يتطلب عناية شديدة، جعلته دقيقا بالدرجة ذاتها في مواقفه السياسية التي يقدم على اتخاذها، ما فرض عليه أحيانا استخدام مشرط الجراحة لتشريح الوضع السياسي والاقتصادي القائم في البلاد، والبحث عن حلول منطقية للتعامل معه.

لا يجيد غنيم الحديث عن شعارات سياسية غير قابلة للتنفيذ مقارنة بالعديد من الشخصيات التي أدمنت الضوضاء، ولا يوجه انتقادات للحكومة إلا إذا كان متيقنا من مخاطر الآثار السلبية المترتبة على قراراتها، وقدم مثالا للمسؤول عن تصريحاته وأفعاله حينما أرسل برقية اعتذار إلى نادي القضاة المصري، بعد أن ذكر خطأ في أحد حواراته؛ أن جزءا من رسوم التقاضي يؤول إليه.

يعبر موقف غنيم الأخير عن جوهر أزمة المعارضة في مصر، فالحكومة تتشبث برأيها في أن تكون مدركة لجميع أبعاد الأوضاع العامة في البلاد، ولديها من المسؤولية التي تجعلها تتحمل الأخطاء، بينما العديد من المعارضين يرون أن وجهة نظرهم فقط هي السليمة، وكل ما تذهب إليه الحكومة خاطئ، ما يفسر التردد الحالي في إفساح المجال العام من عدمه.

ما يساهم في زيادة الرصيد السياسي لغنيم ويجعله مقبولا من الشارع الذي يضيق ذرعا بإجراءات الحكومة الاقتصادية والاجتماعية، أن مواقفه تنطلق من مبدأ أن المعارضة جزء من النظام السياسي ومن وعاء الدولة بشكل عام، وليست منفصلة عنهما، وإيمانه بأن المعارض يجب أن يبحث عن أرضية تكون فيها قدرته على التأثير كبيرة.

إنجازات ولكن

اعترف غنيم أن الرئيس السيسي نجح في التعامل مع جملة من التحديات، على رأسها الأوضاع الأمنية، واستطاع أن يحسن العلاقات الخارجية، ومستوى الخدمات منها الكهرباء والإسكان الاجتماعي، لكنه وجّه انتقادات لاذعة له بسبب تعامله مع أزمة المقاول محمد علي الهارب إلى إسبانيا، ورده في أحد اللقاءات على صاحب الفيديوهات الشهيرة، التي وجه من خلالها اتهامات للمؤسسة العسكرية في مصر بارتكاب تجاوزات مالية. أما مؤسسة القرار في مصر، فينتقدها غنيم بجرأة، ويطالب بأن تعتمد على الخبراء، ويشدد أن مجال الحريات لا زال مغلقا أمام الجميع والمعارضة مفككة، وكانت قوية عندما أُفسح لها المجال، ويعتبر التضييق على الإعلام سمح بانتقال المعارضة بشكل عشوائي من الشارع والأحزاب إلى مواقع التواصل الاجتماعي.

حرص غنيم على الانخراط في القضايا العامة، انعكس على عمله المهني بعد أن فضل أن يصل إلى مكانته الدولية الحالية باعتباره ضمن أهم رواد زراعة الكُلى وخبراء المسالك البولية على مستوى العالم، عبر المركز الذي أسسه منذ ثمانينات القرن الماضي في محل إقامته بمدينة المنصورة، ونجح في علاج حالات كثيرة.

ربما هذا النجاح هو الذي دفع الحكومة إلى تسليط الأضواء عليه باعتباره نموذجا تسعى للترويج إليه في ظل حاجتها لزرع الانتماء في نفوس الأجيال الصاعدة، والتي تتمرد على كل ما هو داخلي وترتبط بالخارج بدرجات أكبر، وتحاول أن تثبت من خلاله أن النجاح يمكن حدوثه من الداخل أيضا، وسط الهجرة المتزايدة للأطباء المهرة إلى الخارج، والتي أفرزت أزمات عدة في المستشفيات الحكومية.

بالرغم من مواقف غنيم المعارضة، غير أن ذلك لم يمنع وسائل الإعلام المصرية من تسليط الضوء عليه كمدير لأول مركز متخصص بزراعة الكُلى في الشرق الأوسط يتبع جامعة المنصورة في مصر، واستطاع بإمكانيات محدودة أن يعالج أكثر من مليون و800 ألف مريض خلال 26 عاما، وبراعته العلمية جعلت السيسي يعيّنه مستشارا علميا له، بينما هو لا يعبأ كثيرا بالمناصب السياسية، والتي غالبا ما تكون شرفية في رأيه، لكن شغفه الأساسي، سواء ارتبط الأمر بالسياسية أو الطب، هو نقل ما يراه في الخارج إلى مشروعات قائمة على أرض الواقع في الداخل، ما جعله يقدم على إجراء أول جراحة نقل كُلية في مصر سنة 1976 بأقل الإمكانيات، وبمساعدة فريق من أطباء مصريين يعملون بالقسم 4 المختص بأمراض الكُلى والمسالك بجامعة المنصورة، الذي كان غنيم مشرفا عليه حينها.

استفاد غنيم كثيرا من تواجده خارج البلاد عقب تخرجه، وحصل على درجة الزمالة من إحدى الجامعات الإنكليزية، وبعدها سافر إلى الولايات المتحدة، ومنها إلى كندا، قبل أن يعود منتصف السبعينات، ليجري تعيينه مدرسا في كلية الطب.

شخصية شعبية

ثمة ارتباط شعبي بين غنيم والمواطنين، بدأ منذ أن خاض غمار تأسيس مركز الكُلى، وبالرغم من الدعم السياسي الذي تلقاه في ذلك الحين من الدولة، غير أنه أضحى أمام مشكلات مادية تعوقه عن تحقيق حلمه، بعد رفض غالبية الجهات الخارجية تمويل مشروعه، وكان عليه أن يستعين بتبرعات أهالي مدينة المنصورة. لمس المواطنون البسطاء في الطبيب الشاب نموذجا للشخص المخلص إليهم، بعد أن اختار إقامة مركزه في مدينة صغيرة، الواقعة في منطقة تعرف باسم "حزام الحصوات" نظرا إلى أن نسبة تكون الحصوات في الأجسام البشرية بها مرتفعة، فضلا عن تزايد نسبة مرضى الفشل الكُلوي وأمراض أخرى تصيب الجهاز البولي.

صوت الطبيب والسياسي المصري يبدو مقبولا لدى السلطة، لأنها تدرك انطلاقه من أبعاد وطنية غير أيديولوجية، فهو دائم الحرص على إبراز عدم انتمائه إلى أي تنظيم أو حزب سياسي، ولا يتطلع لأي منصب سوى أن يظل أستاذا متفرغا في الجامعة

استطاع أن يشكل قاعدة شعبية جعلت من رأيه مسموعا بين البسطاء الذين يعالجهم بالمجان، بدعم حكومي يمثل 60 بالمئة، و40 بالمئة من التبرعات المباشرة التي تتدفق على المركز، وهو ما جعل ارتباطه بهم قائما من الناحية الاجتماعية والسياسية أيضا، بعد أن كان شريكا لهم في جميع المناسبات، التي تواجد فيها باعتباره قامة علمية وسياسية.

أدت الشعبية الجارفة والمهارة العلمية للطبيب المصري من كتبه التي بلغت 47 كتابا، إلى وضعه محل اهتمام دوائر علمية وسياسية عدة داخل مصر وخارجها، كما أنه قدم 130 ورقة بحثية في كبرى المجالات العلمية، قادته للعديد من الجوائز المصرية والدولية، منها جائزة الملك فيصل العالمية، وجائزة مبارك للعلوم، إضافة إلى قرار جامعة المنصورة في عام 2016 بتسمية مركز الكُلى باسمه تقديرا لجهوده الطبية والعلمية.

قد يكون جوهر الخلاف بين غنيم والحكومة المصرية ناجما عن شعبيته التي مكنته من أن يكون مسموعا على نطاق واسع، بما يزعج دوائر رسمية قررت القبض على مفاتيح الحل والعقد في الدولة.

كان ابتعاده عن الأضواء خلال السنوات الخمس الماضية، رسالة رفض ضمنية للمساس بثورة يناير التي تعرضت إلى انتقادات حادة من مؤسسات وشخصيات حكومية كثيرة، وعدم ارتياح للتوجه العام الذي ينظر إليها باعتبارها مؤامرة، بينما يرى أن المؤامرة الحقيقية هي "وصف ثورة عظيمة لشعب عظيم بأنها مؤامرة".

ورغم قناعة غنيم بالإصلاح وأهمية أن يأتي من السلطة ذاتها، لكنه على قناعة أيضا بأن ثورة المصريين بدأت في 25 يناير 2011، وسوف تؤتي ثمارها ولو بعد حين، الأمر الذي تأخذه المعارضة برهانا على أن أهدافها بحاجة إلى زيادة وتيرة الضغط الشعبي، ولا سبيل سوى تنشيط حركة الشارع لانتزاع بعض المكاسب السياسية من الحكومة.

بين الجنون والإبداع أغنيةٌ تونسية

أمينة فاخت

فنانة الشعب التي تجيد بناء قلاع الكلمات

● فاخت تثبت كل مرة تغني فيها أن "الغناء هو بمثابة مهرجان للأكسجين". وهي التي أقرت "أنا سلطانة غرام أنا يلي تلعب بالكلام" بعد أن أجادت اللعب بالحركات وبالجمهور.

● ظهور أمينة فاخت الجديد يبدو مبهراً في يوليو الماضي بعيد الجمهورية التونسية عبر فيديو كليب للنشيد الوطني الرسمي في ثوب جديد، يشاركها في أدائه كل من الفنانين لطفي بوشناق وصابر الرباعي.

لبنى الحرباوي
صحافية تونسية

لا شك أن تونس تضم أصواتا غنائية عديدة رائعة، لكن ما تقدمه الفنانة التونسية أمينة فاخت لا تقدمه فنانة غيرها، وهي التي لا تهدي جمهورها أغاني فقط، بل تهديه عرضا فرجويا متكاملا هي بطلته بامتياز.

تثبت كل مرة تغني فيها أن "الغناء هو بمثابة مهرجان للأكسجين". تلك هي فاخت التي أقرت "أنا سلطانة غرام أنا يلي تلعب بالكلام". لا تجيد الديفا اللعب بالكلمات فقط هي تجيد أيضا اللعب بالحركات وبالجمهور إنها سلطانة الركح الأولى في تونس، التي تقول دوما "لم أغن يوما حتى أكون أفضل من أي فنان آخر، بل أغني لأعطي أفضل ما عندي".

اسمها يثير الجدل حتى في الأوساط السياسية، فقد ارتبط بالسياسة مرة أخرى بعد الحديث عن قرابتها من أسرة بن علي، في الانتخابات الرئاسية الماضية، حين وجدت فاخت نفسها مجبرة على نفي علاقتها بحركة النهضة الإسلامية بعدما تردد أنها تساند مرشح النهضة للرئاسة عبدالفتاح مورو

فاخت أنثى صاخبة بكل ما في الكلمة من معنى. توصف بالجنون أحيانا وبالإبداع كثيرا لديها طقوسها الخاصة في حفلاتها، تلبس ما خفّ من الفساتين التي تكشف جسدها ليتحرر صوتها القوي، تفرد شعرها بإهمال أحيانا، وقد تسدله ضفيرة بسيطة أحيانا أخرى. لا حرج إن نزعت حذاءها على المسرح إذا ضايقها. وقد تستلقي على المسرح أيضا بل وأكثر.

تراث محدود

لا تغنّي فقط بل تحدّث جمهورها. لا يهمّ ما الموضوع حتى ولو كان طبق المقرونة الحارة الذي أعدته. يعشق جمهورها حديثها كيفما كان، ويرفض مغادرة المسرح أحيانا بعد انتهاء الحفلة، ويهتف عاليا "ماناش مروحين".

في حفلتها ضمن الدورة الـ54 لمهرجان قرطاج الدولي التي أعلنت بها عودتها إلى الغناء بعد انقطاع دام عقدا من الزمن، تعالت أصوات الجمهور مردّدة "موعدنا أرضك يا بلدنا" وجاء الردّ سريعا من "الديفا" تلبية لرغبة جمهورها.

تقول فاخت إنه لا يمكنها التقيّد ببرنامج الفرقة الموسيقية فهي وفية لما يطلبه الجمهور لا غير. وتراوح في حفلاتها بين الأغاني الطربية والأغاني التونسية، فتؤدي "على الله" ورائعتها "سلطان حبك" و"اسألوا قلبي وعنيا" و"أنا هويت" التي لحنها لها الموسيقار المصري بليغ حمدي مطلع التسعينات. تغني أيضا "عالجبين عصابة" وتردّد كذلك الأغاني التراثية على غرار "أش خصني كان ربي عطاني" و"يمّا ع الماشينة" و"مستغربين حالي".

رغم ذلك كله يعتبر الفنان سمير العقربي أن فاخت لم تترك شيئا كبيرا للذاكرة الموسيقية التونسية نظرا للعدد المحدود جدا لأعمالها الموسيقية. وهو الذي تعامل معها في عدة أعمال فنية من بينها "سلطان حبك". عن سرّ جنونها على المسرح، تقول فاخت إنها تتصرّف بكل عفوية وتلقائية، وأن كل ما تقوم به "نابع عن إحساس قوي وتفاعل كبير بينها وبين الجمهور". وتضيف "كل ما أقوم به هو كتلة من الحب العفوي. المسرح فضاء للرقص والفرح.. وأنا أتفاعل مع الجمهور وطاقتي أستمدها من تفاعله معي ومع الأغاني التي أؤديها".

ولدت فاخت في العام 1968. وكانت انطلاقتها في الثمانينات. سافرت في بداية التسعينات إلى مصر وغنت لأبرز الملحنين العرب من بينهم المصريين بليغ حمدي والسيد مكاوي والتونسي عبدالحميد بن علجية، وعادت إلى تونس بعد ثلاث سنوات.

غنت على ركح مسرح قرطاج الأثري لأول مرة عام 1999. وهي تمتاز بحضور ركحي كبير مما يثير حفيظة المحافظين في أحيان عدة وغيرة المنافسين في أحيان أكثر. وذاع صيتها في البلدان العربية، إلا أنها لم تواصل في الغناء على الصعيد العربي.

قيود السياسة

فاخت امرأة اكتفت بشهرتها في بلدها. ولم تسع إلى الهجرة خارج حدود الوطن، لم تغيّر لهجتها واكتفت بـ"نحبّكم". لم تغرها كلمات المشرق والشهرة العربية، لكن رغم ذلك فهي "معشوقة الجماهير" في بعض البلدان العربية، في العراق مثلا أين أحيت حفلتين في التسعينات.

وعن تلك الحفلة، تقول إن مدير التلفزيون العراقي تابع حفلتها في مهرجان قرطاج وعاد إلى بلاده يحمل شريطا مسجلا لحفلتها أذيع باستمرار على التلفزيون العراقي حتى أصبحت نجمة جمهور عريض في العراق.

لم تستدرجها الشهرة ورفضت الغناء مع الفنانة السورية أصالة. روت أصالة نفسها الموقف وكيف كانت تريد الدخول إلى تونس من بوابة فاخت وحين كان "الديو الغنائي" موضة دارجة جدا اتصلت بها لتعرض عليها الغناء معها لتجيب أم أمينة إن "ابنتها نائمة ولن تستطيع مخاطبتها".

تعرضت فاخت للهجوم بعد ثورة العام 2011 التي أطاحت بنظام الرئيس الأسبق زين العابدين بن علي من قبل أشخاص مجهولين بقصد انتمائها وقرابتها من العائلة الحاكمة، فغادرت تونس نحو باريس. اختفت عن الساحة لمدة، لكن ظل اسمها حاضرا، وفي كل دورة من مهرجان قرطاج يكون السؤال الرئيسي للجمهور هل هناك حفلة لأمينة؟

وعاد اسمها ليرتبط بالسياسة مرة أخرى، في الانتخابات الرئاسية الماضية، حيث وجدت فاخت نفسها مجبرة أيضا على نفي علاقتها بحركة النهضة الإسلامية بعدما تردد أنها تساند مرشح النهضة للرئاسة عبدالفتاح مورو. وتوجّهت "فنانة الشعب" بالاعتذار لهذا الادعاء المزعوم كما كذبت وبشدة هذا الخبر واعتبرته "نوعا من أنواع استغلال الفنّ والفنّانين لأغراض سياسويّة".

ترجع ابتعادها عن الساحة الفنية منذ الثورة التونسية إلى "سوء معاملة الإعلام لمسيرتها الفنية من خلال تقديمها في صور مسيئة لشخصها"، وفق تعبيرها. وتقول إن الصور التي كانت تلتقط لها أثناء مختلف حفلاتها، هي التي تسببت في اختفائها عن الميدان الفني. وقد توجهت أمينة باللوم إلى المصورين، معتبرة أنهم كانوا يتعمدون تصويرها من زوايا تبرزها في مظهر ربما غير لائق في أعين جماهيرها.

تظهر فاخت تسامحها مع وسائل الإعلام. وتقول "يظلمونني ويجرحونني وأسامح.. هناك قناة تلفزيونية مثلا سمحت لها بتصوير 3 دقائق من حفلي في الحمامات. فسرقوا ساعة ونصف الساعة وصوروا خلسة وبثوا كل شيء. ظهرت كما أنا بعرقي وتلقائيتي وشكلي.. دون مراعاة لحقوقي واحترام لصورتي وكرامتي". وتتابع "مؤخرا شاهدت صحافيا يقول إن أمينة صوت كبير في شخص صغير. ظللت أبكي أسبوعا. أنا إنسانة لي كرامة ولست تمثالا".

ورغم ذلك تصر على أنها متمسكة بصون حرية التعبير وتدعيمها بكل الجهد وتحصينها من المزالق، إلا أنها لها موقف مبدئي من الإعلام الفاسد الذي أعلنت القطيعة معه منذ 20 عاما، حيث ظلت ترفض على امتداد عقدين الظهور في البرامج التلفزيونية وقبول دعوات الاستضافة إليها وحتى المرات النادرة التي ظهرت فيها لم تكن راضية عنها وأكدت أنها طلقت البرامج التلفزيونية منذ رحيل الإعلامي التونسي اللامع نجيب الخطاب وازدادت قناعة بتدحرج الإعلام إلى الحضيض بعد الثورة فهو يتفانى في خدمة الفنانين الأجانب وتلميع صورهم ويقلل من شأن الفنانين التونسيين ولا يستضيفهم سوى للسخرية منهم أو التقليل من شأنهم بدعوى اللهث وراء 'البوز'.

الفنان سمير العقربي يعتبر أن فاخت، ورغم كل ما تفعله، لم تترك شيئا كبيرا للذاكرة الموسيقية التونسية نظرا للعدد المحدود جدا لأعمالها الموسيقية. وهو الذي تعامل معها في عدة أعمال فنية من بينها «سلطان حبك»

وتضيف فاخت أن الإعلام فضفاض في مجمله يسير وفق أجندا خفية لضرب الهوية التونسية وقتل الإبداع ويشجع على الرداءة ويستثمر في مآسي الناس وفقرهم ومشكلاتهم الاجتماعية، فلا يقدم القائمون عليه إلا صورة مشوهة عما يعتبرونه واقعا غايتهم من وراء ذلك تكديس أرباحهم وتصفية حساباتهم.

غارقة في حب الوطن

صورت فاخت بمناسبة عيد الجمهورية يوليو الماضي فيديو كليب للنشيد الوطني الرسمي في ثوب جديد شاركها في أدائه كل من الفنانين لطفي بوشناق وصابر الرباعي وعزف الأوركستر السمفوني التونسي وطاقم الموسيقى العسكرية.

وحسب قولها، لا تفوت فرصة لتؤكد محبتها الصادقة للجمهور ولتونس مشيرة إلى أن بصمتها الفنية وخصوصيتها في الغناء وصدقها الخالص في الأداء من أبرز العوامل التي ساهمت في ترسيخ علاقة وفاء وإخلاص مع جمهورها رغم طول غيابها عنه.

تتحدث فاخت كثيرا عن حبّها لتونس الذي جبلت عليه منذ نعومة أظفارها ووصيّة أمها لها بأن تخلص في عشق الوطن. ولم تمسك نفسها عن البكاء عند التعريج على وضع البلاد وحصد الإرهاب لأرواح الأبرياء.

وفي هذا السياق أعلنت عن قرارها بتخصيص نسبة من مداخيلها المتأتية من حفلاتها في المهرجانات الصيفية لفائدة عائلات شهداء المؤسسة الأمنية.

يصح إطلاق عبارة الظاهرة على هذه الفنانة في تونس، إذ أثبتت جدارتها في بلد لا يعطي فنانيه حقهم، ولعل تصريح مدير الدورة الـ55 لمهرجان قرطاج الدولي مختار الرصاع وهو يصدح بأعلى صوته بأن الفنان التونسي غير قادر على ملء مسرح المهرجان الأثري خير دليل على ذلك، رغم أن الفنانين التونسيين بقوا هنا متشبثين بتونس يرفعون راية الأغنية التونسية ويحفظون ذكرياتها حتى تبقى الأغنية التونسية عنوان الهوية، لكن للأسف ليس من بينهم أمينة جديدة.

● لا تغني فاخت لجمهورها فقط بل تحدثه. لا يهم الموضوع، حتى ولو كان طبق المقرونة الحارة الذي أعدته. لذلك يعشق جمهورها حديثها كيفما كان، ويرفض مغادرة المسرح أحيانا بعد انتهاء الحفلة، ويهتف عاليا "ماناش مروحين".

العرب الثقافي
الأحد 2019/11/03
السنة 42 العدد 11517

لا مرشد أعلى في صفحات فيسبوك

الشبكات الاجتماعية مشروع مستمر للتمرد على مركزية القيادات

هيثم الزبيدي
كاتب عراقي

لعل أجمل ما في الشبكات الاجتماعية أنها تعاكس المنطق الاجتماعي الذي يفرز قيادات وزعامات.

القياديون حالة طبيعية تعوّدنا عليها. البيت الأكثر حضورا في العشيرة يفرز القيادة، في البداية بالمبادرة، ولاحقا بالأحقية والأقدمية. تتآلف العشائر والأفخاذ مع بعضها البعض ليبرز التجمع القبلي. في القبيلة يتقدم الأفضل أو المفوّه أكثر، من بين البيوتات الأكثر حضورا، ليصبح شيخا. تنحو بعض القبائل لكي تتآلف وتتقارب وتشكل الدول. الدول تحتاج إلى أمراء وملوك، ومؤخرا إلى رؤساء.

> لا يوجد مرشد أعلى في صفحات فيسبوك، ولا زعيم تقف الدنيا عنده بكل وقار وإجلال

الأديان تنطلق من النبي القائد المؤسس. كاريزما القائد، بقوتها وصرامتها أو ضعفها وتواضعها، تشكل هيئة الدين وصورته. لكنه بشر، فتبدأ عمليات الفرز فيما بعد رحيله. بعض عمليات الفرز بسيطة، وأخرى تكون على شكل صراعات بل وحروب أهلية. لكن الأمر يؤول إلى تشكيلة سياسية تمثل الدين، سواء اسمها مجمع كاردينالات أو مجلس شورى أو الدولة الأموية أو الدولة العباسية.

الأحزاب قبائل سياسية. الأفراد يتجمعون لصلة الفكر وليس برابطة الدم، أو على الأقل هكذا يبدو الأمر في بداياته. العصبية الحزبية هي وجه من أوجه العصبية القبلية بفارق تعريف القربى، ابن العم أم الرفيق الحزبي. والأحزاب تحتاج زعماء وأمناء عامين ومرشدين ومكاتب سياسية ولجانا مركزية. في مرحلة ذكاء الأحزاب، في بداياتها عادة، يكون الانتقاء ذكيا. بعد هذه المرحلة تبدأ الترهلات ويتم التصعيد بالأقدمية حتى وإن كانت الشكليات هي المؤتمر العام والترشيحات من القواعد إلى القمة والانتخابات.

في كل هذا تتم المحافظة على التراتبيات. التراتبيات القبلية صارمة عادة رغم أنها لا تنظّم بقوانين مكتوبة. لا أحد يكسر "نهوة" الشيخ. شيوخ القبائل قد يجلسون في مجالس مفتوحة توحي بالديمقراطية ويكونون خريجي جامعات محترمة ويقلّبون برامج التلفزيون بين الفضائيات ويتراسلون بواتساب على الهاتف المحمول. لكنهم يمارسون ما كان يمارسه آباؤهم وأجدادهم من سلطة معنوية على القبيلة لا ترضى بأن يتم تحديها.

في المؤسسات الدينية والدول الناتجة عنها، لا أحد يتردد في استخدام خطاب التكفير عند بروز المعارضة أو حتى محاولات الإصلاح. الدين مؤسسة ثورية، ولكن في مراحلها الأولى فقط. في عالم الدين، هناك ثورة واحدة حدثت منذ زمن وعلى الأمور أن تستقر بعدها، استقرارا نهائيا لا جدل فيه ولا فصال. أمانة الدين وضعت بين أيدي رجال الدين أو رجال السلطة المسلحة بشرعية الدين.

الحزبيون يقصون رفاق الأمس بكل قسوة. الأحزاب تفرز قيادات عندما تكون في مرحلة السرية أو أول مراحل استلام السلطة. بعدها يكون الصراع والترقب والمنافسة هي الأساس. في الأحزاب الديمقراطية الغربية تكون العملية منظمة وإن كانت لا تخلو من خيانات وتكتلات ودموع. في مجتمعات تختلط فيها السياسة بالقبلية، أو بالمبالغة بتصديق الدافع الأيديولوجي، قد يكون الإجراء للحفاظ على السيطرة هو العنف. رفاق يعدمون رفاقهم أو يسجنونهم أو ينفونهم.

الشبكات الاجتماعية غير، فهذه ليست مشروع تمرد على السلطة ومركزية القيادات والتراتبيات، بل هي أكثر من ذلك. قد تفرز شخصيات لافتة. قد تملك قداسة غير مباشرة وتوجّه الرأي. بعض هذه الصفحات بلا وجه معرّف واضح. هذا طبيعي. لكنها بقوتها وشعبيتها لديها قدرة استثنائية كامنة على خلق عناصر التمرد على هذه الشخصيات منذ أيامها الأولى. صفحة فيسبوك لمثقف أو سياسي أو ناشط هي سجلّ لأفكاره وتناقضاته وردود الآخرين عليه وتشخيصهم لعيوبه مثل حسناته. هي السجل لردود فعله أيضا على الآخرين وعلى الأحداث بما لا يتيح له أن يختبئ خلف التصنع والترفع واللغة الجميلة.

هذا لا يعني أن الجميع يسقط أو ينهار أو يفضح نفسه. كثيرون يحافظون على احترامهم وجديتهم ونستطيع ان نلتقط بسهولة ميزان حسناتهم وسيئاتهم ونرجّح كفة. ولكن الفرق هو أن جمهرة المثقفين أو السياسيين الجيدين غير محصورة بعدد محدود أو مقطوع مرتبط بحزب أو قبيلة أو طائفة أو دين. لو وضع أحدهم مسمّى لنفسه على أنه الأمين العام لتجمع الناشطين المدافعين عن القضية الفلانية، سرعان ما سيتلقى سيلا من الردود الناقدة أو الساخرة، ربما قبل وصول رسائل التأييد.

هذا ربما سبب الحيرة التي يواجهها العالم الآن مع حركات الاحتجاج والتمرد. فلا مركزية الحركات شيء استثنائي، ولا تعرف مع من يمكن الحديث للحد منها أو مفاوضتها. بل إنها قد تتجمع على هدف وتختلف على أهداف مما يزيد من صعوبة تفسير الظاهرة والتعامل معها.

لا يوجد مرشد أعلى في صفحات فيسبوك، ولا زعيم تقف الدنيا عنده بكل وقار وإجلال، ولا رئيس للمكتب السياسي لحزب المتجمعين من أجل السعادة أو الغضب أو حقوق النحل. الكل سواسية كأسنان المشط.

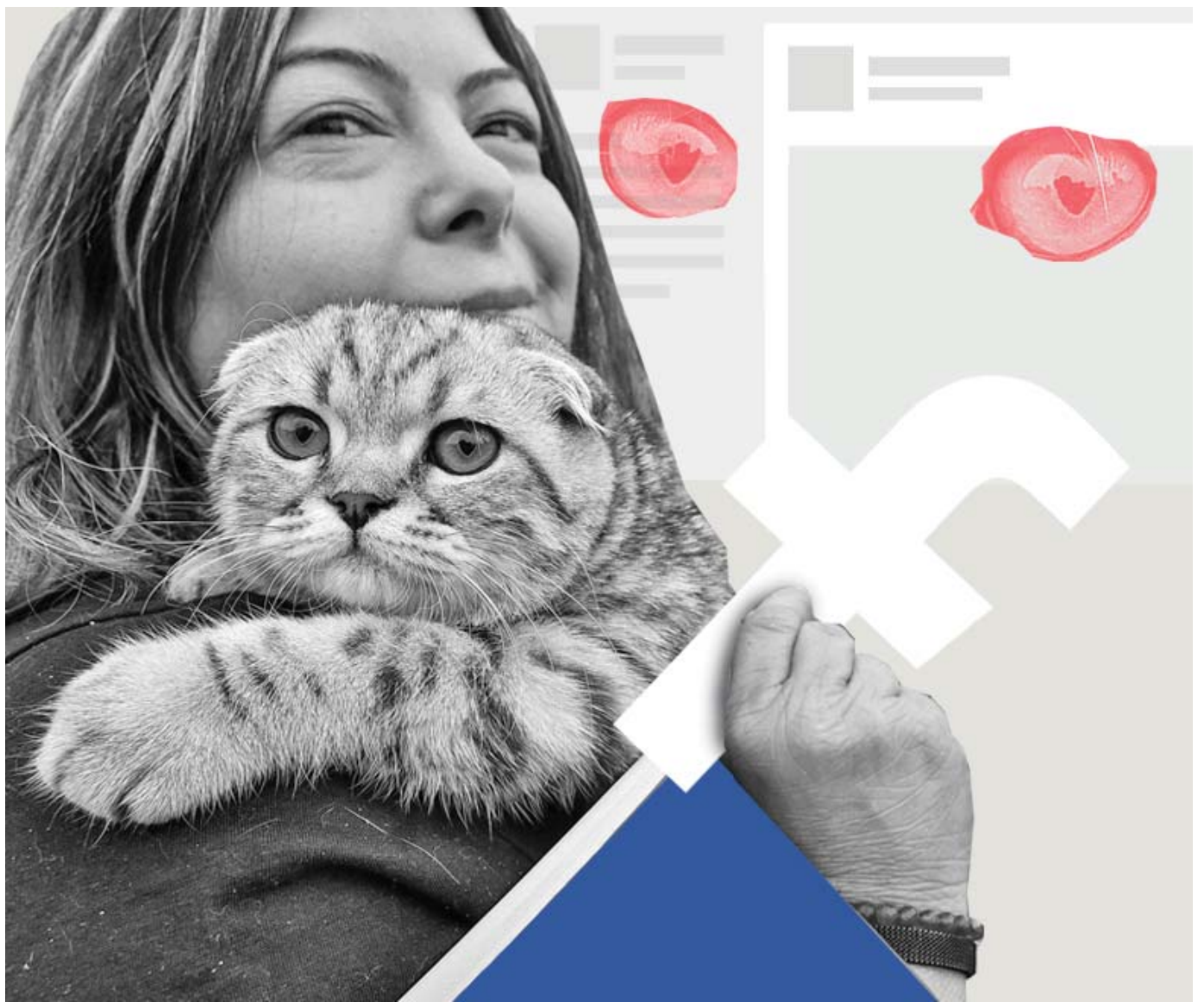

الشبكات الاجتماعية قد تفرز شخصيات لافتة (غرافيك «العرب»)

مجتمع المراقبة أو الرّق الإرادي الجديد

ساد الظن بأن العالم يشهد ما توقعه جورج أورويل في روايته الشهيرة «1984» من إخضاع الناس لمراقبة الأخ الأكبر، ثم جيل دولوز كوجه حديث للعرّاف الذي يستشعر لحظات التفرّع، ويحاول رصد الاحتمالات الخطرة أو الإيجابية لما يلوح بريقه في الأفق، وكان حذّر هو أيضا في كتاب «حاشية حول مجتمعات المراقبة» مما مخاطر الثورة الجديدة. ولكن ما نشهده اليوم فاق تلك المحاذير، لأن التكنولوجيا، التي كانت تكتفي بمراقبتنا ونحن نسعى داخل هذا العالم، صارت تهيئ لنا عالما حسب ميولنا ورغباتنا.

أبو بكر العيادي
كاتب تونسي

لقد اتخذت مراقبة المجتمع على مرّ الأزمان خصائص نماذج ثلاثة، كما بين الفيلسوف الفرنسي مارتن لوغرو، تمّ مزجها ببعضها بعضا، مع الحرص على تخليصها بدهاء من بعدها الاستبدادي، أولها المشتمَل الذي ابتكره الفيلسوف الإنكليزي جيريمي بنثام، والثاني الشاشة الشمولية للأخ الأكبر التي تصورها جورج أورويل، والثالث المراقبة في العصر الإلكتروني كما وصفها دولوز.

فأما الأول، أي المشتمَل، وهو بناء مصنوع بشكل يجعل المراقب يرى دون أن يُرى، وينسب إلى جيريمي بنثام (1748–1832) الذي تصور مراقبة عقلانية تسمح بالجمع بين الأمن الجماعي وموافقة الأفراد، وكان بنثام قد عرض عام 1791 على المجلس الوطني الفرنسي الذي تشكل عقب الثورة مذكرة حول المبدأ الجديد لبناء دور مراقبة، أي مشروع سجن مثالي تكون فيه الزنزانات الفردية مبنية في شكل حلقة يتوسّطها برج مركزي، يمكن للحارس أن يرى من داخله المساجين دون أن يبصروه. وهو تجهيز يخضع لمبدأ الشفافية أو المراقبة بشكل يصيب الخيال أكثر مما يصيب الحواس، ويضع مئات الرجال رهينة لشخص واحد، ليكتسب نوعا من الحضور الكوني. يقول بنثام: «أنْ يكون الفرد باستمرار تحت أنظار مراقب، فذلك يفقده القدرة على فعل الشر، وحتى التفكير في إتيانه.» هذا النموذج، في حال نشره على نطاق المجتمع برمته، لا ينتج دولة شمولية بل مراقبة متبادلة للمراقبين والمراقبين، تسمح للمجتمع الليبرالي بتثبيت ما يسمّيه بنثام «محكمة الرأي العام». ذلك أنه كان ينظر إلى الصحف والاقتراع وحياة البرلمانات كوسائل مراقبة مشتركة، وينظر للحد من الحرية عن طريق حث كل فرد، باعتباره منحرفا محتملا، على تقدير مزايا امتثاله للقوانين. وكان فوكو قد لاحظ في كتابه «المراقبة والمعاقبة» أن «بنثام وضع مبدأ يقوم على ضرورة أن تكون السلطة مرئية وغير قابلة للتحقق منها. مرئية: أن تكون عينا السجين مشدودتين بلا انقطاع إلى الطيف العالي للبرج المركزي الذي يُتجسَّس عليه منه. وغير قابلة للتحقق: ألا يعلم السجين ما إذا كان في تلك اللحظة منظورا إليه، ولكن ينبغي أن يكون واثقا من أنه دائما كذلك.» هذا النوع من السلطة، الذي يُخضع الأفراد من خلال تأكيد رؤية دائمة لسلوكهم، عاد إلى الظهور في هذه المرحلة عبر المراقبة الشاملة للاتصالات من طرف وكالات الأمن كوكالة الأمن القومي الأمريكية NSA، أو التوقعات السلوكية التي تقترحها الـ «غافام» (الأحرف الأولى لغوغل، آبل، فيسبوك، أمازون، ميكروسوفت).

أما النموذج الثاني، فهو الذي تخيله جورج أورويل في روايته «1984»، ويطرح نوعا من المراقبة تتصل بسطلة مركزية شمولية، أداتها «شاشة» مثبتة في كل بيت هي عين الحزب وزعيمه الأخ الأكبر. في هذا المثال، لا تلغي المراقبة الحياة الخاصة فقط، بل تسعى إلى إخضاع الفرد إخضاعا راديكاليا، بالنفاذ حتى إلى أفكاره. فالشاشة التي تتلقى الأخبار وتبثها تهدف إلى التقاط كل السلوكيات والتعابير الناشزة، لمنع «جريمة التفكير». هنا أيضا لا يعرف الفرد ما إذا كان مراقبا في هذه اللحظة أو تلك، ولا متى تدخل شرطة الفكر على الخط، ومن ثَمّ كان الناس يتصورون أنهم، كلهم بلا استثناء، مراقبون على الدوام، ذلك أن كل صوت يمكن أن يُلتقَط، وكل حركة يمكن أن تُلاحَظ، إلا إذا كان صاحبها يلتحف الظلام.

هذا النوع من المراقبة نجده اليوم مع تطور سوق الوسائط الصوتية التي احتلت الصالونات والمطابخ وغرف النوم، وكذلك الفنادق والمدارس والمستشفيات، مثل أليكسا، التابعة لأمازون، التي تعدّ مئة مليون مستعمل، وتقترح خدمات من شتى الأنواع، من طلبية عشاء أو مقطوعة موسيقية إلى محادثة ودية مع ذكاء اصطناعي حول موضوع فلسفي. تلك الأجهزة تسجل محادثات المستخدمين، حتى الأطفال، وهواياتهم المفضلة، لتنقلها إلى جيش كامل من الموظفين يتولون تحليل تلك التسجيلات وفكّ شفرتها؛ أي أن أمازون، على سبيل المثال، تستخدم حرفاءها كفئران تجارب، لتحسين الخدمات كما تزعم، ولكنها قد تستعملها لغايات مغايرة، مثل وسيلتها الأخرى رينغ، التي تدير كاميرات مراقبة مجهزة بوسائل التعرف على الوجه، ومتصلة مباشرة بمخافر الشرطة في بعض الأحياء الأميركية. تلك الوسائل، التي استعملتها في البداية وكالات مكافحة الإرهاب والأنظمة الاستبدادية، يمكن أن تشكل رافعة نفوذ هائلة، في قطيعة تامة مع الحريات الفردية التي تضمنها الأنظمة الديمقراطية.

وأما النموذج الثالث، فهو الذي تحدث عنه جيل دولوز في كتابه «هامش حول مجتمعات المراقبة» الصادر عام 1990، أي عقب سقوط الشيوعية وقبل أن تحدث الثورة الرقمية انقلابا على نظام المجتمعات، فقد جمع دولوز علامات متفرقة عن تحول لم ينتبه أحد لحدوثه، كنهاية المجتمعات التأديبية بالمعنى الذي ذهب إليه بنثام وفوكو، تلك التي تقوم على فضاءات حبس مغلقة، فقد كتب يقول: «إن مجتمعات المراقبة بصدد الحلول محل المجتمعات التأديبية. وعزا ذلك التحول إلى التكنولوجيا الجديدة، تكنولوجيا الحواسيب والسيبرنطيقا، التي باتت تسمح للمجتمعات الحديثة بالعمل «وفق مراقبة مستمرة واتصال فوري»، فكانت النتيجة أنْ عوضت المؤسسة المصنع، مثلما عوّض التكوين المستمر التربية، والمراقبة المستمرة الامتحان، فبعد أن كانت المجتمعات التأديبية محكومة بكلمات نظام، تحدّد الفرد بمكان ورقم، صارت مجتمعات المراقبة تمنحه «كلمات سرّ».

> هذا النوع من المراقبة نجده اليوم مع تطور سوق الوسائط الصوتية التي احتلت الصالونات والمطابخ وغرف النوم، وكذلك الفنادق والمدارس والمستشفيات

ودولوز استبق ما نعيشه اليوم حين لاحظ أن الذكاء الاصطناعي لا يتعامل مع الفئات الاجتماعية أو مصائر الأفراد، بل مع آثار سلوكية مخزَّنة في بنوك معلومات، وكتب يقول: «إن الفرد صار متعدّدا، والجماهير أصبحت عيّنات، والمعطيات أسواقا أو بنوكا.» كما لاحظ أن المقاومة نفسها اتخذت أوجها أخرى، فقد نابت القرصنة عن الإضراب، وصار بإمكان الفرد أن يغير شقته، وشارعه، وحيّه بفضل بطاقة إلكترونية تستطيع أيضا رفع كل الحواجز، لأن المهم ليس الحاجز، بل الحاسوب.

كابوس عصر رأسمالية المراقبة (غرافيك «الجديد»)

العرب
الأحد 2019/11/03
السنة 42 العدد 11517

الهوية المفتوحة والمصائر المشتركة

أمين معلوف: لا أعرف إلى متى سيتظاهر اللبنانيون ولا ما هو مستقبل النظام اللبناني

أمين معلوف: عشت في فرنسا منذ أربعين عاما وما زلت لبنانيا (غرافيك «الجديد»)

الكاتب اللبناني، أمين معلوف، (70 عاماً)، يحث المهتمين برأيه على التزام الحكمة والشفافية في المواقف والسياسات، لا سيما وأن الأمر أصبح الآن دقيقاً وحاسماً، محذراً من أن الإنسانية في لحظتنا الراهنة تسير نحو الغرق. ويدعو معلوف الأمم والثقافات إلى تحمّل المسؤولية الجماعية لإيجاد الحلول تجنباً لسوء المصير. يعرض معلوف هذه القضية في كتابه الأخير "غرق الحضارات" الذي قدّمه للقراء يوم الأربعاء الـ23 من أكتوبر في مدريد. في مؤسسة "البيت العربي"، لم يكن هناك مكان متاح لكل من شارك في حدث ترك بصماته على تأملات كاتب تميز بفكر نير ومعرفة عميقة بالواقع الحقيقي للدول العربية. اسم أمين معلوف محفور في تاريخ الثقافة الفرانكوفونية. وهو يعتبر واحداً من أكثر الأصوات نفوذاً في المجال الثقافي في العالم العربي من خلال مجموعة من أعماله البحثية مثل "الحروب الصليبية كما رآها العرب" و"الهويات القاتلة"، وأعماله الروائية "ليون الأفريقي" و"سمرقند" و"حدائق النور" و"صخرة طانيوس" و"سلالم الشرق" وغيرها. جرى الاعتراف بعمله كروائي على الصعيد العالمي، وقد فازت روايته "صخرة طانيوس" بجائزة غونكور في عام 1993. وفي عام 2010، تم الاعتراف بحياته المهنية الطويلة من خلال منحه جائزة أميرة أستورياس. قبل ساعات قليلة من عرض قدم خلاله عمله الجديد في مدريد، استقبل أمين معلوف فريق موقع "أطلیار" للتحاور معه في الأسباب التي يمكن أن تقود سفينة الإنسانية إلى الغرق.

■ الجديد: هل تشعر بالتفاؤل بين حاضرنا وما نسميه مستقبلنا؟

● **أمين معلوف: ليس في وسعي أن أقول إنني متشائم. أعتقد أن هناك مشاكل خطيرة يجب أن نكون على دراية بها ونحن بحاجة إلى حلها. لا يمكننا القول أنه لا توجد حلول، لأن مسؤوليتنا هي إصلاح هذا العالم. علينا أن نتعايش معا، وعلينا أن نبني حياتنا المشتركة على أرض صلبة، ونحن بحاجة إلى إيجاد حلول. ولا أظن أن اليأس والتشاؤم أحد هذه الحلول.**

أكثر من هوية

■ الجديد: أنت عربي ومسيحي وشامي ولبناني وفرانكوفوني وتعيش في أوروبا؛ هوية واحدة، ولكن بمتفرعات متعددة. ما رأيك في حلم الاتحاد الأوروبي، الذي جمع 27 هوية في عضوية واحدة؟

● **أمين معلوف: أعتقد أن مفهوم "أوروبي" لا يحتاج إلى أن يكون وحيداً. أعتقد أن الموقف الأكثر حكمة والأكثر واقعية والأكثر عدالة هو أن كل شخص يستطيع اكتساب هذه الصفة. أنا، كما تقولون، وُلدت في لبنان، لكنني عشت في فرنسا منذ 40 عامًا. ما زلت لبنانياً، لكني أصبحت فرنسيًا أيضًا. أنتمي إلى كلتا الهويتين ولا أريد الانفصال عن أيّ منهما. يوجد العديد من الأشخاص في أوروبا ممّن لديهم هويات متعددة، والذين هاجروا مثلي من مكان إلى آخر ويرتبطون ببلدهم الأصلي بالطريقة نفسها التي يرتبطون بها ببلدهم الذي يستضيفهم. والبعض الآخر لديه ارتباط إقليمي أو لغوي كبير بهذا البلد.**

الموقف الوحيد المعقول، من وجهة نظري، هو تشجيع كل شخص يملك أكثر من هوية على قبول تعدّد هوياته، والعيش في وئام مع كل منها. هذه هي الطريقة التي ستفوز بها أوروبا والتي ستساعدها على ازدهار الاتحاد الجامع لكل هذه الهويات. ومع ذلك، فإن البحث عن أدنى قاسم مشترك بين 27 دولة أوروبية هو منظور مقيد للغاية. الشيء المهم هو أن نرى إلى أين تمضي كل من هذه الهويات التي تشكل أوروبا لأنها، كما أراها، هي التي توحّد أوروبا مع العالم بأسره.

الخوف من الآخر

■ الجديد: دافعت دائمًا عن الحاجة إلى بناء الجسور بين الثقافات، وخاصة بين ضفتي البحر الأبيض المتوسط. هل تعتقد أن هذا ممكن في ظل هذا العصر الذي تزدهر فيه القومية وكراهية الأجصورةانب والعنصرية والفردية؟ هل هذا ممكن؟

● **أمين معلوف: أعتقد أنه عندما تبرز مظاهر الشعبوية وكراهية الأجانب والعنصرية، فغالبًا ما يكون هناك سبب، ومن الضروري معالجة هذه القضية. عندما يكون لدى الشخص سلوك يتسم برهاب الأجانب والعنصرية فهناك حتماً خوف من شيء ما. ليس من الضروري أن تقول ببساطة "لا تخف"، بل من الضّروري محاولة فهم سبب خوفهم ليكونوا قادرين على معالجة هذا السبب. نحن في هذا العالم الصعب والمعقد، حيث يرى الجميع الأحداث وكل شخص لديه سبب للخوف من كل ما يحدث. لذلك، يأتي دور الزعماء، والأشخاص ممن يتعاملون مع وسائل التواصل أو الكتابة، وهو السماح للناس بالعيش في وئام مع بعضهم البعض، ومساعدتهم على التغلب على المشاكل والأحداث التي يعيشونها.**

الناس سواسية

الجديد: عشت في دول عربية مختلفة ذات غالبية مسلمة. هل تعتقد أن هذه الدول الإسلامية تدرك حقًا الحاجة إلى مواجهة تحديات الحداثة؟ هل حقيقة أنه لم يتم حتى الآن تصميم نظام سياسي ملائم للعصر الحالي ما يجعلنا نعتقد أن الإسلام يتعارض مع العقلانية العلمانية للثقافة الحديثة؟

● **أمين معلوف: اهتمامات الناس هي نفسها في بيروت أو الجزائر أو مدريد أو بوغوتا. يسأل الناس عن الشيء نفسه، لديهم التطلعات العميقة نفسها. يريدون أن يعيشوا حياة أفضل، وأن يكون لديهم المزيد من الكرامة، وأن يكونوا في بيئة تسمح لهم بتطوير ملكاتهم الشخصية. أنا مقتنع بأنه لا توجد اختلافات كثيرة بين تطلعات العالم العربي وتطلعات العالم الغربي. لا يوجد أيّ تعارض، على الرغم من أن التاريخ عرف أزمنة ظهرت فيها حضارات أفضل من غيرها. ومع ذلك، يتغيّر العالم اليوم بشكل ملحوظ، إنما الهدف النهائي هو إرادة الناس ونزوعهم لتحسين حياتهم.**

مسألة اللامساواة

■ الجديد: أنت تلاحظ أننا على الرغم من امتلاكنا جميع الوسائل المتاحة للتصرف بشكل صحيح، فإننا نصرّ على التصرف بطريقة خاطئة ومضللة. ومع ذلك، ووفقًا للعديد من مصادر الدراسة الأخيرة لك، يمكن الاستنتاج أننا نعيش في أعدل وقت في التاريخ. فالبيانات التي يقدمها برانكو ميلانوفيتش في كتابه "عولة اللامساواة" أن مستوى عدم المساواة الاجتماعية في العالم قد انخفض إلى حد كبير. أليست هذه البيانات سببًا مقنعًا للتفاؤل؟

● **أمين معلوف: يدور الأمر هنا حول قضيتين. في المقام الأول، الفكرة الأولى التي تم تطويرها في غضون السنوات الأخيرة، مفادها أننا نعيش في وقت أقل عنفًا، وهذا صحيح. وهي تستند إلى العديد من الدراسات التي أجريت على عصور ما قبل التاريخ والتي تسجل معدلاً للوفيات بسبب العنف أعلى مما هي عليه في الوقت الحاضر. ومع ذلك، لا ينبغي أن يكون لدينا شعور زائف بالأمان لإقناع أنفسنا بأن كل شيء يسير على ما يرام، لأننا اليوم لا نمتلك نفس المتطلبات، ولا يمكننا الاعتماد على انخفاض عدد الأشخاص الذين يموتون بعنف. الأمر هنا يتعلق بمعرفة ما إذا كنا نستخدم القوة التي نمتلكها بشكل جيد، وما إذا كنا نتحرك بشكل صحيح نحو نماذج متطورة. لا ينبغي لنا أن نُسكت ضمائرنا بمنتهى البساطة.**

ثانياً، هناك قضية عدم المساواة. وأنا أوافق أن التمييز انخفض على مدى فترة من التاريخ، وفقا لدراسات الولايات المتحدة. ومنذ بداية الثلاثينات من القرن الماضي في عهد الرئيس الأميركي فرانكلين روزفلت انخفضت معدلات التمييز وعدم المساواة واستمرت هذه الممارسات حتى سبعينات القرن الماضي ومطلع الثمانينات منه. ولكن في السنوات الأخيرة، اختلف الأمر وبدأت معدلات عدم المساواة في التصاعد مرة أخرى. وكما ذكرت سابقًا، لا يمكننا مقارنة أنفسنا بالعصور الماضية. لذلك يجب أن نظل متيقظين. نحن ننجرف في تيار تفاقم مبادئ عدم المساواة. وأصبح مبدأ المساواة، الذي كان مقدساً لسنوات عديدة، الآن موضع تساؤل. نشاهد اليوم العديد من الشخصيات العامة التي ينمو وضعها الاقتصادي يوميًا بشكل غير مسبوق.

تظاهرات اللبنانيين

■ الجديد: السخط والغضب يغمران شوارع لبنان، موطنك الأصلي، ماذا يمكنك أن تخبرنا عن الوضع الحالي؟

● **أمين معلوف: انطلقت المظاهرات منذ فترة طويلة بسبب الصعوبات التي يواجهها اللبنانيون في العيش بشكل أساسي. حيث على مدى عدة سنوات، هناك انقطاع في التيار الكهربائي بشكل متكرر، وفي بعض الأحيان هناك نقص في المنتجات الأساسية مثل الخبز والأدوية. وحتى أن هناك صعوبة في الحصول على مياه الشرب.**

في لبنان، يعاني الناس كثيرًا من هذا الوضع. وفي الأسابيع الأخيرة، تسبّب فرض ضريبة جديدة على استخدام تطبيق التواصل "واتساب" في تأجيج غضب جماعي أدّى إلى خروج الناس إلى الشوارع للاحتجاج. لا أعرف إلى أين سيمضي هذا التظاهر أو إلى متى سيستمر، لأن النظام السياسي في لبنان، على الرغم من ممارساته الفاسدة، إلا أنه نظام قوي ومترسخ للغاية، لدرجة يصعب معها إزالته أو الإطاحة به. لا أعرف ما الذي سيقدر المحتجون على فعله، لكن نواياهم بالتأكيد حسنة وشرعية للغاية.

السودان، الجزائر، العراق

■ الجديد: هناك وضع آخر مشابه يحدث في الجزائر، في ما يسمى بالحراك الشعبي. هل تعتقد أن الشعب الجزائري سيحصل في النهاية على مطالبه بإقامة ديمقراطية حرة؟

● **أمين معلوف: ليس فقط الجزائر التي تمرّ بشيء من هذا القبيل. كان هناك عدد كبير من المواقف المثيرة للاهتمام في الأشهر الأخيرة حدثت في دول أخرى، كما في السودان، حيث أدى الاحتجاج إلى عمل تغيير حقيقي. لا أعرف ما الذي سيحدث في المستقبل، ولكن في الوقت الحالي، تم انتخاب حكومة مقبولة من قبل الشعب السوداني على ما يبدو، ولديها منظور جديد حول المستقبل، لذلك سيتعين علينا أن ننتظر ونراقب.**

وبالمثل، تتكرر الوقائع نفسها في العراق، رغم أن الاحتجاجات في هذه الدولة كانت أكثر عنفًا، وقد نتجت من انعدام الثقة في النظام السياسي. الوضع في العراق يشبه بشكل ما الوضع في لبنان، لأنه على الرغم من أن النظام السياسي في العراق ليس قوياً بالدرجة الكافية، إلا أنه من الصعب استبداله، لأنه يقوم على التوازن بين مختلف الفصائل في البلاد. من الصعب للغاية التحول عن هذا النظام، وحتى الآن لم يحدث أي تغيير جذري.

أما بالنسبة إلى الجزائر، فالوضع يبدو غريباً بعض الشيء. فالناس في الشوارع منذ عدة أشهر، ورغم ذلك، تبدو المظاهرات هادئة ومسؤولة. الغريب في الأمر أن المتظاهرين لم يقدموا بدائل بعد، ويزعمون أنهم لا يريدون هذا النظام السياسي المليء بالمافيا والفساد. وعلى الرغم من نجاحهم في إقالة بعض أفراد السلطة، إلا أنهم ليس لديهم قادة سياسيين يمكنهم تحمل المسؤولية وتنفيذ التغيير بأنفسهم.

يرفض المتظاهرون إجراء انتخابات، لأنهم يعتقدون أن المرشحين الذين سيخوضون الانتخابات ينتمون إلى النظام القديم. لذلك، يجب على الأشخاص الذين يحتجون تعيين مرشحيهم. لا أعرف إلى أين سيفضي بهم هذا الطريق في نهاية المطاف، لكن ما أعتقده أن من الصحي للغاية رؤية ردود الأفعال هذه.

شيئان مختلفان

■ الجديد: لذا، يمكن أن يكون المثال هنا هو تونس. لكن هل التعايش بين الديمقراطية والإسلام ممكن؟

● **أمين معلوف: نحن نتحدث عن شيئين مختلفين. لا أعتقد أن أيّ حركة دينية يجب أن تلعب دورًا لصالح الديمقراطية أو ضدها. أعتقد أنه يمكن للشعوب أن تكون ديمقراطية، وأن يكون لدى المجتمع نظام قائم على الانتخابات، وأيضًا يمكن لهذا الشعب في الوقت نفسه أن يكون لديه المعتقدات الدينية التي يريدها. لا أؤمن بأيّ نوع من التواؤم أو التعارض بين الدين والنظام السياسي، لأنهما كيانان مستقلان.**

ولهذا السبب فإن ما يحدث اليوم في تونس يثير الدهشة، حتى أن التونسيين أنفسهم مندهشون. الرئيس الجديد الذي تم انتخابه، قيس سعيد، غريب على هذا العالم. الناس لا يعرفون جيداً القرارات التي سيتخذها كرئيس. أعتقد أن الوضع في تونس صحي، وأنه من الأفضل لهم إجراء الانتخابات، وانتخاب مرشحين من غير المهنيين السياسيين. نأمل الأفضل لهذا البلد.

العرب وإيران

■ الجديد: من أجل استكمال صورة المنطقة، من الضروري مراعاة التوتر في منطقة الخليج. ما هو تأثير النزاعات بين دول المنطقة على الشعوب في السعودية والإمارات وإيران وسوريا وتركيا، إلخ؟

● **أمين معلوف: اعتاد الجميع على الاعتقاد بأن كل ما يحدث في منطقة الخليج سيؤثر على بقية العالم، لأن هذه المنطقة تعتبر قلب المخزون النفطي العالمي. ومؤخراً شهدنا حادثة الهجوم على منشآت نفطية، وكنتيجة لذلك توقف نصف إنتاج السعودية، أكبر دولة مصدرة للنفط في العالم، ولم يحدث شيء. لم تكن هناك أزمات كبيرة، حتى أن أسعار النفط لم تشهد ارتفاعًا كبيراً على المدى البعيد، وإنما فقط في الأيام التي تلت الواقعة توتّرت صورةالأسعار. هناك شيء ما يحدث، لكن من الواضح أن الأزمة في الخليج لا تؤثر على بقية العالم كما تصورنا.**

ما يحدث اليوم هو صراع بين مختلف الدول. بالتأكيد إيران قوة إقليمية لها تأثير كبير على العديد من الدول المجاورة لها -العراق وإيران وسوريا ولبنان وفلسطين واليمن- ولا يقف منافسوها في المنطقة على نفس المستوى. فالسعودية دولة غنية، لكن ليس لها التأثير نفسه، وجيشها ليس على المستوى المكافئ.

تعد إيران طرفًا مهمًا تقليديًا، لذلك إذا انسحبت الولايات المتحدة من المنطقة، والذي يبدو أنه أمر يمكن أن يحدث اليوم، إذ ذاك يمكن أن يحصل الإيرانيون على نفوذ أكبر في المنطقة. ومع ذلك، يظل الاقتصاد نقطة ضعفهم، لأنهم عرضة للحظر والعقوبات، وهذه كان لها تأثير سلبي عليهم في الآونة الأخيرة.

■ الجديد: في ظل ما يحدث اليوم مع التطرف الإسلامي والعنف، فإن معظم الناس يجدون صعوبة في تصديق وجود حقبة مثل تلك التي يصفها لبنان، بأنها فترة تعايش بين الأديان والثقافات المختلفة بشكل متناغم وسلمي. ما هي الظروف التي أتاحت مثل هذا التعايش في ذلك الوقت، والتي لا يمكن أن تتاح اليوم؟

● **أمين معلوف: إنه سؤال رائع، ليس من السهل الإجابة عليه. بيروت التي عرفتها حتى الستينات من القرن الماضي كانت تتميز بالتعايش بشكل متناغم بين الناس من مختلف الجهات والمعتقدات. أعتقد أن من الممكن استعادة طريقة العيش هذه، وأعتقد أنه لا ينبغي التخلي عن هذه الفكرة. نعم، يمكن أن نمرّ بفترات صعبة، لكن ليس بالضرورة أن تستمر هذه الفترات إلى الأبد. قد يواجه العالم العربي تغييرات. يجب أن نحاول تغيير الأشياء بطريقة تسمح لنا بالعيش معًا.**

■ الجديد: إنه لأمر مخيف أن نفكر في تحطم العالم العربي. هل لديك ثقة في الشباب لتصحيح أخطاء الماضي وهل ترى ثمة تغيير في الأفق؟

● **أمين معلوف: يجب أن يدرك الشباب الحاجة إلى التغيير. الفرق بين أجيالنا والأجيال الجديدة هو أن الشباب لديهم إمكانية الوصول إلى جميع الوسائل لتنفيذ هذه التغييرات. أنا متفائل حيال ذلك. نعم التغييرات ممكنة.**

■ الجديد: سؤال أخير من وحي وجودك الآن معنا في مدريد: ما هو الدور الذي يمكن لإسبانيا أن تلعبه في العلاقة مع العالم العربي؟

● **أمين معلوف: تتميز إسبانيا بأنها تتمتع بعلاقات قديمة وعميقة جدًا مع العالم العربي. في الوقت نفسه، لا يوجد صراع حقيقي كما كان يحدث مع القوى الاستعمارية القديمة. لم تأتي إسبانيا إلى المنطقة كقوة استعمارية، لذا فمن السهل جدًا على الدول غير الاستعمارية كإسبانيا أن تلعب دورًا وسيطاً بين العالم العربي وأوروبا.**

طبعاً، لأن المشاكل الحقيقية التي تعاني منها الدول هي، أساساً، مشاكل ذات طبيعة اقتصادية واجتماعية. القضية الاقتصادية والاجتماعية مهمة، ولكن هناك أيضًا قضايا أخرى تؤثر على الكرامة والهوية. لا يمكنك حقا فصل هذه القضايا المختلفة عن بعضها البعض، إنها حزمة قضايا قائمة بذاتها.

حاوره في مدريد
خافير هرناندس أريباس
هينار هيرناندس
نور عمار لعمرتي

العرب الثقافي
الأحد 2019/11/03
السنة 42 العدد 11517

سمير أمين وعصر الرأسمالية الاحتكارية

ثلاثة مقالات في نظرية القيمة لم تنشر من قبل في كتاب

يستكمل المفكر سمير أمين في هذا الكتاب "نظرية القيمة في عصر الرأسمالية الاحتكارية" ما بدأه في عمله السابق "قانون القيمة المُعولمة" على نطاق أوسع، حيث يضم ثلاثة مقالات مترابطة تشكل دليل قراءات تكميلي لما لم يتم الإسهاب في تناوله في كتابه السابق، ترجمها وقدم لها مجدي عبدالهادي مشيرا إلى أنها تناقش تناقضات منطق نظام الأسعار العيني المُعتمَد لدى الاقتصاد التقليدي مع العقلانية الاجتماعية، خلافا لكافة مزاعم ذلك الاقتصادي المُؤدلج عن التخصيص الرشيد للموارد، بالمعنى الفني الضيق، لكن المُؤطر بالمصالح الرأسمالية، كما يوسّع مناقشته لتحولات الرأسمالية، مُحللا وموصّفا لها كرأسمالية احتكار مُعمّم، تفاقمت ضمنها الممارسات اللاعقلانية والإهدارية؛ لحفظ التراكم الرأسمالي وتكريس الهيمنة البرجوازية؛ بما زاد مما تعانيه الرأسمالية من إشكالات متأصلة من تبديد وتدمير للموارد وإفقار واستقطاب اجتماعي وأزمات مزمنة تتفاقم نطاقات ووتائر انفجاراتها باستمرار.

محمد الحمامصي
كاتب مصري

أول المقالات التي ضمها الكتاب الصادر عن دار صفصافة "القيمة الاجتماعية ونظام السعر-الدخل" يتساءل أمين: هل أدى التقدم في إنتاجية العمل الاجتماعي، الناشئ في إطار توسع الرأسمالية، إلى "تقدم اجتماعي" بالمعنى الأوسع للكلمة "ولو لم يتم تحديده بدقة حتى الآن"؟

ويقول إن توسّع الرأسمالية محكوم بالقانون الرأسمالي للقيمة المُحولة، والذي لا يحكم فقط إعادة الإنتاج المُوسع، بل يحكم أيضا، باختصار، جميع جوانب الحياة الاجتماعية، التي تخضع لمتطلبات عمل وربح رأس المال ذات الأولوية، فليس هناك "اقتصاد سوق". باستخدام المصطلحات الشائعة المبتذلة- لا يؤدي إلى "مجتمع سوق"، فيما عقلانية القرار الاقتصادي، التي يقدمها الاقتصاديون البرجوازيون لا تعدو كونها عقلانية نسبية، تغدو لاعقلانية إذا ما ارتفعت من مستوى الإدارة الاقتصادية، إلى النطاق الكامل للحياة الاجتماعية.

> **التبسيط السوفييتي الذي انتهك الماركسية، كان قد أعلن «حتمية» الاشتراكية، واضعا بفعله هذا، محل المعالجة المادية الديالكتيكية للمادية التاريخية لماركس**

ولا يترادف تقدم القوى الإنتاجية، المرتبط بهذا المنطق، مع التقدم بمعناه الكامل؛ لأنه، كما كان دائما، يحمل تأثيرات بناءة ومدمرة في الوقت نفسه، ويستمر هذا التناقض بالتفاقم - الجوهري ضمن الديالكتيك المادي للتوسع الرأسمالي- ضمن الحدود التي تسمح بتقدم التاريخ في إطار هذا النظام، والذي وصل حاليا إلى درجة، يمكن القول معها من الآن فصاعدا، إن الجوانب المدمرة للرأسمالية أصبحت تغلب على مساهماتها التقدمية، وتبرز الحركة البيئية المعاصرة بشكل خاص كدليل هذا الانقلاب.

ويضيف "من جانبي أكدت على بعد مختلف للتناقض"، هو التفارق المتزايد بين الظروف المادية المتاحة للأغلبية في المراكز، وتلك المتاحة لنظيرتها في تخوم النظام الرأسمالي العالمي، والذي يمثل الشكل الرئيس للإفقار، الذي ربطه ماركس بشكل صحيح بتكشّف تناقض رأس المال/العمل؛ فقد مكّنته الأداة المنهجية الأساسية، الديالكتيك المادي، من الاستيعاب الكامل لازدواجية التقدم المحقق بالرأسمالية وضمنها، فيقول ماركس عن نمط الإنتاج الرأسمالي، إنه مع تزايد قوته، وبالتوازي مع توسّعه، يدمر الأسس الأكثر ضرورية للمجتمع، وهي "الإنسان" (العامل المُغترب والمُستغَل)، و"الطبيعة"؛ ومن ثم خلص ماركس إلى أن النظام الرأسمالي لا يمثل سوى مرحلة واحدة من التاريخ.

ففكرة أنها قد تكون "نهاية التاريخ"، كما هي متداولة هذه الأيام، أو بشكل أكثر حصافة، أنها نظام قادر على التكيّف اللامحدود مع متطلبات التغيير، هي بالكاد كلام فارغ، فالرأسمالية تكيّفت، واستطاعت التكيّف، مع كثير من المتطلبات، لكن ليس أبدا مع تلك الضرورية للتغلّب على تناقضها الرئيس.

ولم يستنتج ماركس من هذه النتيجة، أن الاشتراكية - كمرحلة تحرر إنساني أعلى في سلم ارتقاء الحضارة الإنسانية- "حتمية"، فمنهج الديالكتيك المادي يحرّم مثل ذلك الاستنتاج؛ فكانت لماركس بالتالي رؤية مفتوحة للمستقبل حتى ولو كانت متفائلة، رغم أنه لم يستبعد "التدمير الذاتي"، كما أشار صراحة.

ويوضح أمين أن التبسيط السوفييتي الذي انتهك الماركسية، كان قد أعلن "حتمية" الاشتراكية، واضعا بفعله هذا، محل المعالجة المادية الديالكتيكية للمادية التاريخية لماركس، تفسيرا ميكانيكيّا تشكّل فيه "القوانين" المُفترضة نظرية مكتملة ومغلقة للتاريخ.

وهكذا فآفاق المستقبل مازالت مفتوحة، لكن يجب الاستعداد لها، بالمساهمة في التطور بالدفع باتجاه تجاوز الرأسمالية، ببناء بديل اشتراكي، وبتقليل مخاطر التدمير الذاتي لسفينة الرأسمالية الغارقة.

أما عن كيف نستعد لمستقبل أفضل، يقوم على العقل والتحرر الإنساني "غير المنفصلين"؟ فقد وضع ماركس النضال الطبقي بقيادة الطبقة العاملة "البروليتاريا" في قلب إجابته على هذا السؤال، قائلا بوضوح إن الاشتراكية القادمة ستكون نتيجة لهذا النضال، لكنه رفض تحديد محتواها "مُقدما" بشكل تفصيلي.

ويضيف أمين أن الاشتراكية، كمرحلة من سلسلة مراحل على الطريق الطويل إلى الشيوعية، والتي تعتبر أعلى مراحل الحضارة الإنسانية، سيتوجّب عليها أن تطوّر استراتيجيات تقلل تدريجيًا- لتلغي في النهاية- سيطرة القانون الرأسمالي للقيمة المُحوّلة، لكن ماذا عن القيمة الاجتماعية وإنتاجية العمل الاجتماعي؟..

إن مفهوم القيمة الاجتماعية يضيء لنا الطريق، كما يوجهنا لتصور متطلبات بناء الاشتراكية القادمة، من إدارة اقتصادية قائمة على المنفعة الاجتماعية لتلك السلع والخدمات التي يقرر المجتمع في مجموعه "لا الرأسماليين" إنتاجها، إنه لا يقدم لنا وصفة مُسبقة التجهيز، بل مجرد مبدأ، وهو: الانصهار بين الإدارتين الاقتصادية والسياسية، وخضوعهما المشترك لعمل الديمقراطية المساوية للجميع، من مواطنين ومنتجين ومستهلكين، من طلبة المدارس إلى المتقاعدين.

وهكذا لدينا وعي واضح بالضرورة، وهي "هموم الحضارة" (باستخدام عبارة فرويد، لكن بمعنى مختلف)، التي تستشعرها فعلا كافة شعوب العالم المعاصر، وتتموضع مقترحات استراتيجية العمل المطروحة لتحقيق هذه الغاية، والتي طرحتها في كتاب تدهور الرأسمالية، ضمن نطاق هذه الرؤية، من محاولة المساهمة في إعادة خلق يسار راديكالي، أي راديكالي في نقده للرأسمالية، والذي بدأت صياغته على يدي ماركس، دون اكتمال بأي حال من الأحوال.

وفي المقال الثاني، المُعنون بـ"الفائض في الرأسمالية الاحتكارية والريع الإمبريالي"، تطرق أمين إلى مسألة القطاع الثالث، المعروف بالخدمات، الذي تورّم اصطناعيًا في ظل الرأسمالية الاحتكارية كحل لإشكالية عدم التوافق بين نمو الأجور ونمو الإنتاجية بسبب الطابع الاستغلالي للنظام؛ ما يخلق تناقضات بين العرض والطلب "فينتج الأزمات الدورية"، وبين قطاعي الإنتاج والاستهلاك (فيعوق التراكم ويشوّهه).. إلخ، مما تغلّبت عليه الرأسمالية الاحتكارية "مسدودة الشرايين بضعف المنافسة" بخلق قطاع خدمات ضخم ليمتص فائض القيمة ويعيد تدويره في الاقتصاد؛ كحل - مؤقت بطبيعته- يتسق مع منطق النظام ولا يتعارض مع مصالح طبقته المهيمنة، لمشكلات الركود والتراكم والبطالة.. إلخ من مظاهر الأزمة المزمنة.

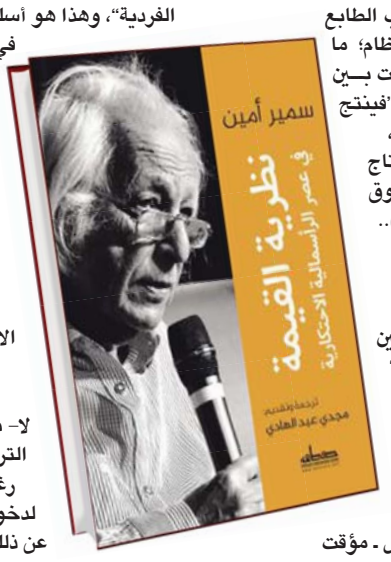

ويقول أمين إن بعض العناصر المكونة للقسم الثالث- مثل "تكاليف البيع" التي نمت بشكل خرافي خلال القرن الماضي- تمثل دليلا على طبيعته الطفيلية، وقد التقطها مبكرا بطبيعتها تلك بعض الاقتصاديين، مثل جوان روبنسون، الذين تم التقليل من شأنهم والاستخفاف بهم مهنيًا، وتنتمي لهذه العناصر كذلك بعض النفقات العامة "كالتسليح" والخاصة "كخدمات الحراسة والأقسام القانونية".

إن جزءا من القسم الثالث ينتمي "أو ربما كان؟" بالتأكيد للإنفاق الذي يفيد العمال، ويكمّل أجورهم "كالرعاية الصحية وتأمين البطالة والمعاشات التقاعدية"، وهذه المزايا التي كسبتها الطبقات العاملة بالنضال الضاري، قد غدت على أي حال موضعا للتشكيك عبر الثلاثة عقود الماضية؛ فخُفض بعضها بشدة، وحُوّل بعضها من مجال اختصاص سلطة عامة تقوم على التضامن الاجتماعي، إلى إدارة خاصة تقوم افتراضا على "المساومة الحرة" على أساس "الحقوق الفردية"، وهذا هو أسلوب الإدارة السائد في الولايات المتحدة، والمتزايد النطاق في أوروبا، الذي يفتح مجالات إضافية، ومربحة للغاية، لاستثمار الفائض.

ويؤكد أنه في ظل الرأسمالية، تؤدي كل هذه الاستخدامات للناتج المحلي الإجمالي- سواء مفيدة أم لا- نفس المهمة؛ تمكين التراكم من الاستمرار، رغم القصور المتزايد لدخول العمالة، وفضلا عن ذلك، فالمعركة الدائمة حول نقل العديد من المكونات الأساسية للقسم الثالث، من الإدارة العامة إلى الخاصة، إنما تتيح فرصا إضافية لرأس المال لـ"تحقيق ربح" (وبالتالي زيادة حجم الفائض!)، فتخبرنا الرعاية الصحية الخاصة مثلا أنه "إذا كان يجب علاج المريض؛ فيجب أن يكون ذلك مربحا قبل أي شيء"، سواء للعيادات الخاصة أو المعامل أو شركات الأدوية أو حتى لشركات التأمين.

ويشير أمين إلى أن تحليل امتصاص القسم الثالث للفائض يتوافق مع روح العمل الرائد لباران وسويزي، والنتيجة الضرورية له، هي أن نسبة كبيرة من الأنشطة المُدارة بهذه الكيفية، أنشطة طفيلية تضخّم الناتج المحلي الإجمالي؛ فتقلل بشكل جوهري من قيمته كمؤشر على "الثروة" الحقيقية للمجتمع. وتتناقض مع هذا التحليل، الموضة الحالية التي تعتبر النمو السريع للقسم الثالث علامة على التحوّل من الرأسمالية، بانتقالها من "العصر الصناعي" إلى مرحلة جديدة، هي "اقتصاد المعرفة"؛ ومن ثم يستعيد سعي رأس المال اللامتناهي لتحقيق الربح مشروعيته.

فيما الحقيقة أن تعبير "رأسمالية المعرفة" متناقض ذاتيًا، فاقتصاد الغد، الاقتصاد الاشتراكي، سيكون حقًا "اقتصاد معرفة"، أما الرأسمالية فلا يمكنها أن تكون كذلك، ولنتخيّل أن تطور قوى الإنتاج بذاته يؤسس- ضمن الرأسمالية- لاقتصاد الغد كما تحاول إقناعنا كتابات أنطونيو نيجري وتلاميذه، فإن هذا سيكون ظاهريًا فقط؛ ففي الواقع يمحو الوجود المكتمل لرأس المال - القائم بالضرورة على قمع العمل- الجانب التقدمي لهذا التطور، فهذا التدمير كامن في قلب تطور القسم الثالث، المُصمّم لامتصاص الفائض الذي لا ينفصل عن الرأسمالية الاحتكارية.

ويناقش أمين بالمقال الثالث "العمل المُجرّد وجدول الأجور" الفوارق المفاهيمية بين العمل المجرد كمحتوى عام، والعمل الملموس، بسيطه ومعقده، كأشكال استعمالية له- بتعبيرات القيمة التبادلية والاستعمالية- وهو التمييز المفاهيمي الهام لماركس الذي يكمّل تمييزه بين العمل وقوة العمل، كأساس لفهم علاقات الاستغلال، وكيف يتم إنتاج كل شكل من هذه الأشكال، والفوارق بينها في المساهمات في إنتاج واستهلاك القيمة، وكيف أن ما يحكمها ليس فوارق الإنتاجيات الحدّية كما تزعم النظرية النيوكلاسيكية الإنشائية في هذا الصدد، بل علاقات القوى والصراع الطبقي ومتطلبات هيمنة رأس المال مرَّة أخرى!

ويقول أمين "بافتراض اختيار عيّنة من مئة عامل من ذلك المجتمع، مُوزعة بين الفئات المختلفة من العمال 'مختلفي المهارات' بنسب مماثلة تماما لتوزيعهم في المجتمع ككل 'الذي قد تصل قوته العاملة مثلا إلى عدد 30 مليون عامل، ونأخذ بالاعتبار، في التحليل المُبسط التالي، فئتين فقط من العمل:1 - العمل البسيط الذي يشمل فقط 60 بالمئة من العينة 'ستين عاملا'. 2 - العمل المعقد الذي يضم 40 بالمئة من العينة "أربعين عاملا"، ولنفترض أن كل عام يقدم عمال العينة نفس العدد السنوي من ساعات العمل، ولنقل ثماني ساعات في اليوم و220 يوم عمل في السنة؛ أي يقدم كل عامل منهم سنة عمل مكونة من 1760 ساعة عمل، ولنترك حساب عدد سنوات العمل لوقت لاحق، وهكذا يساهم العامل البسيط 'غير الماهر' بسنة 'عمل بسيط' في العمل الاجتماعي الإجمالي، في حين يساهم العامل الماهر بسنة 'عمل معقد'".

> **توسّع الرأسمالية محكوم بالقانون الرأسمالي للقيمة المُحولة، والذي لا يحكم فقط إعادة الإنتاج المُوسع، بل يحكم أيضا، باختصار، جميع جوانب الحياة الاجتماعية**

ويضيف "نقوم باستخلاص تكلفة تدريب العامل البسيط؛ لأن تدريبه هو التدريب الذي يُقدَم لجميع المواطنين، بينما نأخذ في الاعتبار تكلفة التدريب الإضافي للعامل الماهر، الذي يمتد تدريبه مثلا لمدة عشرة أعوام إضافية، لكل عام منه تكلفة لكل عامل ماهر، تعادل عامين من العمل الاجتماعي؛ لتغطية تكلفة المدرسين وتجهيزات التدريب وتكاليف معيشة الطالب.

وهكذا، ففي حين يعمل العامل غير الماهر لثلاثين عاما، سيعمل نظيره الماهر عشرين عاما فقط، بعد أن كرّس العشرة أعوام الأولى للتدريب الإضافي، وستتم استعادة تكلفة هذا التدريب 'عشرون عاما من العمل الاجتماعي' على مدى عشرين عاما من العمل، من خلال الثمن الخاص بالعمل المعقد، وبعبارة أخرى، تساوي وحدة العمل المعقد 'بالساعة أو بالسنة' وحدتين من العمل البسيط. ينتج عن هذا أن 60 بالمئة من الوحدة المركبة من العمل المجرد، ستتكوّن مما يعادل وحدة من العمل البسيط، و40 بالمئة منها مما يعادل وحدة من العمل المعقد 'التي تعادل وحدتين من العمل البسيط'، أي أن وحدة العمل المجرد التي يقدمها العمل في مجموعه، تساوي 1.4 وحدة من العمل البسيط".

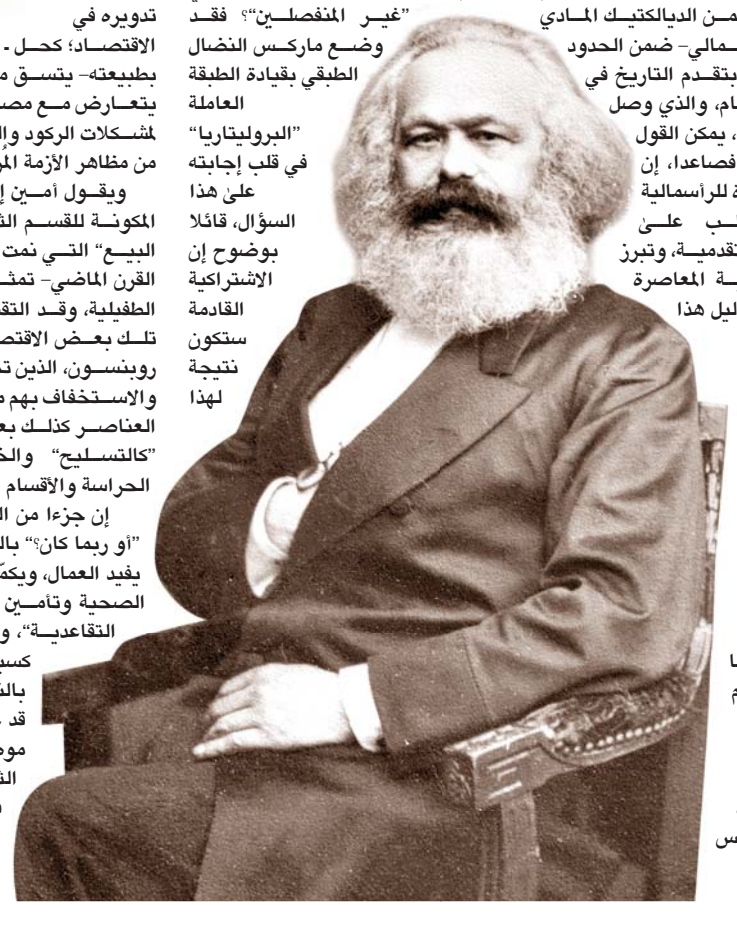

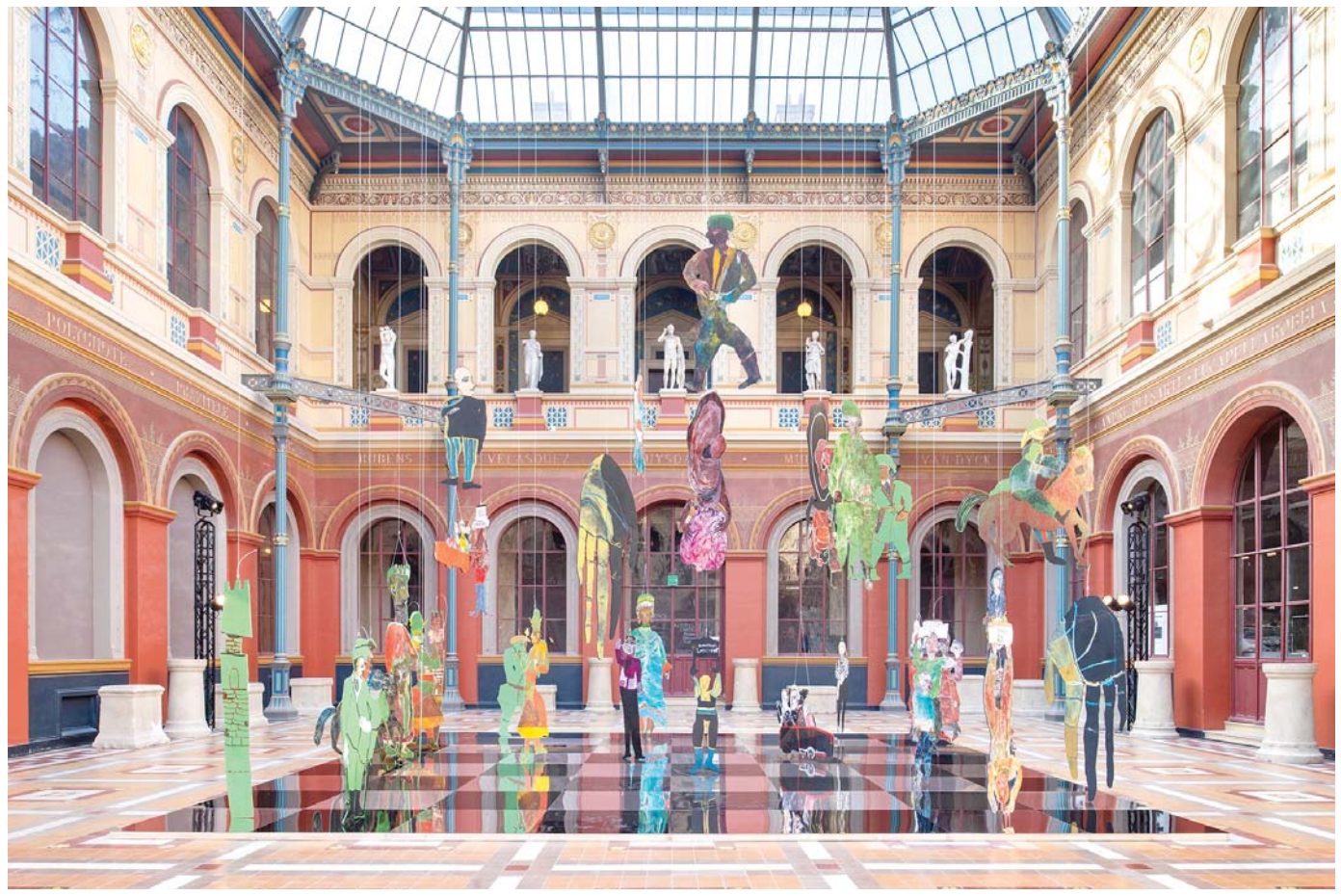

صراع الجنود والمتظاهرين

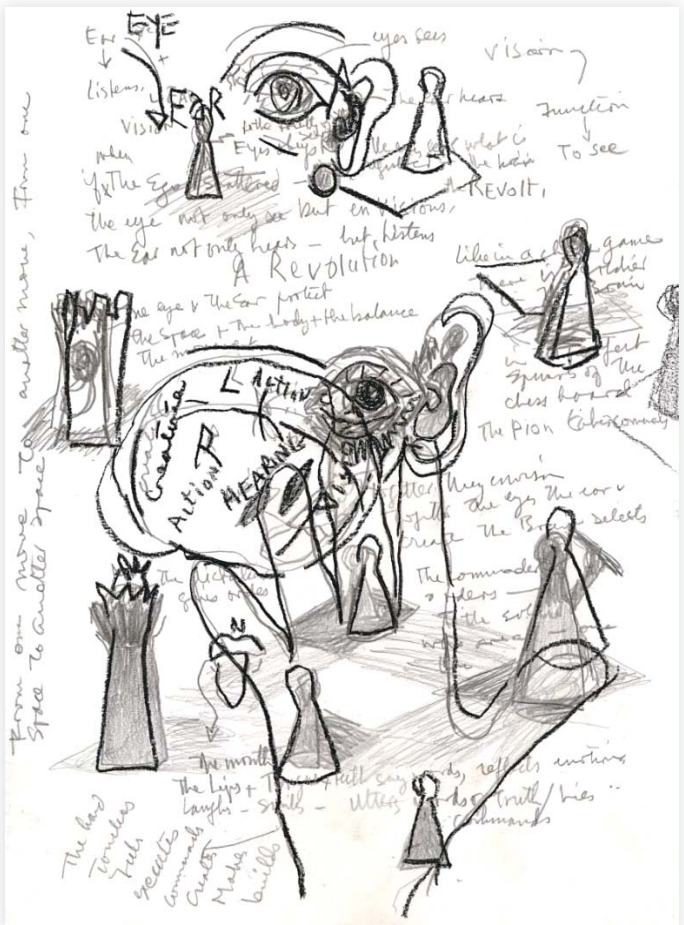

تخطيطات ونصوص للبحث عن الأذن المفقودة

لعبة شطرنج مستحيلة بين البيادق والقلاع والأحصنة

آنّا بوغيغيان تصمم لعبة فنية مثيرة تقوم على الخطوط والمربعات وأدوار السياسة والفكر

عمار المأمون
كاتب سوري

باريس - وُلدت الفنانة من أصول أرمنيّة آنّا بوغيغيان في القاهرة عام 1946، ودرست العلوم السياسية في مصر والفنون في كندا، وعُرفت برسوماتها المرتبطة بنصوص شعراء كقسطنطين كفافيس وجوزيبي أونغاريتي وغيرهم، إلى جانب اشتغالها الفني على الموضوعات السياسية والاقتصادية وأثرها على الشرط البشري، إذ يتداخل في أعمالها التجهيز والرسم مع تاريخ السرد والأساطير ، كما تنقلت بين مختلف أنحاء العالم، شرقا وغربا، لتستقر في القاهرة في مرسمها الواقع في جزيرة وسط نهر النيل، وفي السنوات الأخيرة أقامت عددا من المعارض في العالم وفي الشرق الأوسط آخرها في بيت سركال في الشارقة، كما رشحت بعدها لجائزة أرتس ووندي البريطانيّ.

دُعيت بوغيغيان إلى باريس هذا العام في إطار مهرجان الخريف ضمن إقامة فنية في المدرسة العليا للفنون في باريس، أنجزت إثرها عمليْ تجهيز ضخمين افتُتحا مؤخرا تحت اسم "المربع، الخط، المسطرة"، وهما رقعتا شطرنج كبيرتان، متواجهتان، الأولى بيادقها تقسّم إلى جنود بمواجهة محتجين ومتظاهرين، والثانية بيادقها مُفكرون وشعراء بمواجهة سياسيين ينتمون إلى مختلف العصور، وكأننا أمام مستويين من الصراع بين جهاز بشري يقمع الثائرين، وآخر أيديولجي رسمي يواجه المفكرين والفنانين.

البيادق مصنوعة من الورق، ورسمت عليها بوغيغيان باليد، لتُلصقها بعدها على قوالب خشبية تعلق نهاية من السقف وأسفلها رُقع اللعب، لنرى أنفسنا أمام بيادق ورقعة شطرنج يمكن للزوار أن يلعبوا بها، ويشاركوا في دوري نظّمه اتحاد الشطرنج الفرنسي، لتتحرك البيادق بين قوانين لعبة الشطرنج وبين هالة العمل الفنية، إذ تتبدل أمام أعين اللاعبين- المشاهدين "هوية" كل بيدق، فهل هو الصورة التي يحملها أو الدور الذي يختزنه كقطعة للعب الشطرنج ذات وظيفة محددة وحركة مضبوطة لا يمكن تغييرها؟ فأيّ خلل يعني بطلان اللعبة.

يبدو العملان في البداية ساذجين أو بريئين، لكن، حين نبدأ باللعب، نكتشف السبب وراء تضخيم البيادق، والذي يتجلى في الزمن اللازم لحركة كل واحد منها، إذ تتداخل وظيفة البيدق مع صورته، فحينما نحرّك الملكة إليزابيث بوجه غاندي، يدفعنا البطء إلى استعادة الحكايات المرتبطة بالاثنين، و يفتح في ذات الوقت الباب على احتمالات جديدة للمعنى، فإن حرّكنا الخميني بوجه ستيفن هوكينج، كيف ستكون المواجهة بينهما فكريا؟

والأهم، ما هي طبيعة الدور الذي يلعبه كل واحد منهم كحجر على رقعة الشطرنج ذي حركة خاصة وربما قوة أكثر من الآخر، لنرى أنفسنا أمام "لعبة ضمن لعبة" تحدث داخل عقولنا، خصوصا أن الأمر يزداد غرابة حين نلعب في الرقعة التي تحوي جنودا ومتظاهرين، إذ يظهر السؤال، أيّ فريق سنختار، ولماذا؟ هذه الأسئلة على سذاجتها تزداد حينما نبدأ باللعب ونصل إلى لحظة "كش ملك"، فهل سنهلل للشرطة إن فازوا؟

شعرية اللعب

يستدعي اختيار بوغيغيان لرقعة الشطرنج مفهوم الـsubjectivité، أي أن الواحد منا كالبيدق له دوره المرسوم والمحدد، الذي يتحرك ضمنه ولا يستطيع كسر قواعده، لأن أي سوء لعب أو أداء قد يعني الطرد من "اللعبة"، الأمر الذي نراه في الأدوار الاجتماعية والصراع الذي يُنتج تعديلاتها البسيطة، والذي يتجلى في الحياة "الواقعية" بالمواجهة التي تقودها الشرطة والسياسيين ضد الثائرين والمفكرين، فكلهم يتحركون ضمن أدوارهم في محاولة لدفع حدودها وتغييرها.

هذه العلاقة بين السياسي واللاجدي التي تفعّلها بوغيغيان ضمن شروط اللعبة، لا تكتسب قيمتها من مفهوم "البيادق" فقط، بل من تقنيات التأويل التي نمتلكها عن كل واحدة من الشخصيات والدور الذي يمكن أن تلعبه، فإطار التأويل يتخلخل ونحن نحرك البيادق، فهل يمكن لألبيرت أينشتاين أن يكون "قلعة" قادرة على الإطاحة بالديكتاتور عيدي أمين دادا.

هذه التساؤلات عن إطار التأويل واللعب تجعل اللعبة تستمر حتى بعد انتهائنا منها، فما الذي يجعلنا نسلّم بدور سياسي ما وأخذه على محمل الجد في الوقت الذي يكون فيه قادرا على الإطاحة بشاعر، أو سجنه، وما دور البيادق الأخرى في تمكين سطوته؟

الشخصيات المتعددة التي تمثلها البيادق وعلاقتها مع التاريخ والأماكن المختلفة ترتبط بموقف بوغيغيان الفني والسياسي، إذ قضت أغلب حياتها تنتقل بين البلدان والأماكن شاربة من أفكارها وتجارب سكانها لتعكسها ضمن أعمالها، ما يجعل كل رقعة شطرنج أقرب إلى مساحة مستحيلة لا تتواجه الشخوص التي فيها إلا ضمن المربعات الملونة، المقسّمة بدقة، أشبه بقائمة مستحيلة لحرب تختزل التاريخ بلعبة فيها فريقان فقط.

> العلاقة بين السياسي واللاجدي التي تفعّلها بوغيغيان، لا تكتسب قيمتها من مفهوم «البيادق» فقط، بل من تقنيات التأويل التي نمتلكها عن كل واحدة من الشخصيات والدور الذي يمكن أن تلعبه

> البيادق مصنوعة من الورق، ورسمت عليها بوغيغيان باليد، لتُلصقها بعدها على قوالب خشبية تعلق نهاية من السقف وأسفلها رُقع اللعب، لنرى أنفسنا أمام بيادق ورقعة شطرنج يمكن للزوار أن يلعبوا بها، ويشاركوا في دوري نظّمه اتحاد الشطرنج الفرنسي، لتتحرك البيادق بين قوانين لعبة الشطرنج وبين هالة العمل الفنية

الشمع والأذن المفقودة

تستخدم بوغيغيان في تلوين ورسم بعض البيادق الألوان الشمعية التي رافقتها منذ أن كانت طالبة في السبعينات حتى الآن، ما يكسب البيادق-اللوحات ثخانة من نوع ما، وملمسا يجعلها ذات خطوط واضحة وقابلة للتفتت، وذات شفافيات مختلفة. وتقول بوغيغيان في وصفها للشمع بأنه "يجعل السطح رقيقا في بعض الأحيان وسميكا في الأحيان الأخرى، أشبه بالرخام، فالشمع كالحياة التي نعيشها، فنحن ننطفئ في النهاية حين نموت".

تفتقد بعض البيادق-الشخصيات أُذنا أو اثنتين، الأمر الذي لا يثير الاهتمام إذا أخذنا بعين الاعتبار الوضعيات التي ترسمها بوغيغيان، لكن علاقتها الخاصة مع السمع، والأذن حصرا أهم من أن لا تتم ملاحظتها، إذ اشتغلت في منتصف التسعينات على "الأذن" ورسمت المئات منها، كما أنها بدأت تفقد سمعها تدريجيا، وتصف هذه الخبرة الحسية بقولها "هناك ثلاثة أنوع من الأذن في أعمالي، الميتافيزيقية، تلك التي نسمع فيها ما لا علاقة له بالعالم المادي والمجتمع، والأذن المادية التي نسمع فيها الأصوات من حولنا، والأذن الاجتماعية، التي تتيح لنا أن ندرك ما حولنا".

ومن هنا يمكن تفسير غياب أذني بعض البيادق التي رسمت عليها جنودا وسياسيين، وكأنهم لا يسمعون صوت المتظاهرين والثائرين، بل فقط ينفذون حركاتهم وأدوارهم القمعية بدقة، دون أي وعي بها أو بأثرها.

مساحات النزاع المستحيلة

العرب الثقافي
الأحد 2019/11/03
السنة 42 العدد 11517

ثلاثة رسامين من السودان

حلم العربي المحلق في فضاء أفريقي: إبراهيم صلحي، أحمد شبرين، محمد عمر خليل

لوحة: إبراهيم الصلحي

لوحة: محمد عمر خليل

يرى إبراهيم الصلحي أن "حلم "مدرسة الخرطوم" يكمن في استكشاف للهوية السودانية عبر مكونين أساسيْن: الحرف العربي من جهة، ومن الجهة الأخرى الزخرف الأفريقي الذي تراه حولكِ في كل مكان، ويتبدى بشكل واضح في الصناعات اليدوية التقليدية مثلًا". ذلك المزج بين اللغة والسحر هو صفة سودانية. وهو ما تعلمه الفنان السوداني المعاصر من الحياة المباشرة. ليست هناك مسافة تفصل بين الأشكال التي تتخذ طالعا أفريقيا بالرغم من أن بنيتها الداخلية تعود إلى أصول عربية. هناك كما يُقال "ثقافة عربية إسلامية لا يمكن أن تنزع عنها العنصر الأفريقي". في سياق ذلك الواقع يمكن تفسير المكانة التي احتلها "الخط العربي" في الممارسة الفنية في السودان كما في أعمال تاج السر حسن وهو واحد من أكثر الخطاطين العرب إتقانا وتجريبا في الوقت نفسه. يتميز الرسم في السودان بوضوح هويته بسبب عدم انقطاعه عن الحلول الجمالية التي توصل إليها الفنان الأفريقي عبر العصور وهي الحلول التي استفاد منها الرسم العالمي الحديث في مطلع القرن العشرين، كما في محاولات الإسباني بابلو بيكاسو.

فاروق يوسف
كاتب عراقي

إبراهيم الصلحي

● سيد الأشكال التي يبتكرها نغمها.. الرسام الطالع من لوحاته

كان صامتا حين رأيته آخر مرة وهو يتوكأ على عصاه. قال لي بمرح وهو يصافحني "إبراهيم الصلحي لكن هذه المرة بعصا"، ذكرته بلقائنا قبل أكثر من عقد من الزمن في المدينة نفسها. فقال "لم أغب عن هذه المدينة زمنا طويلا. كنت دائما هنا".

لم أقل له "أنت في الحقيقة كنتَ دائما هناك"، بلده السودان هو ذلك الهناك الذي صار منذ سنوات طويلة يراقب آهاته من خلف ستارة من مطر أوكسفورد "حيث أقيم أنا وأولادي وأحفادي" لم أسأله "أما زلت تنتمي إلى ماضي ذلك البلد الذي يزداد مصيره غموضا مع الوقت؟"، فالصلحي الذي يبلغ اليوم التاسعة والثمانين من عمره، كان يوما ما رمزا وطنيا للتنوير والحداثة في بلد خطفه العسكر وهو في طريقه من النوم إلى اليقظة.

في معرضه الشامل الذي شهدته قاعات تيت مودرن بلندن عام 2013 كانوا يقولون "أفريقيا كلها هنا" غافلين عن أن الفنان الذي كانت أشكاله تتدفق بالسحر الأفريقي كان في الوقت نفسه حريصا على أن يضفي على خطوطه طابعا عربيا، وهو ما جعله ينتمي إلى قلة نادرة من الفنانين العرب الأفارقة الذين استطاعوا من خلال فنهم أن يخلقوا هوية معاصرة هي عبارة عن مزيج هويتن: عربية وأفريقية.

حين كنت أنظر إليه أو أراقبه من بعيد وهو يمشي ببطء وتواضع وثقة كانت أشكاله تمتزج في خيالي بصورته التي لم يفقدها الزمن هالتها. كما لو أن الرجل الذي أراه كان قد طلع لتوه من إحدى لوحاته. فهل صنع الصلحي شيئا يشبهه أم أن الزمن الذي قضاه وهو يبتكر أشكاله قد أعاد صياغته، فصار خلاصة حية لتلك الأشكال؟

ربما سيكون أمرا مستغربا أن يخبرني أحدهم أن الصلحي عاش في إحدى المدن العربية 21 عاما من غير أن يخبر أحدا أنه فنان. حكاية قد لا تكون صادقة مئة بالمئة غير أن جزءا صغيرا منها قد يكون كافيا للكشف عن طبيعة العلاقة الروحية التي تربط الصلحي بفنه.

● العائد إلى أصوله بعد غربة

ولد ابراهيم الصلحي في أم درمان عام 1930. فشل في دراسة الطب فاتجه إلى دراسة الأدب، غير أنه ذهب إلى بريطانيا عام 1954 لدراسة الرسم في كلية "سليد" العريقة.

لم يكن ذلك التحول مفاجئا، فلطالما انشغل الصلحي في طفولته بتزيين ألواح القرآن في مدرسة والده الدينية. وهو ما أنقذه من سوء فهم اجتماعي في ما بعد. فبعد أن أنهى دراسته في لندن وعاد إلى الخرطوم أقام ثلاثة معارض شخصية، لم تجذب الجمهور إليها، يومها سأل الصلحي نفسه "لماذا لا يقبل الناس على مثل تلك المعارض؟ لماذا لا يتمتعون بما أقوم به من أعمال فنية؟". لم يستغرق البحث عن إجابة زمنا طويلا.

لقد اكتشف الصلحي بنفسه أنه يكلم الناس الذين يحبهم بلغة لا يفهمونها. لغة ليست لغتهم كان قد استعارها من الآخر، الذي لم يكن سوى المستعمر. وهنا حدث التحول العظيم في مسيرته الفنية، بل وفي حياته كلها. كانت الزخارف العربية-الإسلامية من حوله تملأ الفضاء بإيقاعاتها التي تشكل خلفية للرقص الأفريقي الذي يهب البيئة خيالا نابضا.

يومها عاد الصلحي إلى اكتشاف مفردات لغته الأصيلة. صار كل ما تعلمه في الغرب مجرد مرجعية تقنية، أما الحقائق الإنسانية فصار يستلهمها من البيئة التي تحيط به. أكان ضروريا أن يغترب الصلحي بفنه لكي يكتشف أن سودانيته هي هوية مزدوجة، تطل به على غنى حضارتين إنسانيتين، العربية والأفريقية؟

أعتقد أن مزاج الفنان المعاصر يتطلب وقوع مغامرة من هذا النوع. وهذا ما كان الصلحي مخلصا له بعمق وشغف.

● من المدينة الفاضلة إلى السجن

هل كان تسلّم الصلحي مناصب رسمية، وصولا إلى منصب وكيل وزارة الثقافة في سبعينات القرن الماضي نوعا من محاولة للصلح؟ كان الرجل يسعى بشهادة معاصريه إلى أن ينقل مدينته الفاضلة من سطوح اللوحات إلى دروب وساحات المدينة الواقعية، بعد أن كان قد تعلم الدرس جيدا.

لقد انصبّ همّه يومها على رعاية ثقافة شعبوية ترتقي إلى مستوى هويتها التي هي مزيج بين حضارتين، عربية وأفريقية. وهو العالم الذي اختبره رساما، والذي تكمن غوايته في الأشكال الملهمة التي كان يستعيرها من المرويات والتعاويذ ورسوم الناس العابرين. غير أنه سرعان ما غادر المنصب الإداري إلى السجن، حيث قضى خمس سنوات بتهمة قرابته لأحد المتآمرين على نظام جعفر النميري. وحين أفرج عنه بالصدفة غادر الصلحي السودان إلى الدوحة ليكون مستشارا ثقافيا هناك لأكثر من عقدين من الزمن، وليغادرها إلى أوكسفورد عام 1998 ولا يزال مقيما هناك.

كانت تجربة السجن قد ألهمته كوابيس عالم لم يكن يتوقع أنه سيكون واحدا من أبنائه. كان ينشئ عالمه الجديد، مدينته الفاضلة بالمعنى السلبي على أنواع مختلفة من الورق، هي ما يمكن أن يسمح له وضعه في الحصول عليه. وهو ما شكل في ما بعد منجما لأفكاره ورؤاه التي ظهرت في رسومه التي نفذها في غربته، التي صارت بالنسبة إليه وطنا بديلا.

● مدرسة الخرطوم وقد كانت حلمه

حين اكتشف الصلحي ذاته وأقام صلحا معها، كان يفكر أن ذلك الصلح ربما سيكون نواة لقيام مدرسة فنية جديدة، تجمع بين الحرف العربي من جهة وبين الزخرف الأفريقي من جهة أخرى. كانت روحه تحوم في فضاء الصناعات التقليدية التي مرت العصور بها فلم تطحنها بل زادتها بريقا. كان حلمه يقيم عند حدود وهمية، تكون الخرطوم منارتها، ويقال حينها إن مدرسة الخرطوم الفنية كانت بداية لوعي جمالي جديد، هو بمثابة بوابة تنفتح على جانبيها العربي والأفريقي.

"كان ضروريا بالنسبة إليّ أن يشمّ المشاهد رائحة التراب الأم درماني، ومعها كل ما تحمله من معان تراثية ووجدانية وهو ينظر إلى اللوحة" يقول الصلحي من غير أن يقلقه مصير لوحاته. لقد صارت تلك اللوحات جزءا من تراث الوجدان السوداني، بل إن قدرا عظيما منها تسلل إلى وجدان المشاهد العربي وهو يرعى ببصيرته كائنات فنان عربي كانت في الوقت نفسه تتباهى بأفريقيتها.

هل كان إبراهيم الصلحي محظوظا في الإقامة بين حضارتين؟

● العربي الذي كان أفريقيا

كان إبراهيم الصلحي ولا يزال واحدا من أهم الرسامين العرب. يعنيني أنه أغنى الرسم العربي برؤى أفريقية، وهو ما لم يفعله أحد من رسامي شمال أفريقيا من قبله. كانت رسومه تحضر مثقلة بمزاج حداثة مختلفة. يحق للعربي المشرقي أن يصف تلك الحداثة بأنها حداثة عربية لا تشبه حداثتنا. أي حداثة الشرق العربي. لقد قيض للصلحي أن يكون ابنا لحضارتين وكان وفيًا لهما، وهو ما يفتح الباب أمام الفن العربي لفهم العلاقة الجمالية بقارة عظيمة، كان العرب قد ساهموا في خلق أسطورة بعثها. لا يهم أصلا السؤال اليوم عمن كان أكثر تأثيرا من الآخر في شخصية الصلحي: الأفريقي أم العربي؟ فالصلحي باعتباره رساما عالميا صار اليوم أكبر من لغته المحلية. لوحاته تنقل إلى العالم ألم أمّة لا يزال مخاض ولادتها عسيرا. الصلحي الذي التقيته في الدوحة لم يكن بالرغم من حيرته إنسانا يائسا. هناك درجة من الأمل ينبغي تسلقها. يبستم وهو ينظر بعمق إلى عصاه.

أن تكون فنانا سودانيا فذلك معناه أن تكون قادرا على المزج بين حضارتين، حضارة وهبتك لغتها هي الحضارة العربية وحضارة عجنتك بخيال سحرتها هي الحضارة الأفريقية

لوحة: محمد أحمد شبرين

أحمد شبرين

● الفنان الذي مزج الحرف العربي بطين أفريقيا

سيكون الفن أفريقيا دائما لكن بطريقة مختلفة مع الثنائي الفريد من نوعه في تاريخ الفن التشكيلي السوداني. إبراهيم الصلحي وأحمد شبرين. جمعتهما نزعة حداثوية استطاعا من خلالها أن يقيما جسرا بين ما هو عربي وما هو أفريقي. في المقابل فقد فرّق بينهما الأسلوب. كان لكل واحد منهما أسلوبه الشكلي في التعبير.

● استلهم من عروبته أعز ما لديها

كان الصلحي قريبا من المدرسة الواقعية التعبيرية التي أضفى عليها طابعا سحريا مستلهما من الحكايات والأساطير الأفريقية. أما أحمد شبرين فقد كان حروفيا منذ عام 1961 وبقي مخلصا لهذا التيار الأسلوبي في مختلف مراحل حياته الفنية.

اختلافهما الأسلوبي لا يغيّر من حقيقة كونهما قد شكلا في ستينات القرن الماضي طرفي المعادلة التي أقيمت على أساسها مدرسة الخرطوم الفنية، التي كان لها الفضل في ترسيخ عناصر ومقومات وشروط الرسم الحديث في السودان.

غادر الصلحي السودان إلى بريطانيا لأسباب سياسية، ليقيم في مدينة أوكسفورد في حين فضّل شبرين البقاء في بلده ليمارس عمله معلما لأجيال من الرسامين الذين اكتسبوا منه خبرات لافتة في فن الحفر الطباعي.

سيرة شبرين هي سيرة تحولاته الأسلوبية وقلقه الخلاق، فالرجل الذي علم أكثر مما تعلم كان قد استمد طاقته الروحية من تعلق صوفي قديم بحروف القرآن، يوم تعلم القراءة والكتابة في مدرسة دينية. وهو ما دفعه في ما بعد إلى أن يُدخل الحرف العربي في متاهة جمالية لا تذكّر بالخط العربي التقليدي، بل تنحو بالحرف في اتجاه ذاكرة بصرية ترى صورتها في مرآة الخيال الأفريقي.

أخذ شبرين من عروبته أعزّ ما لديها، الحرف ليكون من خلاله ذلك العربي الأفريقي الذي لا تقلقه هويته المزدوجة. ولد أحمد شبرين عام 1931 في مدينة بربر. درس الفن في الخرطوم، ثم انتقل إلى لندن منهيا دراسته فيها عام 1960.

يومها انخرط في التعليم الجامعي، الذي استطاع من خلاله عبر عقود من الزمن أن ينشئ أجيالا من الفنانين تربت على الفكرة الساحرة التي بشرت بها مدرسة الخرطوم. أن تكون فنانا سودانيا فذلك معناه أن تكون قادرا على المزج بين حضارتين، حضارة وهبتك لغتها هي الحضارة العربية وحضارة عجنتك بخيال سحرتها هي الحضارة الأفريقية.

لم يكن الأمر يسيرا في البداية. كانت المسافة النفسية هائلة بين الحضارتين. فالقبول بإحداهما يعني التخلي عن الأخرى. فالمحيط الأفريقي لم يكن في ظل انتشار حركات التحرر الوطني في مرحلة الستينات من القرن الماضي مستعدا للقبول بما يمكن أن يجره خارج حدوده العرقية والثقافية، كما أن مثقفي السودان يومها لم يكن يسعدهم أن ينكفئوا على ثقافتهم العربية في خيانة واضحة لجغرافيا هي جزء من تراثهم الخيالي الذي وإن كان شفاهيا فإنه يشكل مرجعية ثقافية لا براء منها. لهذا شكّل ظهور مدرسة الخرطوم لحظة مقاومة لتيارين فكريين كانا في طريقهما إلى التصادم. لقد أنسنت تلك اللحظة توحّش التيارين، فصار ممكنا من خلال ما طرحته من مقتربات أن يكون الرسام السوداني عربيا من أفريقيا.

كانت رسوم شبرين قد مهّدت بعناد لذلك المنجز التاريخي، فالرجل الذي سحره صوت وشكل الحرف العربي منذ الطفولة نجح بموهبة لافتة في أن يمزج بين سحر تلك الأصوات وقدرتها على أن تتجسد من خلال أشكال توحي بأشباح لآلهة وثنية. ولم يكن ذلك الإجراء الشكلي مفتعلا، بل انبعث من صميم الصلة العرفانية التي كان شبرين يقيمها مع الحرف العربي باعتباره همزة وصل صوفية.

● هوية تقطّعت بها الأسباب

لتاريخ الفن أسئلته المختلفة عن أسئلة التاريخ الثقافي العام. فإذا كان أحمد شبرين حروفيا، فكيف يمكن تقييم تجربته الحروفية في سياق سيرة المدرسة الحروفية العربية الحديثة؟ هنا ترد أسماء كبيرة مثل العراقي شاكر حسن آل سعيد والمصري حامد عبدالله واللبنانية إيتيل عدنان. هل يمكننا أن نضم شبرين إليهم أم أنه يقف بخبرته الأفريقية في مكان آخر؟

أعتقد أن شبرين أضاف إلى الحروفية العربية أكثر مما أخذ منها، فالرجل انفتح بالحروفية على قارة. قارة صارت بسببه تعرف ما جماليات الحرف العربي. وهو ما لم يفعله أحد من الحروفيين الكبار الذين نجل دورهم في التغيير الفني. شبرين وحده كان رسولا للحرف العربي إلى حضارة كانت تجهله.

بالنسبة إلى مؤرخي الفن العربي التقليديين فإن حكما نقديا من ذلك النوع سيسبب لهم قلقا عميقا، إذا لم يزعجهم. شبرين لم يكن رساما حروفيا عاديا، يمكن ضمه إلى سلالة الحروفيين لينعم برضا المؤرخين والنقاد.

كان مبشرا بالحرف العربي باعتباره رمزا لحضارة قررت أن تمتزج بحضارة أخرى. وهو ما أضفى على الحروفية هالة، لم تكن منها. كان الرجل قد زج بالحرف العربي في مختبر كوني، لم يكن أحد من الحروفيين العرب قد فكر فيه.

بهذا لن يكون شبرين حروفيا مختلفا، بقدر ما تكون حروفيته مختلفة. فإذا كانت جماليات الحرف العربي في سياق التجربة الحروفية العربية قد قدمت إلى متلقٍّ عربيّ من أجل متعته البصرية فإنها لدى شبرين لم تكن كذلك.

لقد كانت تجسيدا لهوية تقطعت بها السبل. كان شبرين عن طريق الحروفية رسول ثقافة إلى ثقافة أخرى. كان الآخر الذي لم يستغن عن عاطفته الأولية. يمكنني القول إن أحمد شبرين كان قد اكتشف عروبته وأفريقيته في الوقت نفسه عن طريق الحرف العربي.

الصفحات 10-11-14 تنشر بالاتفاق مع «الجديد» الشهرية الثقافية اللندنية والنصوص كاملة على الموقع الإلكتروني

العرب
الأحد 2019/11/03
السنة 42 العدد 11517

قصة العراب الذي خان رفاقه في المافيا الصقلية

توماسو بوشيتا من الولاء إلى الخيانة في فيلمين

فيلمان ظهرا هذا العام في وقت متقارب عن زعيم المافيا الشهير "توماسو بوشيتا"، الذي توفي قبل نحو عشرين عاما، الأول هو الفيلم الروائي "الخائن" للمخرج الإيطالي ماركو بيللوكيو، الذي عرض في مسابقة مهرجان كان ثم عرضه مهرجان لندن، والثاني الفيلم التسجيلي الطويل "أبونا الروحي"، الذي شهد مهرجان تورنتو عرضه العالمي الأول مؤخرا.

بوشيتا في «الخائن» كشاهد ضد رفاقه

أمير العمري
كاتب وناقد سينمائي مصري

يرجع الاهتمام الكبير بشخصية توماسو بوشيتا إلى الرغبة في تذكير العالم بذلك الماضي العنيف، الذي اجتاح إيطاليا وانتقل منها الى الولايات المتحدة، وهو عنف يعيد إنتاج نفسه حاليا على مستويات كثيرة مختلفة في العالم، وبدوافع مماثلة أساسها الرغبة في الاستحواذ والسيطرة وجني المال ولو عن طريق الابتزاز، وهو ما نراه يحدث علانية على أعلى المستويات في السياسة الأميركية الحالية.

ربما يكون وراء إنتاج الفيلمين أيضا الولع السينمائي القديم بقصص المافيا وما يحيط بها من بريق يجذب مشاهدي السينما، خاصة بعد النجاح الكبير الذي حققته ثلاثية أفلام "الأب الروحي" (العراب) لفرنسيس فورد كوبولا، إلا أن الدافع الحقيقي ربما يكمن في جاذبية شخصية بوشيتا نفسه وغموضها باعتبارها شخصية تراجيدية، تحمل بذور دمارها في داخلها، وهو ما يغري أي فنان سينمائي بإعادة اكتشافها وتسليط الأضواء عليها من جميع الزوايا.

> من أبرز معالم فيلم «الخائن» أداء الممثل الإيطالي الفذ بييرفرانشيسكو فافينو في دور بوشيتا، فهو يتمتع بقوة الشخصية والحضور الكبير، والكاريزما

من المثير للدهشة ذلك التبادل المدهش بين الفيلمين، فبينما بدا الفيلم الروائي "الخائن" The Traitor لماركو بيللوكيو، وهو أحد عمالقة الإخراج في السينما الإيطالية، (80 سنة) أقرب في صياغته وأسلوبه في السرد، إلى الفيلم التسجيلي. بدا الفيلم التسجيلي "أبونا الروحي" Our Godfather أقرب إلى الفيلم الروائي. ويطلق على الفيلم أيضا "عراب العالمين"، كما كان يلقب بوشيتا كونه مارس عملياته القذرة في العالم القديم (إيطاليا) والعالم الجديد (البرازيل والولايات المتحدة). وقد اشترك في إخراج هذا الفيلم التسجيلي البريطانيان مارك فرانشيتي وأندرو ميير.

العراب والقاضي

"الخائن" دراسة بالكاميرا في شخصية رجل أخطأ مرتين في حياته، لذلك كان يتعين عليه أن يدفع الثمن أضعافا مضاعفة. لقد أخطأ عندما التحق بالمافيا (الكوسا نوسترا) وهو بعدُ صبي، أغوته فكرة الانتماء للجماعة القوية، والفكرة الرومانسية الأخرى الشائعة عن الصدق والإخلاص والولاء والشرف وعدم التفريط في "الأخوة" تحت أي ظرف. ثم أخطأ مرة ثانية عندما قرر بعد أكثر من ثلاثين عاما من التحاقه بالمافيا، أن يتحول من زعيم مرموق داخل تلك المنظمة الإجرامية، إلى شاهد ضدها، أدت شهادته أمام المحاكم إلى الحكم بالسجن على أكثر من 400 من قياداتها وأعضائها البارزين، منهم من لايزال يقضي عقوبة السجن مدى الحياة. كيف كان ذلك ممكنا، وما الذي غير هذه الشخصية التي مارست القتل والعنف (من الخمسينات إلى الثمانينات)، بحيث تنقلب تماما وتغير اتجاهها وتتنكر لماضيها؟ وما الذي ترتب على هذا التغير الدرامي؟ وكيف عاش توماسو بوشيتا؟

هذه التساؤلات هي محور الفيلمين ولكن على مستويات مختلفة، ومن خلال أسلوبين مختلفين.

سيناريو فيلم "الخائن"، الذي اشترك في كتابته ثلاثة من الكتاب الإيطاليين إلى جانب المخرج (سيرا على نهج السينما الإيطالية عموما)، يقوم على بناء متعرج، ينتقل بين الأزمنة، يبدأ من عام 1980، قبل أن يعود إلى الماضي، حيث بدأ الصبي توماسينو حياته عضوا في المافيا، ليقفز الفيلم بعد ذلك إلى المرحلة التالية في حياة بوشيتا.

وكما ينتقل الفيلم ويتأرجح بين الأزمنة، يظل ينتقل أيضا طوال الوقت، بين الأماكن المختلفة، من باليرمو في صقلية، إلى ريودي جانيرو في البرازيل، ومن روما، إلى نيويورك ثم إلى فلوريدا وغيرها من الأماكن التي انتقل بينها بوشيتا. فقد غادر صقلية بعد أن تفجّر الصراع العنيف بين أجنحة المافيا بسبب تجارة المخدرات، وأصبح مستهدفا من جانب زعيم الجناح المتطرف داخل المافيا "توتو رينا"، خاصة بعد أن يأمر رينا بقتل ولدي بوشيتا في مشهد شديد العنف. وسيتم تسليم بوشيتا إلى الولايات المتحدة، التي ستقوم بترحيله ليواجه المحاكمة والسجن في إيطاليا قبل أن يقرر أن يشهد ضد المافيا.

هذا البناء لم يكن يمثل مشكلة أمام المشاهد لولا أن الفيلم يحتشد بعشرات الشخصيات التي تظهر أسماؤها مكتوبة على الشاشة، كما تظهر التواريخ والشروح التي تشير إلى طبيعة تلك الشخصيات ودورها أو رتبتها في المافيا، وهو ما يسبب ارتباكا شديدا للمشاهد، مع اتساع المساحة الزمنية التي تشمل أكثر من ثلاثين عاما من الأحداث، وطغيان الحوار الذي لا يكاد يتوقف لحظة واحدة، خاصة في المشاهد الطويلة التي تدور داخل قاعات المحكمة، حيث تتم محاكمة قيادات المافيا، وهي مشاهد رئيسية في الفيلم، وفيها يدلي بوشيتا بشهادته للمرة الأولى في تاريخ تلك العصابة من جانب أحد زعمائها البارزين، في مواجهات مباشرة عاصفة، تحفل بالعديد من الشتائم القبيحة والتهديدات التي يوجهونها إليه، فقد أصبح في نظرهم "الخائن" بعد أن كسر "عهد الشرف" الذي أقسم عليه.

كان من المنتظر أن يعيد ماركو بيللوكيو بناء فيلمه بحيث يضفي عليه لمساته الخاصة الساحرة، التي تبدت على سبيل المثال في معالجته لشخصية الابن غير الشرعي لديكتاتور إيطاليا موسوليني في فيلمه البديع "النصر" Vincere(2009)، الذي كان يتضمن الكثير من الجوانب الإنسانية سواء في تكوين شخصية الإبن الذي ظل الديكتاتور ينكر وجوده، أو أمه التي تم التنكيل بها، وهو ما يغيب بوضوح عن "الخائن" الذي يبدو هدفه الأساسي الالتزام بمسار الأحداث التاريخية دون أن يخلو تماما من بعض المشاهد المثيرة (ربما تكون متخيلة)، ولكنها لا تخرج أيضا عن الاهتمام بالوصف الخارجي، الذي يتعلق بعنف المافيا وقسوة رجالها.

في أوائل السبعينات ذهب بوشيتا إلى البرازيل، وهناك تزوج من كريستينا، زوجته الثالثة الجميلة التي تصغره باثنين وعشرين عاما، ولكن الشرطة البرازيلية تعتقله (في زمن الديكتاتورية العسكرية في الثمانينات)، وتتهمه بالاتجار في المخدرات، كما تعتقل زوجته، وفي مشهد شديد الإثارة يربطون كريستينا بحبل طويل يتدلى من طائرة مروحية تطير في الجو، ومن مروحية أخرى تطير إلى جوارها، يرغمون بوشيتا على مشاهدة زوجته وهي تتدلى في الجو من الطائرة لا حول لها ولا قوة، وذلك بغرض دفعه إلى تقديم ما يطلبونه من اعترافات.

ومن أفضل خيوط الفيلم علاقة الثقة التي تولد بين بوشيتا وقاضي التحقيق "جيوفاني فالكوني"، ثم تتحول إلى صداقة ورفقة إنسانية رائعة، بحيث لا يقبل بوشيتا قط بالإدلاء باعترافاته الغزيرة سوى لفالكوني وحده. ولأن فالكوني كان قاضيا نزيها حقيقيا رفض التستر على الشخصيات السياسية التي أدلى بوشيتا بأسمائها، مشيرا إلى علاقتها بالمافيا، كان مصيره الاغتيال بتفجير سيارته وهو مشهد مثير صوّره بيللوكيو في فيلمه من داخل السيارة قبل وأثناء انفجارها وتحولها إلى قطع وأشلاء.

> ربما يكون وراء إنتاج الفيلمين أيضا الولع السينمائي القديم بقصص المافيا وما يحيط بها من بريق يجذب مشاهدي السينما، خاصة بعد النجاح الكبير الذي حققته ثلاثية أفلام «الأب الروحي» (العراب) لفرنسيس فورد كوبولا

«أبونا الروحي» لحظات نادرة من الهدوء

في قبضة الشرطة الإيطالية

عراب العالمين

أما الفيلم التسجيلي "أبونا الروحي" Our Godfather فهو نتاج جهد هائل من جانب مخرجيه اللذين حالفهما الحظ عندما تمكنا من إقناع أرملة بوشيتا "كريستينا" أن تتحدث للمرة الأولى أمام الكاميرا، كما أقنعا بالحديث أيضا ولديْ بوشيتا بعد أن كبرا الآن. ولكن رغم مرور كل تلك السنين، مازال أحدهما يرفض الظهور بوجهه أمام الكاميرا، ولذلك نشاهده وهو يتحدث من زاوية تخفي وجهه.

لقد قتلت المافيا 12 شخصا من عائلة بوشيتا، منهم ولديه من زوجته الثانية، وشقيقه وزوج شقيقته وعمه، ومعظم هؤلاء لم تكن لهم أي علاقة بالمافيا أصلا. وكل هذه التفاصيل موثقة بشكل أو آخر في الفيلم، سواء من خلال الصور الفوتوغرافية أو الشرائط التسجيلية الإخبارية، أو من خلال شهادات الشهود، وهم كثيرون من بينهم أيضا عدد من الشرطيين والمحققين وقضاة التحقيق الإيطاليين وعدد من ضباط المباحث الفيدرالية الأميركية ممن كلفوا بحماية بوشيتا وتأمينه على مدار الساعة داخل بيته، أو البيت الذي يقيم فيه (انتقلت أسرته في أميركا بين 20 منزلا) بعد أن منحته السلطات الأميركية حق الحماية بعد أن أصبح شاهدا رئيسيا مهما ساعدهم في فك طلاسم الكثير من عمليات المافيا، التي وقعت على الأراضي الأميركية، ومنها عملية استهداف سلسلة مطاعم البيتزا. وارتبط أحد هؤلاء الضباط بصداقة وثيقة مع بوشيتا، وهو يتحدث في الفيلم ويروي كيف أنه لايزال يحتفظ بوصف الخلطة التي كتبها له بوشيتا بخط يده وكان يستخدمها في عمل نوع معين من الطعام، وكان يطهو له ولمرافقيه يوميا.

ذكرت أنه من حسن حظ المخرجين أنهما عثرا على "كرستينا"، التي لم تظهر قط في أي شريط مصور من قبل بل ومازالت تعيش في الخفاء لأن حياتها مازالت مهددة حتى يومنا هذا، "فالمافيا لا تنسى قط" كما يتردد في الفيلم. لم توافق كريستينا فقط على الظهور وتقديم خلاصة السنين الطويلة التي قضتها مع بوشيتا، بل منحت مخرجي الفيلم أيضا 14 شريط فيديو منزلي كانت بمثابة كنز بصري، فهي تتضمن الكثير من اللقطات الخاصة في حياة بوشيتا في علاقة بأسرته؛ منها لقطات له في ملابس سانتا كلوز، وأخرى وهو يطهو الطعام، أو وهو يداعب أولاده أو وهو يتحدث تليفونيا، أو يجلس في المطاعم مع أفراد أسرته، ثم يضطرون للمغادرة فجأة بسرعة بعد أن تلاحظ ابنة بوشيتا أن هناك عينا غريبة تراقبهم.

أصبحت كريستينا الشخصية المحورية في الفيلم، وهي تروي وتقف أمام الكاميرا وتقود فريق الفيلم إلى المنازل التي عاشت فيها خفية مع بوشيتا وغير ذلك، إلا أن اهتمام بوشيتا يظل هو محور الاهتمام، وهو يروي بصوته في بداية الفيلم ويتكرر صوته على مقاطع كثيرة من الفيلم (ربما من خلال اعترافاته المسجلة للشرطة الأميركية) الكثير من التفاصيل من حياته وعلاقته بالمافيا. ومن يشاهد الفيلم وهو ينتقل بين مواد الأرشيف، والصور المباشرة، وشهادات الذين عاصروا الأحداث، بل والكثير من اللقطات المسجلة مباشرة من داخل قاعات المحكمة، والتسجيلات الصوتية، والأفلام المنزلية الخاصة، لابد أن يدرك مدى الجهد الكبير الذي بذل في جمع وترتيب تلك المادة وصياغتها في سياق درامي بديع، وكأنه يخضع لسيناريو خيالي، كما يشعر وكأن أسرة بوشيتا كانت تسجل بالصوت والصورة وعينها على التاريخ، وعلى المستقبل الذي سيصبح مطلوبا فيه تقديم وعرض تلك الوثائق المصورة.

بوشيتا هو ذلك "البطل التراجيدي" الذي يفقد الكثير من أحبائه وأقاربه وأهله، بسببه وبسبب اختياراته، ويصبح بالتالي ممزقا بين الشعور بالذنب وفي الوقت نفسه، الرغبة في الاستمرار في تحقيق انتقامه الخاص من المافيا.. بعد أن "فقدت الشرف" كما يقول أثناء الإدلاء بشهادته أمام القضاة وأمام خصومه من المافيا. لكن رغم المطاردة وعمليات العنف التي طالت أفراد عائلته إلا أن بوشيتا نفسه توفي عام 2000 عن 71 عاما متأثرا بإصابته بالسرطان.

من أبرز معالم فيلم "الخائن" أداء الممثل الإيطالي الفذ بييرفرانشيسكو فافينو في دور بوشيتا، فهو يتمتع بقوة الشخصية والحضور الكبير، والكاريزما، يبدو حينا شديد القوة والصلابة والاعتزاز بالنفس، وحينا آخر، يميل إلى الصمت والغموض مع مسحة من الحزن الداخلي والكبرياء. ويمكنني القول أيضا إن تجسيد الممثل لشخصية بوشيتا جاء أفضل كثيرا من حضور بوشيتا الحقيقي في الفيلم التسجيلي!

> كان من المنتظر أن يعيد ماركو بيللوكيو بناء فيلمه بحيث يضفي عليه لمساته الخاصة الساحرة، التي تبدت على سبيل المثال في معالجته لشخصية الابن غير الشرعي

ما يمكن أن يثير التساؤل حول الفيلمين، أنهما يُظهران بوشيتا "ضحية" على نحو ما، رغم أنه مارس القتل بيديه، ففي لحظة ما مع استمرار السرد يشعر المتفرج بنوع من التعاطف معه. ومن النقاط التي حظيت باهتمام الفيلمين، تحول بوشيتا الدرامي ضد المافيا، ففي حين يعتبر فيلم "الخائن" أن قرار بوشيتا بالشهادة ضد رفاقه القدامى جاء، لأنه أراد أن يحتفظ بصورة الشخصية القادرة المهيبة التي يخشاها الجميع بعد أن كان قد عاش طويلا في الظل، يميل الفيلم التسجيلي إلى أن تمرده جاء بعد مقتل ولديه ورغبته في حماية أسرته من الخطر، وهو ما تقوله زوجته. ولكن من يدري؟ فموقف بوشيتا سيظل يحيطه الكثير من الغموض.

العرب
الأحد 2019/11/03
السنة 42 العدد 11517

مغامرة لمن يريد

أساليب جديدة تروج لمواقع سياحية قديمة

رحلات غامضة تجذب عشاق المفاجآت

بعد أن استهلك السياح أغلب الأماكن الرائقة في العالم، أصبحت السياحة مهددة بالروتين، لذلك لا ينفك العاملون في هذا القطاع من إبداع أساليب وأفكار جديدة تجعل نفس الأماكن القديمة ذات طابع جديد أو على الأقل تشجع السياح على الانسياق وراء مغامرة أخرى إلى وجهات معلومة للبعض أو غير ذات شأن للبعض الآخر، من هذه الأفكار المشاركة في رحلة مجهولة لا يكتشفها المشاركون فيها إلا عند وصولهم إليها.

واشنطن – عندما قامت دينا إسبينشايد بالرد على إعلان على وسائل التواصل الاجتماعي يعرض عطلة نهاية الأسبوع إلى جهة مجهولة، حذرتها شقيقتها من احتمال اختطافها.

وتقول إسبينشايد، لم يكن هذا العرض شرعيا فحسب، بل إنها "تستمتع بهذا النوع من الرحلات".

ونظم قسم السياحة في ولاية فرجينيا الغربية لرحلة مجانية في وقت سابق من هذا الشهر للترويج للولاية كوجهة مثالية في فصل الخريف. وكانت تفاصيل الإعلان الوحيدة، "ارتد ملابس ثقيلة، وألبس أحذية المشي لمسافات طويلة، وجهّز نفسك للمغامرة".

تقدّم حوالي 500 شخص للاشتراك في الرحلة، تم اختيار 33 منهم، قيل لهم أن يحضروا في محطة للحافلات في واشنطن العاصمة في الساعة السابعة صباحًا لبدء الرحلة التي ستعود بهم في اليوم التالي.

بدأت تفاصيل أخرى للرحلة في الظهور عندما رأوا الحافلة، التي كانت تحمل اسم "الوجهة مجهولة" ولكن كانت تحمل لوحة ترخيص ولاية فرجينيا الغربية.

قالت إسبينشايد، إن جوانب الحافلة كانت مغطاة بصور لأوراق أشجار أحمر وأصفر وبرتقالي، ثم بدؤوا في التحرّك نحو الغرب.

أعطاهم ذلك فكرة عامة، لكن ما الذي كان يجب عليهم فعله؟

الكثير، وكان هذا هو الهدف من الرحلة، التي كانت متاحة فقط لسكان فرجينيا وماريلاند وواشنطن العاصمة.

وقالت إسبينشايد "لم أفكر أبداً من قبل في قضاء عطلة نهاية الأسبوع في فرجينيا الغربية. خارج مدينة هاربرز فيري، لم أكن أعرف ما يمكن أن تقدّمه ولاية فرجينيا الغربية".

وازداد انتشار هذا النوع من الرحلات الغامضة في الولاية، سواء بشكل فردي أو جماعي.

وسواء كان السفر بالحافلة أو القطار أو الطائرة، فإن هذه الإجازات اختلفت في ما بينها من حيث طول مدتها والنفقات والوجهة.

وفي كثير من الأحيان، يتم إعطاء الزبائن فكرة عامة إلى أين هم ذاهبون، وآخرون لا يتم إخبارهم حتى يصلوا إلى المطار. حتى أنه يتم شراء بعض الرحلات كهدايا للآخرين.

وقالت دينيس تشايكون ويفر، التي أسست شركة "ماجيكال ميستري تورز"، منذ ما يقرب من عقد من الزمن، بعد أن قامت بترتيب رحلة لصديقة إلى سان فرانسيسكو إن "منظمي الرحلات الغامضة يمكنهم مساعدة الزبائن الذين يجدون صعوبة في اتخاذ القرار، وأيضاً هؤلاء المغرمون بالمكان الذي يريدون الذهاب إليه أو قاموا بالكثير من البحث حتى ذهبت إثارتهم".

وتعمل شركتها الآن على حجز مئات الرحلات سنويًا، تضيف ويفر قائلة، "هناك شيء جذاب في هذه الرحلات الغامضة. لا تعرف إلى أين أنت ذاهب. المفاجآت ممتعة حقا".

> العديد من الشركات السياحية تقدم الرحلات بناءً على اهتمامات الزبائن، لذلك لا يتم إجبار السائح على شيء

وتقدم العديد من الشركات رحلات بناءً على اهتمامات الزبائن، لذلك لا يتم إجبار السائح على شيء. لن يتم إرسال المسافرين في رحلة للقفز بالمظلات إذا كانوا خائفين من المرتفعات. قالت ويفر، "بالتأكيد لدينا الكثير من 'أريد الذهاب إلى الشاطئ' أو 'أريد مكاناً دافئاً'".

وبدأت رحلات "بينك باص ميستري تريبس" في فارجو بولاية نورث داكوتا في عام 2007 كحدث لجمع التبرعات لبحوث أمراض الضمور الدماغي، وتخطط الآن لعمل إجازات ورحلات لمجموعات النساء.

نظمت الشركة رحلات لمجموعات إلى ميشيغان في يونيو وتكساس في أكتوبر، وتخطط لعمل رحلة لمدة أسبوعين إلى اسكندنافيا في سبتمبر المقبل.

ومن بين منظمي الرحلات عبر الإنترنت الآخرين شركات مثل "باك أب بلس غو"، و"سربرايز مي تريبس".

وهناك شركات تعرض رحلات باهظة الثمن مثل "ذا ترافيل ميكانيك" و"بلاك توميتو"، بينما تتخصص شركات مثل "راستيك باثويز" في تنظيم الرحلات الصيفية لمجموعات الطلاب في جميع أنحاء العالم. وقالت إسبينشايد، ملقية الخطابات الرسمية في كوانتيكو بولاية فرجينيا، إن رحلة فرجينيا الغربية كانت جذّابة بشكل خاص، لأن جدول أعمالها المُزدحم يتم التخطيط له ويتضمن ارتداء ملابس رسمية وكعب عالي.

ذهبت إسبينشايد مؤخراً إلى مدينتيْ ميامي وناشفيل في رحلة عمل، قالت، "كم سيكون لطيفا السفر في عطلة نهاية الأسبوع غير مخطط لها".

وبعد مرور ساعات قليلة من رحلة الغموض في غرب فرجينيا، توقفت مجموعتها في شلالات بلاكووتر لتناول طعام الغداء، قالت إسبينشايد "إنه كالحلم". وتضمّنت الرحلة أيضا، ركوب الخيل والمشي لمسافات طويلة إلى منطقة سينيكا روكس، على مسافة ما يقرب من 900 قدم فوق أرضية الوادي.

استمتعت المجموعة بالعشاء، وتجوّلت في المتاجر والمقاهي ومصانع الجعة والحياة الليلية في مدن تعدين الفحم والأخشاب، استمعت إلى المقطوعات الموسيقية في إحدى المقاهي، وقضت الليلة في منتجع ومركز مؤتمرات "كانان فالي".

وبحلول المساء التالي، عادت إسبينشايد إلى المنزل، لم تعد شقيقتها بحاجة للقلق عليها بعد الآن.

تقول إسبينشايد "سأفعل ذلك مجددا، لقد أخرجتني هذه الرحلة من العطلات الرتيبة التي اعتدت عليها، بعد أن أصبح بإمكاني الاشتراك في وجهة أخرى غير معروفة، فأنا لا أخطط لأي شيء، وهذا جزء من المغامرة".

مهاجرون يقدمون جولات سياحية في روما

روما – لا يرى عبدول وكابا وسيديا روما كالآخرين وهم يعرّفون السياح عبر تسجيلات سمعية على أبرز معالم العاصمة الإيطالية، مستعرضين قصصهم الشخصية المطبوعة بمحنة الهجرة.

هذه الجولات المصحوبة بتسجيلات صوتية بالإنكليزية والإيطالية لهؤلاء "المرشدين غير المرئيين" كما يلقّب هؤلاء اللاجئين أنفسهم، تنظم مرتين في الشهر بناء على حجوزات بمبادرة من جمعية "لابوراتوريو 53" لمساعدة المهاجرين.

ويحتشد السياح في المرحلة الأولى من الجولة في ساحة إسبانيا المعروفة بمدرجاتها الضخمة حيث تصدح كبسات آلات التصوير.

ويرى عبدول جعفرو في هذا الموقع الرمزي في العاصمة معلما يزخر بالمفاجآت، كمشهد "سيارة كبيرة يقودها رجل أبيض مع ركاب سود على متنها".

وهو يذكّره أيضا بحيّ فيينا سيتي في أكرا في بلده الأم غانا حيث "يطيب للأثرياء السهر"، لكن "في ساحة إسبانيا، يصبح الفقراء والأغنياء على قدم المساواة".

وفي نظر عبدول يكمُن الثراء الفعلي للسياح في "قدرتهم على مغادرة بلدهم لأخذ عطل ثم العودة إليه"، خلافا لحاله.

ويوضح ممدوو سيلو ديالو، وهو غيني يشرف على الجولة، أن الهدف، هو مزج روايات المهاجرين بالمعلومات الموفّرة عن المواقع التاريخية "وإظهار أمور لا يلحظها الناس عادة".

> المهاجرون يسردون قصصهم للسياح بكرامة جلية لمجرّد القول إنهم موجودون وأنهم مواطنون كغيرهم في ايطاليا

أما المرحلة الثانية، فهي تقضي بالتوقّف أمام لوحة تعود للقرن السابع عشر يحظر فيها أحد وجهاء روما كان يلقّب بـ"رئيس الشوارع" رمي النفايات في الموقع. وتتيح هذه المحطة التطرّق إلى مسألة شائكة ألا وهي إدارة النفايات في روما، كما هي الحال في مدن أفريقية.

وفي وقت لاحق يتوقّف السياح في شارع تريدينته حيث يروي المالي لامبني سانوغو رحلته التي عبر فيها خمسة حدود وصولا إلى البحر المتوسط فإيطاليا في مسار محفوف بالمخاطر قضى فيه 25 شخصا ممن كانوا برفقته.

النوافير عنوان روما

وتقول إيف، وهي فرنسية تقيم في روما منذ 28 عاما بدا التأثر واضحا عليها "يسردون قصصهم بكرامة جلية لمجرّد القول إنهم موجودون" وكان لديهم حياة قبل الوصول إلى روما.

ويأمل الغيني كابا كوليبالي في أن يساهم هذا المشروع في التصدّي "للقوالب النمطية المرتبطة بالسود". ويقول "يظن الإيطاليون أننا لصوص ومجرمون، لذا كان لا بدّ من إظهار قيمة ثقافاتنا ودفع الناس إلى التفكّر".

ثمّ يتوقف السياح أمام نافورة تريفي الشهيرة حيث ينقلهم صوت سيديا كامارا إلى كازامانس في السنغال ليروي لهم الشاب كيف أنه شاهد أحد رفاقه يغرق في النهر عندما كان في العاشرة من العمر.

ويقول كامارا "أخاف من المياه"، لكنه يؤكد أنه يحب نافورة تريفي لأنها تذكّره بالنهر في بلده.

وتوفّر هذه الرحلات موارد مالية بسيطة للمهاجرين، لكن الهدف منها خصوصا هو "التأكيد على أن المهاجرين هم مواطنون كغيرهم ومن شأن رؤيتهم للوضع أن تغيّر نظرتنا للحيّز العام"، بحسب ماركو سينيوريلي من "لابوراتوريو 53".

رحلة في ثنايا الساحل الغربي لجنوب أفريقيا

كيب تاون – يمثل الطريق الإقليمي رقم 27 فرصة رائعة لاستكشاف الساحل الغربي لجنوب أفريقيا، حيث ينعم السياح برؤية الطبيعة البكر الخلّابة وتتاح لهم الفرصة لممارسة رياضة ركوب الأمواج، بالإضافة إلى التعرف على ثقافة السكان المحليين.

ويمتد الطريق لمسافة 150 كلم على الساحل الغربي لجنوب أفريقيا، بدءا من مدينة كيب تاون ويمر عبر بلوبيرجستراند مع إطلالة رائعة على جبل تيبل المعروف باسم جبل الطاولة، كما يمر هذا الطريق أيضا عبر المحمية الطبيعية "ويست كوست ناشونال بارك" حتى يصل إلى مدينة فيلدريف الساحلية.

وتظهر الأجواء الساحرة للطريق على مسافة بضعة كيلومترات فقط خارج مدينة كيب تاون، ويمر الطريق وسط المناظر الطبيعية، التي تغطيها نباتات الفينبوس الممتدة على مساحات شاسعة.

ويمكن للسياح الاستمتاع بمنظر المحيط إلى جانب الزهور.

وينعم السياح بعد قيادة السيارة لمدة ساعة في منطقة يزرفونتين بنسيم البحر المنعش، ويلهو الأطفال على الشاطئ الممتد بشكل لانهائي، كما تظهر في الصورة أيضا مجموعة من راكبي الأمواج يتابعون رياضتهم في الأمواج المتلاحقة، وتحلق طيور النورس وتصرخ بأصوات عالية فوق قوارب الصيد.

وبالقرب من منطقة يزرفونتين يوجد المشروع الثقافي "خواتوو" لسكان سان المحليين، ويمتد هذا المشروع على مساحة 850 هكتارا من الأراضي، التي كانت مملوكة في السابق للمزارعين، ويتعرّف السياح من خلال الجولة في هذا المشروع على طريقة حياتهم السابقة والحالية.

وأوضح المدير التنفيذي مايكل دايبر أن هذا المشروع الخيري يهدف إلى توعية السياح بثقافة سان وتسليط الضوء على جوانب هذه الثقافة بالنسبة للمهتمين بها.

وينتمي معظم الموظفين إلى شعب سان وينحدرون من جنوب أفريقيا وبوتسوانا وناميبيا، ويمكنهم نقل ما يتعلمونه هنا إلى قراهم، وهو ما يعزز التفاهم على كلا الجانبين. وبالنسبة لمايكل دايبر فإن المشروع الثقافي يعتبر مهمة جوهرية؛ حيث ساعد في بناء "خواتوو"، ويصطحب المدير الأشقر السياح بحماس وشغف كبيرين عبر أراضي المشروع الثقافي، ويعرض لهم نسخة طبق الأصل من قرية حقيقية، كما يوضح لهم مقتنيات معرض فني بألوان مبهرة، ولم تقتصر أهمية السياحة لشعب سان على توفير سبل العيش فقط،

بل وفرت لهم أيضا مساحة لكي يحكوا قصتهم.

وبعد السير لبضعة كيلومترات يصل السياح إلى منطقة باترنوستر، ويشاهد السياح المنازل المطلية باللون الأبيض في قرية الصيادين، والتي تتباين بوضوح مع الغطاء النباتي الأخضر والسماء الزرقاء. وينعم السياح بأجواء المدينة الساحرة، ولن يلاحظوا اختلافات كبيرة سواء كانوا يقيمون في فندق باهظ التكلفة أو في منزل صغير للصيادين.

وتمثل السياحة فرصة كبيرة لمنقطة باترنوستر، على الرغم من أن المنطقة لا تبدو غنية؛ حيث يجتذب الشاطئ الطويل الأمواج المتلاحقة عشاق ركوب الأمواج، علاوة على وجود الكثير من بيوت الضيافة الخاصة والفنادق والمطاعم، كما يوجد مطعم وولفجات، في منطقة باترنوستر، والذي يعتبر واحدا من أفضل المطاعم في العالم.

وخلال المسير على الطريق 27 يشعر المرء بأنه بعيد بعض الشيء عن البراري الأفريقية؛ حيث لا يشاهد هنا الأسود والفيلة والفهود ووحيد القرن والجاموس البري، ومع ذلك يمكنه مشاهدة أكثر من 250 نوعا من الطيور في محمية "ويست كوست ناشونال بارك"، التي تمتد على مساحة 30 ألف هكتار، كما يمكن الاستمتاع بالتجول سيرا على الأقدام أو ركوب الدراجات الجبلية فوق مسار الرمال الحمراء.

وتقع مدينة فيلدريف على بعد ساعة ونصف بالسيارة من باترنوستر، حيث ينتهي هنا طريق 27، وتجتذب هذه المنطقة علماء الطيور والصيادين كالسياح أيضا، لكي يجربوا حظهم في البحر أو على الجبال، أو القيام بجولة بالقوارب في النهر.

العرب
الأحد 2019/11/03
السنة 42 العدد 11517

اليابان تسمح بإنتاج أجنة حيوانية بخلايا بشرية

طوكيو تشعل الجدل الأخلاقي وتفتح آفاقا بيولوجية غير مسبوقة

التجربة لن تصل إلى إنتاج حيوانات بشرية

سلام سرحان
كاتب وإعلامي عراقي

فتحت الحكومة اليابانية آفاقا لا يمكن التنبؤ بها حين زلزلت الحواجز الأخلاقية والتنظيمية العالمية لتصبح أول دولة تسمح رسميا باستخدام الهندسة الجينية في إنشاء أجنة حيوانية بخلايا بشرية، الأمر الذي يسمح بخلق كائنات حيوانية بشرية تذهب لإحياء الكثير من الأساطير.

أبواب الدخول إلى هذا العوالم، جاءت في شكل موافقة لجنة من وزارة العلوم اليابانية على طلب تقدم به باحثون لزراعة البنكرياس البشري في الفئران، وهي أول تجربة تحصل على موافقة حكومية منذ إلغاء طوكيو لحظر هذه التجارب في وقت سابق من العام الحالي. ونسبت صحيفة أساهي شيمبون اليابانية إلى الباحث الرئيسي في التجربة هيروميتسو ناكوتشي قوله "أخيرا، نحن في وضع يسمح لنا ببدء دراسات جادة في هذا المجال بعد 10 سنوات من الإعداد".

وسبق للباحثين أن ابتكروا أجنة أغنام وخنازير ممزوجة بخلايا بشرية، ولكن كانت تتم تصفية تلك الأجنة بعد بضعة أيام أو أسابيع، إلا أن موافقة الحكومة اليابانية ستسمح هذه المرة بولادة تلك الأجنة لتظهر إلى الوجود حيوانات بشرية تتنفس وتعيش.

لكن هذه التجربة لن تصل إلى ما قد تقفز إليه المخيلة من ظهور كائنات أسطورية داعبت مخيلة الكتاب والسينمائيين مثل المرأة القطة، أو لنقل خلايا البعض إلى حيوانهم المفضل، على الأقل في المستقبل المنظور!

الهدف المباشر للسماح للعلماء بهذا النوع من الأبحاث هو الوصول في المستقبل إلى توفير أعضاء قابلة للزراعة في أجساد البشر من الحيوانات التي تستخدم بالفعل لإنتاج الغذاء وخاصة الخنازير في ظل شحة توفر الأعضاء البشرية لتلبية حاجة المرضى إليها.

وفي التجربة التي كانت سبب إصدار موافقة الحكومة اليابانية، يقول ناكوتشي إن العلماء سيقومون بهندسة قوارض غير قادرة على نمو البنكرياس الخاص بها، بوضع خلايا جذعية بشرية فيها لجعل الأجنة تطور البنكرياس من الخلايا البشرية ثم زرع الأجنة في قوارض بالغة.

وأكد ناكوتشي أن الباحثين سيقومون بالتجربة بعناية بالغة في المدى القريب قبل الانتقال إلى الولادة الحية في وقت ما في المستقبل، وذلك في محاولة لتهدئة الاعتراضات الأخلاقية. وأضاف أنه إذا تسربت خلايا بشرية كثيرة إلى أدمغة الأجنة، فسيتم إيقاف التجربة.

ويعرف العلماء حجم المعارضة الأخلاقية لمغامرة فتح آفاق لا يمكن إيقافها. وتقول كارولين نيوهاوس، عالمة أخلاقيات الطب في مركز هاستينغز إن العلماء بحاجة إلى التراجع خطوة إلى الوراء لفتح أبواب المناقشات الأخلاقية على نطاق واسع قبل دخول مثل هذه المغامرات.

وتدور أكبر الأسئلة الأخلاقية حول ما يمكن أن يحدث إذا دخلت الخلايا البشرية في عقل حيوانات الاختبار، وحجم المأزق الأخلاقي إذا أصبحت واعية بما يحدث. يبدو أن فريق البحث الياباني أخذها بعين الاعتبار.

وفي الإطار الأوسع تصطدم التجربة أيضا بتصاعد المعارضة العالمية لاستخدام الحيوانات في المختبرات بشكل عام حتى في تجارب الأدوية التقليدية، والتي ستزداد حدة حين يتعلق الأمر بحصاد الأعضاء البشرية من الخنازير. لكن نيوهاوس تقول إن التجربة الجديدة "ليست أسوأ من الناحية الأخلاقية من الطرق المستخدمة حاليا في تربية المواشي والخنازير لإنتاج اللحوم، رغم أن تربيتها لتوفير أعضاء للبشر سوف تتطلب تغييرات كبيرة على الطريقة التي تتم بها تربية الخنازير لتلك البحوث أي أن معاملتها ستكون أحسن". وتضيف نيوهاوس أن النقاش الأخلاقي يجب أن يستمع أيضا إلى صوت مهم جدا وهو صوت الأشخاص الذين هم بحاجة ماسة إلى أعضاء للخروج من معاناة الأمراض.

وفي الخلاصة فإن إنتاج حيوانات من خلايا بشرية هذا العام لن يؤدي إلى كوابيس خطيرة، أما المستقبل فهو متروك لمخيلة كل منا.

كارولين نيوهاوس:
استخدام الحيوانات لإنتاج أعضاء بشرية ليس أسوأ أخلاقيا من طرق تربية المواشي حاليا

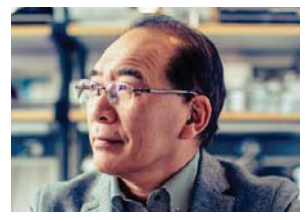

هيروميتسو ناكوتشي:
إذا تسربت خلايا بشرية كثيرة إلى أدمغة الأجنة الحيوانية فسوف يتم إيقاف التجربة

غوغل تحقق قفزة خارقة في الحوسبة الكمية

كمبيوتر يحل مشكلة معقدة خلال دقائق بدل آلاف السنين

دخلت الحوسبة الكمية (كوانتم) منعطفا جديدا بتحقيق غوغل اختراقا كبيرا في سباق واسع بين شركات كثيرة نحو آفاق لا متناهية لتكنولوجيا الحوسبة، رغم أن الخبراء يعتقدون أن الحوسبة الكمية لن يتم ترويضها للاستخدام في أغراض الحوسبة القياسية للأغراض اليومية في المستقبل القريب وربما لن يحصل ذلك على الإطلاق.

واشنطن – قفزت شركة التكنولوجيا العملاقة غوغل إلى صدارة بحوث تطوير أقوى جهاز كمبيوتر في العالم، بتأكيدها تحقيق اختراق كبير في الحوسبة الكمية (كوانتم).

وأكدت الشركة الأميركية أن جهاز الكمبيوتر الجديد، الذي صنعته، استطاع خلال 200 ثانية فقط إنجاز عمليات حسابية تحتاج إلى حوالي 10 آلاف سنة مع أجهزة الكمبيوتر فائقة القوة الحالية. وذكرت مجلة "نيتشر" العلمية الأميركية في الأسبوع الماضي أن شركة غوغل طورت في معاملها رقائق الحوسبة الكمية، التي استخدمتها في الكمبيوتر الجديد.

ونقلت وكالة بلومبرغ للأخبار الاقتصادية عن هارتموت نيفين المدير الهندسي في شركة غوغل قوله إن هذا الإنجاز تحقق نتيجة سنوات من بحث وعمل الكثيرين وأنه يمثل بداية لرحلة جديدة تتمثل في اكتشاف سبل استخدام تكنولوجيا كوانتم.

وأضاف أن غوغل تعمل مع مجتمع الباحثين العالميين وأنها طورت أدوات مفتوحة المصدر من أجل أن تتيح للعلماء الآخرين العمل إلى جانبها في تحديد التطبيقات الجديدة لهذه التكنولوجيا التي أطلقت عليها الشركة الأميركية اسم "التفوق الكمي".

لكن باحثين في شركة آي.بي.أم الأميركية شككوا في حجم الاختراق العلمي الذي حققته غوغل. وقالوا إن ما ينجزه كمبيوتر غوغل الجديد خلال 200 ثانية يمكن إنجازه خلال 60 ساعة فقط باستخدام الكمبيوتر الكلاسيكي الذي يحتوي على مساحة تخزين كافية وليس في 10 آلاف سنة كما ذكرت غوغل.

وتركز بحوث تكنولوجيا الحوسبة الكمية على محور إدخال تحسين استثنائي على سرعة معالجة البيانات وقوة أجهزة الكمبيوتر من أجل إتاحة قدرات أنظمة الكمبيوتر العملاقة على نطاق واسع ودفع التقدم العلمي في مجالات الفيزياء والكيمياء وغيرهما.

وعلى عكس أجهزة الكمبيوتر الكلاسيكية التي تعتمد على أسلوب "صفر وواحد" في تخزين البيانات الرقمية، فإن الحوسبة الكمية تعتمد على ما يسمى أسلوب "التكديس" الذي يتيح استخدام كل من الصفر والواحد في تشفير البيانات بالتزامن، وهو ما يتيح زيادة هائلة في كمية البيانات الرقمية التي يمكن تخزينها أو معالجتها.

ورجحت بلومبرغ أن يتواصل الجدل بشأن ما إذا كانت هذه التقنية الجديدة تمثل اختراقا حقيقيا في عالم تكنولوجيا المعلومات، مثلما هو الحال مع جميع الاختراقات العلمية التي لا تجد تطبيقا عمليا. ويقول الكثير من الخبراء إن ما حققه كمبيوتر غوغل الجديد وجميع ما توصلت إليه بحوث الحوسبة الكمية، سيبقى يدور في إطار تطبيقات محدودة، لا تستجيب للأغراض العامة الواسعة للحوسبة الحالية.

ويعتقدون أن هذه التكنولوجيا سوف تحتاج إلى سنوات طويلة من التطوير قبل أن تتمكن من الاستجابة لحاجات الحوسبة العملية، حيث تتباين الآراء والتوقعات بشأن الإطار الزمني للوصول إلى ذلك الهدف.

وترجح بعض التكهنات أن تصبح الحوسبة الكمية متطورة ومزدهرة جدا بحلول عام 2028، لكن بعض المحللين يذهبون إلى المقارنة بين طموحات الحوسبة الكمية وبين أحلام الاندماج النووي، التي تطاردها المختبرات منذ عقود، دون أن تقترب بدرجة حاسمة من إمكانية تحقيقها.

وإذا تمكنت هذه التكنولوجيا من تحقيق اختراقات كبيرة فإنها يمكن أن تفتح آفاقا هائلة للكثير من القطاعات مثل صناعة السيارات والمؤسسات المالية والتأمين والصناعات الدوائية والصناعات العسكرية والمؤسسات البحثية.

وهناك إجماع على أن الحوسبة الكمية لن تحل محل نماذج الحوسبة القياسية، لأن الأخيرة تتمتع بكفاءة عالية في حل العديد من مشكلات الحوسبة اليومية.

ويسعى العلماء منذ عقود إلى تسخير فيزياء الكم والقوانين التي تحكم سلوك الجسيمات دون الذرية التي يمكن أن توجد في وقت واحد في حالات مختلفة، على عكس العالم اليومي الذي يتصوره الناس.

وتعتمد الحوسبة التقليدية على البت Bits أي باستخدام رقمي واحد وصفر، في حين تستخدم الحوسبة الكمية وحدات البت الكمية QuBits التي يمكن أن تكون واحدا وصفرا في ذات الوقت.

وتتضاعف قدرات الخاصية، التي يطلق عليها التراكب، عندما تتشابك وحدات البت الكمية مع بعضها البعض، وكلما زاد عدد الوحدات التي يمكن ربطها معا، ازدادت قوة الكمبيوتر الكمي.

هارتموت نيفين:
طورنا أدوات مفتوحة المصدر تتيح للعلماء العمل معنا لتحديد التطبيقات الجديدة للحوسبة الكمية

لكن هذه التكنولوجيا تتطلب تبريد وحدات البت الكمية لدرجة قريبة من الصفر المطلق (273.15 درجة تحت الصفر) لتفادي حدوث أخطاء في الحسابات. وفي هذه المهمة الصعبة للغاية، حققت غوغل تقدما كبيرا بمساعدة الهليوم السائل للتبريد.

وقال الرئيس التنفيذي لشركة غوغل سوندار بيتشاي في منشور على مدونة الشركة إن الإنجاز الجديد يشبه بناء أول صاروخ لمغادرة الغلاف الجوي للأرض ولمس حافة الفضاء، وهو تقدم جلب السفر بين الكواكب إلى عالم الممكن.

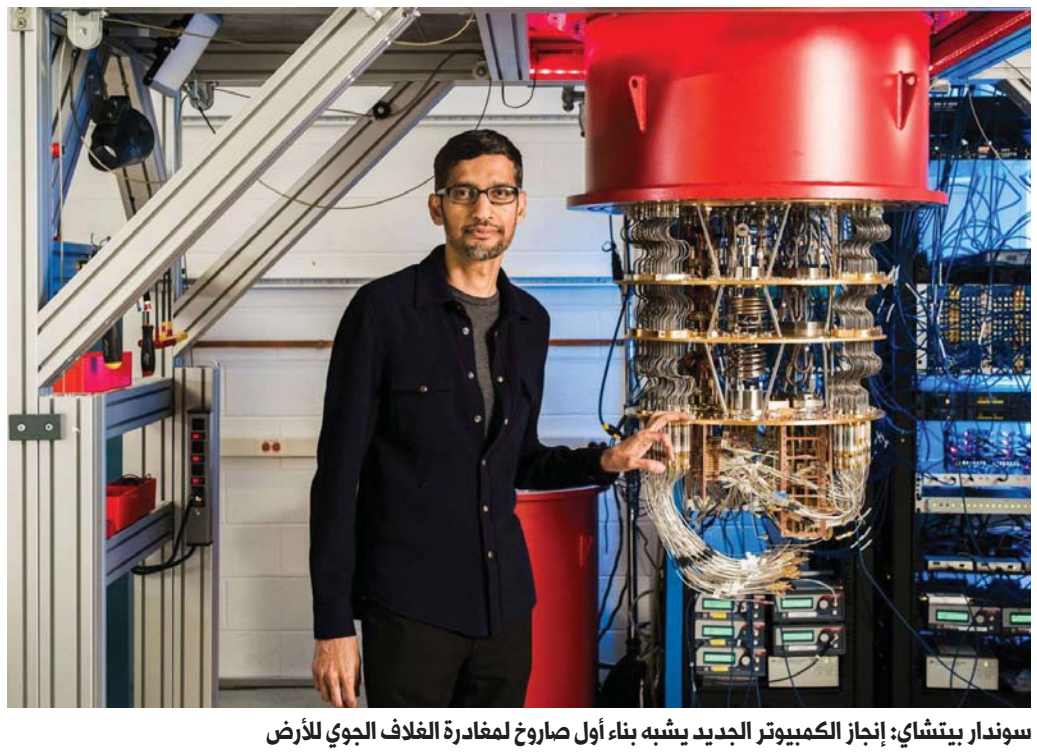

سوندار بيتشاي: إنجاز الكمبيوتر الجديد يشبه بناء أول صاروخ لمغادرة الغلاف الجوي للأرض

العرب
الأحد 2019/11/03
السنة 42 العدد 11517

أيهما أفضل لتنمية العضلات البار الحديدي أو الدمبل

تمارين رفع الأثقال تعزز عملية التنفس

عندما يتعلق الهدف بتقوية العضلات، دائما ما يتجه الرياضي إلى تمارين رفع الأثقال. ولكنه غالبا ما يحتار بين خيارين، إما استخدام البار الحديدي الكلاسيكي الذي يعتمده المحترفون عادة أو قطع الدمبل التي شاع استعمالها حتى لدى النساء وداخل البيوت لسهولة رفعها ونقلها من مكان إلى آخر.

البار الحديدي والدمبل فعالان في بناء العضلات

واشنطن - أكدت الكثير من الدراسات أن رياضة رفع الأثقال مفيدة مهما كان نوعها أو الأداة التي يستخدمها المتدربون لممارستها. ويشير المدون جيريمي إيثيير إلى أن البار الحديدي والدمبل فعالان في بناء العضلات. ونشر عبر مدونته "بيلت ويذ ساينس" مقالا بحث خلاله عن أي الأداتين أفضل؟ وما هي إيجابيات وسلبيات كل منهما؟

كتب إيثيير "أولا، نعلم أن هناك ثلاث آليات رئيسية لتنمية العضلات. من بين هذه الآليات الثلاث، يعدّ الشد العضلي من الشروط الأساسية.

وكما ذكر الباحثون، من أجل التركيز على هذه النقطة، يحتاج الرياضي إلى اختيار تمارين تشمل رفع الأوزان الثقيلة والزيادة في نسبة قوتها لتتناسب مع تطور العضلة. ويوفر البار الحديدي خيارات أوسع من تمارين الشد مقارنة بالدمبل.

> تمارين الدمبل توفر القدرة على الموازنة بين عضلات الجسم مما يحد من مشكلة التباين الذي يظهر على الجسم

على سبيل المثال، أظهرت دراسة نشرتها مجلة علوم الرياضة في سنة 2011 قدرة الرياضيين الذين تدربوا بالبار الحديدي على رفع أوزان أثقل بـ20 بالمئة مقارنة بالذين تدربوا باستخدام الدمبل. كما وجدت دراسة نشرت في مجلة أبحاث القوة والتكييف سنة 2013 أن الرياضيين استطاعوا حمل وزن إضافي يقدر بـ10 بالمئة باستخدام البار الحديدي.

وتفسر هذه النتائج بطبيعة تمارين البار الحديدي التي تتطلب قدرا أقل من الثبات عند الرفع مقارنة بالدمبل. إذا وصل المتدرب إلى النقطة التي يرفع فيها أوزانا ثقيلة باستخدام الدمبل، فمن المرجح أنه سيلاحظ مدى صعوبة الوصول إلى وضعية ثابتة، مما يجعله يهدر الكثير من الطاقة قبل أن يبدأ بأول شدة. عند مقارنة ذلك بتمارين البار الحديدي، سيتقطن نفس التمدرب إلى أنه لن يحتاج إلى مجهود كبير للبدء في التمارين.

بالإضافة إلى ذلك، يمكن زيادة الأوزان المثبتة على البار الحديدي على كل جانب، بينما لا تستطيع أن تضيف وزنا ثقيلا في كل يد أثناء الزيادة في حدة التمارين عند استعمال الدمبل. وتجعل هذه الميزة من الرفع في درجة التمارين عند استخدام البار الحديدي عملية أكثر سلاسة.

ويرى كاتب المقال أن كل هذه العوامل هي صغيرة ولكنها مهمة، إذ يمكن استخدام البار الحديدي من التقدم بطريقة أسرع وأكثر كفاءة. وتساهم التمارين الإضافية في تحريك العضلات لفترة أطول وهو ما يزيد تنميتها بطريقة أسرع. ولكن، وعلى الرغم مما ذكر، لا يجب على الرياضي اعتماد معدات رياضية وتجاهل أخرى، حيث يرى مدربو اللياقة أن للدمبل مزايا خاصة تجعل منها خيارا لا يجب استبعاده.

مزايا استخدام الدمبل

صوّر القسم الأول من هذا التحليل البار الحديدي كأفضل خيار لتقوية العضلات. ومع ذلك، وقبل تسرع الاستنتاجات واتخاذ قرار نهائي، نحتاج إلى إلقاء نظرة أعمق على ما تقدمه تمارين الدمبل.

ومن أول مزايا الدمبل وأهمها من حيث تقوية العضلات، يذكر التقرير قدرتها على التنشيط العضلي الأعلى مقارنة بغيرها من المعدات المعتمدة في مجال الأوزان الحرة. على سبيل المثال، وجدت مقالة نشرت في مجلة أبحاث القوة والتكييف سنة 2016 أن الدمبل يساعد على تنشيط العضلة الصدرية الكبيرة بطريقة أنجع مقارنة بالبار الحديدي.

كما دعم تخطيط كهربائية العضلات وصحة الخلايا العصبية الحركية التي تتحكم فيها هذا الاستنتاج، وذلك في تحليل شامل أجراه الباحث بريت كونتريراس. ووجد التخطيط أن استخدام الدمبل ينشط عضلات الصدر بطرق أكثر فعالية من المعدات المشابهة الأخرى.

وبالنسبة إلى مجموعات العضلات الأخرى، وجد المقال المنشور في سنة 2013 أن استخدام الدمبل نشّط العضلة حتى وإن كان الرياضي جالسا. وبالتالي، من المرجح أن ينطبق هذا التنشيط على جل العضلات الأخرى كذلك.

وقد يكمن السبب وراء ذلك في القدرة على استخدام الدمبل في مجموعة وضعيات أكثر. كما تتيح هذه التمارين التحرك بطرق تناسب بنية جسم كل رياضي بدلا من أن تفرض مسارا ثابتا. وبالتالي، تساهم هذه المرونة في تنشيط العضلات التي يرغب كل رياضي في التركيز عليها بشكل أفضل. كما تعتبر تمارين الدمبل أكثر راحة وخاصة بين أولئك الذين يعانون من بعض الآلام إثر استخدام الحديدة.

إلى جانب تنشيط العضلات، تحمل تمارين الدمبل فائدة كبيرة أخرى. ويعلم الرياضيون أهمية هذه الميزة المتمثلة في الحد من التباين بين العضلات. فنظرا لتحرك كل ذراع مستقلة عن الأخرى، يمكن لعضلات الجسم أن تتبع نسقا مختلفا عن بعضها البعض. وتوفر تمارين الدمبل القدرة على الموازنة بين عضلات الجسم مما يحد من مشكلة التباين الذي لا يحبذ الرياضيون رؤيته في أجسامهم.

من الأفضل

تحمل المعدات الرياضية جملة من المزايا والعيوب. ويعني التخلي عن بعضها حرمان الجسم من مجموعة من الإيجابيات. لذلك، تتمثل الطريقة الأمثل في اعتماد مزيج من التمارين التي تتطلب استخدام البار الحديدي والدمبل.

ومن الأرجح أن يكون هذا الخيار الأكثر فعالية لتقوية العضلات مع الحد من نسبة التباين بينها ومن احتمال الإصابات. ومن الأفضل أن يشمل البرنامج التدريبي التمارين الهادفة إلى تقوية الشد العضلي. ويبقى هذا الخيار أفضل عند رفع الأوزان الأثقل، إذ يصعب تحقيق التوازن والثبات عند استخدام الدمبل مما يقلل من التركيز على الشد.

وبالإضافة إلى تمارين البار الحديدي، يجب على الرياضي تضمين تمارين الدمبل. ويعد هذا مهما لتقوية الجزء العلوي من الجسم.

لا تساعد تمارين الدمبل على مجرد تنشيط العضلات، ولكنها تساعد على التقليل من احتمال التباين بين العضلات والإصابات.

بالإضافة إلى الجزء العلوي من الجسم، يمكن تطبيق نفس المنهجية على العضلات الأخرى من أجل استغلال جميع المزايا التي توفرها المعدات الرياضية.

وفي النهاية لا يمكن أن نقول إن البار الحديدي أفضل من الدمبل، أو أن نقول العكس. فكما أبرزت المقارنة، يتفوق كل واحد منهما في المجالات التي يعاني الآخر فيها من نقص في الفوائد.

وعندما يتعلق الهدف بتقوية العضلات إلى أقصى حد، يكمن الحل في كيفية الاستفادة من جميع المزايا الخاصة التي تتمتع بها كل المعدات الرياضية.

يستعرض موقع "كوتش ماغ" البريطاني مجموعة من أفضل التمارين التي يتم فيها استخدام الدمبل الذي يعتبر من أكثر المعدات التي توفر تمارين الأوزان الحرة شيوعا.

يميل معظم الأشخاص إلى تجربة التدرب باستخدام قطع الدمبل. وهي توفر قدرا من التمارين التي يمكن إضافتها إلى الروتين الرياضي.

قال مؤسس أنتيكس فيتنس، آنت نيمان، إن استخدام معدات مثل البار الحديدي لا يساعد على تقوية الجانب الأضعف من الجسم. وأضاف "في الغالب، يمكنك رفع الوزن باستخدام جانبك الأقوى، مما يعني أن التباين سيبدو بين عضلاتك. يساعد استخدام الدمبل في الحد من هذه المشكلة لأنها تدفع كل جانب إلى العمل، مما يعني أنك ستطور قوتك وحجمك بالتساوي على كلا الجانبين. وتساهم طبيعة الدمبل التي تفرض على مستخدميها بذل مجهود أكبر للحفاظ على توازنهم في تحريك العضلات الأخرى مما يقويها ويساعدهم على التقليل من احتمال إصابتهم".

وتنقسم التمارين إلى تمارين للمبتدئين والمتوسطين والمحترفين. فعلى المتدرب المبتدئ أن يقف ويحمل الدمبل في كل يد ويقرب يديه إلى فخذيه، مع الحفاظ على استقامة ظهره. ثم يبدأ في رفع الأوزان ببطء حتى تصبح ذراعاه متوازيتين مع الأرضية. ويعود إلى وضع البداية مرة أخرى بنفس السرعة.

يقول نيمان "لا تحتاج إلى قوة هائلة لأداء الحركة، وهذا ما يجعلها مناسبة للمبتدئين. تخيل أنك تحمل دلوا في كل يد بينما ترفع ذراعيك. تحرك كما لو كنت تسكب الماء الذي بداخلها إلى أن يشير إبهامك إلى الأرض. سيضمن ذلك أن تضغط على عضلة ثلاثية الرؤوس العضدية".

ويشمل تمرين العضلة ذات الرأسين العضدية الإمساك بزوج من الدمبل أمام الفخذين ثم تحريك اليد في اتجاه الصدر ببطء قبل إرجاعهما مرة أخرى.

يقول نيمان "حافظ على مرفقيك على جانبيك. في اللحظة التي ترفع فيها مرفقك، اعلم أنك حوّلت التركيز بعيدا عن العضلة ذات الرأسين والكتفين. إذا كنت مبتدئا، فقد تتجنب التعامل مع الأوزان الثقيلة. لكن الأمر يختلف مع هذا التمرين. لذلك، لا داعي للقلق لأنه لا يتعلق بالثقل بل بتمديد العضلات وشدها. يمكنك تغيير قبضك لتركز على مجموعة مختلفة من العضلات. لكن، أوصي المبتدئين بالتركيز على التمرين كما هو".

ويعد الاندفاع تمرينا لتقوية عضلات الفخذ وعضلات الألوية والعضلة النصف غشائية، والعضلة الفخذية ذات الرأسين. مع حمل الدمبل، على المتدرب أن يخطو خطوة كبيرة إلى الأمام ويخفض جسمه حتى تنحني ركبتاه بدرجة قائمة، ثم يرفع جسمه إلى أعلى مركّزا على عضلات الساق الأمامية ليعود إلى وضعية البداية.

يقول نيمان "يعدّ تنشيط عضلات ساقيك ضروريا لعدة أسباب، بما في ذلك بناء قوتها وحرق السعرات الحرارية. إذا كنت مبتدئا، قد تبدو فكرة هذا التمرين مخيفة. لكنها طريقة رائعة لتقوية ساقيك". ويمكن القيام بتمرين الضغط على الكتف جلوسا أو وقوفا. ويتطلب ذلك الإمساك بالدمبل على مستوى الكتفين ومحاولة رفع الأوزان أعلى من الرأس قبل إعادتها إلى وضعية البداية ببطء.

قال نيمان "تأكد من أنك لا تقوس ظهرك أكثر من اللازم. إذا لم تحرص على ذلك، ستستخدم عضلات صدرك العلوية بدلا من كتفيك".

ويعتبر المدربون التمارين التي لا تتطلب الوقوف خيارا رائعا للمبتدئين إذا التزموا بالوزن الذي يناسبهم. وهو يساعد على تقوية العضلات حول الكتفين والصدر لأنه يجبر المتدرب على الحفاظ على الأوزان مرفوعة بثبات ويجب تطوير تلك العضلات قبل الانتقال إلى الأوزان الأثقل. ثم يحاول المتدرب أن يستلقي على مقعد تمرين مسطح مع إبقاء قدميه مسطحتين على الأرض. ويرفع قطعتي الدمبل فوق صدره ثم يرجعهما ببطء حتى يصلا إلى صدره مرة أخرى.

ويمكن أن يرتاح لمدة ثانية واحدة، ثم يعيد الكرة.

أما بالنسبة إلى تدريبات الرياضيين المتوسطين فيمكن أن يمارسوا تمارين الصدر. وذلك عبر الإمساك بقطعتي الدمبل فوق الصدر ومحاولة إبقاء الذراعين مستقيمتين حيث يواجه الكفان بعضهما البعض. ثم على هؤلاء الرياضيين خفض الأوزان ببطء ثم إرجاعها إلى أعلى فوق الصدر، على أن يحاولوا تجنب الاعتماد على المرفقين.

يقول نيمان "تعد ممارسة هذه التمارين طريقة رائعة لعزل عضلات الصدر، إذ تعتمد جل الحركات التي من المفترض أن تركز عليها على الكتفين والذراعين. حاول أن تقوس أسفل ظهرك قليلا. سيساعد هذا في الحفاظ على الثقل على صدرك بدلا من كتفيك".

ولأداء تمارين الانحناء، يقف المتدرب ويترك مساحة بين قدميه بعرض كتفه، ثم يثني ركبتيه وينحني من خصره ويحافظ على رقبته على نفس منحنى عموده الفقري. بعد ذلك يحمل الدمبل ببطء إلى صدره عبر الضغط على كتفيه معا.

> مدربو اللياقة يقولون إن رفع الأثقال هو شكل من أشكال تمارين المقاومة التي تساعد على زيادة تحمل الجسم

ويقتضي تمرين القرفصاء إلى الأمام رفع الدمبل على الكتفين ثم الشروع في تمارين القرفصاء العادية. يعتبر هذا التمرين مهما لدى رافعي الأثقال حيث يساهم في تدريب أهم عضلات الحوض المسؤولة عن القوة والتحمل.

وتختلف تمارين الرياضيين المحترفين في حدتها عن بقية الفئات. ويجلس خلالها الرياضيون القرفصاء وهم يحملون الدمبل في أيديهم. ويركزون على عضلات أرجلهم لتكرار تمارين القرفصاء. ويمكن أن يضعوا قدمهم في الخلف على مقعد لزيادة صعوبة الأمر قليلا.

يقول نيمان "ستشعر بكل عضلة في ساقيك وحوضك خلال سعيك للحفاظ على توازنك. ادفع جسمك من خلال كعبك بدلا من أصابع قدميك".

الأثقال تمرين للمقاومة

يقول مدربو اللياقة إن رفع الأثقال هو شكل من أشكال تمارين المقاومة التي تساعد على زيادة تحمل الجسم. وقد كشفت دراسة سابقة، نشرت في موقع أورونيوز، أن الأشخاص الذين يعانون من البدانة ومارسوا تدريبات المقاومة شهدوا انخفاضا في نوع من دهون القلب التي ترتبط بأمراض القلب والشرايين.

وتوصل الباحثون في الدراسة الصغيرة إلى أن نوعا معينا من دهون القلب وهو النسيج الدهني التاموري، انخفض لدى المرضى الذين مارسوا رفع الأثقال، ولكن ليس لدى أولئك الذين عملوا على زيادة قدرتهم على التحمل من خلال التمارين الهوائية. وأدى هذان النوعان من التدريبات إلى تقليل النوع الثاني من دهون القلب، وهو الأنسجة الدهنية النخابية، والتي ترتبط أيضا بأمراض القلب والشرايين.

وقالت الدكتورة ريجيت هوجارد كريستنسن التي قادت فريق الدراسة وهي باحثة في مركز أبحاث الالتهاب والتمثيل الغذائي ومركز أبحاث النشاط البدني في مستشفى جامعة كوبنهاغن "لقد فوجئنا بهذه النتيجة".

وعلى الرغم من أن الدراسة لا تفسر لماذا سيكون لتدريب الأثقال تأثير مختلف عن تدريبات التحمل، قالت كريستنسن في رسالة لرويترز عبر البريد الإلكتروني "نعلم من دراسات أخرى أن تدريبات المقاومة تعد حافزا قويا لزيادة كتلة العضلات وزيادة معدل التمثيل الغذائي مقارنة بتدريبات التحمل، وبالتالي نعتقد أن المشاركين الذين يمارسون تدريبات المقاومة يحرقون المزيد من السعرات الحرارية خلال اليوم وكذلك في الفترات التي لا يمارسون فيها أي نشاط مقارنة بمن يمارسون تدريبات التحمل".

ولاستكشاف تأثير أنواع مختلفة من التمارين على دهون القلب استعانت كريستنسن وزملاؤها بنحو 32 بالغا يعانون من البدانة وضعف النشاط البدني لكنهم لا يعانون من أمراض القلب أو السكري أو الرجفان الأذيني.

وتم توزيع المشاركين عشوائيا على برنامج لمدة ثلاثة أشهر من التمارين الهوائية أو تدريبات الأثقال أو عدم تغيير النشاط البدني (المجموعة الضابطة). وخضع كل شخص لفحص بالرنين المغناطيسي للقلب في بداية الدراسة وفي نهايتها.

وخفض كلا النوعين من التمرينات كتلة الأنسجة الدهنية النخابية في مقارنة مع عدم ممارسة أي تدريبات، فخفضتها تدريبات التحمل بنسبة 32 في المئة وتدريبات الأثقال بنسبة 24 في المئة.

العرب
الأحد 2019/11/03
السنة 42 العدد 11517

هيمنة الإنترنت تزيد ولاء الشباب للتسوّق الإلكتروني

الغلاء والتكنولوجيا المتطورة والراحة كوّنت شراهة في البيع والشراء عبر الإنترنت

فضاء مريح للنساء

يتوقع خبراء أن ينهي التسوق الإلكتروني الشكل التقليدي للمتاجر وعمليات البيع والشراء الحالية في غضون عشرين عاما من الآن. ويبني هؤلاء أسانيدهم على القوة الشبابية الضخمة التي حولت عالم التسوق عبر الإنترنت إلى عالم مواز غير مسبوق وقادر على تحقيق جانب هام من رغباتهم وبعض من طموحاتهم في توفير مصدر للرزق.

محمود زكي
كاتب مصري

تحوّلت الشبكات الرقمية في أقل من عشرين عاما ومنذ ظهور تجارة الإنترنت أو ما يعرف بالتسويق الإلكتروني إلى ما يشبه سوقا ضخمة تمتد شوارعها وتفتح أبوابها في جميع أنحاء العالم. وبدت هذه السوق شاملة لكل شيء كما يمكن أن تمثل شغفا كبيرا أو رفاهية لا جدوى منها. لكنها لم تخيّب الخبراء الذين توقّعوا أن تغير شكل التجارة في العالم وتبتلع عددا من المحلات والأسواق تدريجيا.

أضحى الشباب العرب مؤخّرا جزءا من هذه المنظومة التجارية الضخمة، كزبائن أو تجار. وأظهر "استطلاع رأي الشباب العربي" عام 2019 أن 71 بالمئة من الفئة العمرية (24–18 عاماً) في المشرق والمغرب العربي يتسوّقون عبر الإنترنت مرة شهرياً على الأقل. ويشكّل ذلك ارتفاعا بنسبة 18 بالمئة عن نسبتهم في الاستطلاع الذي أجري العام الماضي.

> البعد النفسي والاجتماعي والاقتصادي حقق توسعا أكبر في التسوق الإلكتروني، إلا أن الثورة التكنولوجية الحاضرة بقوة في الحياة كان لها النصيب الأكبر

وتقول بعض الأرقام غير الرسمية إن التسوّق الإلكتروني في البلدان العربية وصلت قيمته إلى حوالي 10 مليارات دولار في العام الماضي.

تعكس هذه الأرقام الوتيرة التصاعدية والسريعة لازدهار هذه السوق ما يكشف قوة وهيمنة الإلكتروني على الواقعي في مجال التسوّق. وتظهر أيضا الخصال التي تجعل التسوّق الإلكتروني يغري الشباب في البيع والشراء كما تقدم وجها عن مدى ارتباطهم بالإنترنت ومواقع التسوّق. فلماذا يتجه الشباب نحو التسوق عبر الإنترنت؟

تأتي الإجابة الأولى في الأغلب متعلقة بعوامل الراحة والتنوع التي توفرها السوق الإلكترونية، كما يؤكد أحمد عبدالعزيز، الطالب بالسنة الأخيرة في كلية التجارة جامعة القاهرة، قائلا "أستطيع أن أشتري كل شيء، من رباط الحذاء إلى سيارة وبيت ومصنع عبر الإنترنت، وكل ذلك بالضغط على زرّ وأنا جالس في مكاني".

وتابع في تصريح لـ"العرب"، "عندما أحتاج لشراء مستلزمات دراسية مثلا، لا أذهب إلى المكتبة، لكن أشتري من المواقع الكبرى التي تعطيني تنوعا كبيرا ومذهلا من كل شيء أحتاجه ولا أحتاجه، ليس ذلك فقط لكنها تقوم بتوصيلها حتى باب المنزل".

زبائن هاربون من الغلاء

رغم أن النماذج الأولى للإقبال على التسوّق الإلكتروني تتعلق بالأريحية في الشراء، إلا أن الإحصاءات الخاصة بأسباب إقبال الشباب العرب على التسوّق تشير إلى عكس ذلك، لأن الشاب العربي تبدو لديه أسباب أخرى عكس أولويات بقية الشباب، ومنها ظروف بلاده.

ويلعب الغلاء وارتفاع الأسعار المتفاقم في الكثير من الدول العربية بسبب ظروف سياسية واقتصادية مضطربة دورا أساسيا في ارتفاع نسبة الشراء عبر الإنترنت وتحول دفة الاختيار نحو المواقع الإلكترونية.

في قطاع غزة، تشير بعض الإحصاءات إلى أن التسوق والتسويق الإلكترونيَّين أصبحا كيانا ملموسا في كل بيت، ومصدر رزق لما يناهز 35 بالمئة من الشباب هناك.

ويفسّر خبراء ذلك، بأن منطقة مثل غزة تعيش ظروفا اقتصادية صعبة وفقرا متصاعدا بالإضافة إلى الحصار وارتفعت بها معدلات البطالة وتضاعفت المصاعب أمام أصحاب المحلات والتجار، ووجد البعض في البيع والشراء عبر الإنترنت وسيلة مثالية للتعامل مع تلك الظروف.

تقول عفت محمود، وهي شابة من مصر في نهاية العقد العشريني، إن غلاء ملابس والأحذية والأجهزة الإلكترونية بعد تحرير سعر صرف الجنيه المصري، دفعها إلى شراء مستلزماتها كلها من صفحات فردية على منصات التواصل الاجتماعي بنصف ثمنها في المحلات والأسواق.

وتضيف لـ"العرب"، أن الظروف المادية الصعبة وارتفاع الأسعار خاصة أسعار الأشياء والبضائع المستوردة، جعلت الشباب يبحثون عن بدائل موفرة وفي الوقت ذاته تحافظ على قدر من المستوى الاجتماعي الذي عاشوا فيه، ولذلك اتجه الجميع نحو الأسواق الإلكترونية التي توفر حلا لهذه الأمور.

وشرحت محمود، أن عشرات المواقع، لاسيما في مجال الملابس والموضة تضخ منتجات بجودة عالية وأسعار منخفضة مع تنوع كبير، فماذا يمكن أن تقدم لنا المتاجر الفعلية؟

وفتح التسوق عبر الإنترنت مجالات أوسع للشباب لاحتراف مهنة التسويق ذاتها، واستغلال التنامي الكبير في المنظمات التي توفر تدريبا منخفض التكلفة باعتبارها وسيلة لتعزيز الدخل، ويمكن اتباعها كوظيفة تكميلية ومهنة لا تحتاج إلى التفرغ أو الحصول على شهادات علمية، لكنها تحتاج فقط إتقان التعامل الجيد عبر الإنترنت.

تغيرت نظرة الشباب إلى التسويق الإلكتروني للنقيض تماما، من مهنة سيئة السمعة ترتبط بالنصب على العملاء وبيع سلع رديئة لهم إلى الأكثر طلبا حاليا من قبل الشركات، مع تنامي استخدام الإنترنت والانتشار الواسع لاستخدام الهاتف المحمول.

ويشير بعض الشباب إلى أن التسوق عبر الإنترنت يمنح العميل القدرة على حساب متوسط الأسعار بصورة أعلى عكس البيع والشراء التقليديين، مع زيادة التنافس بين البائعين وتقديمهم تخفيضات وتسهيلات للشراء، بجانب منح العميل الفرصة لاستكشاف منتجات جديدة بمجرد ظهورها في بلدها الأصلي، بدلا من الانتظار لسنوات قبل تطوع وكيل محلي لتوفيرها.

ويؤكد أحمد كامل، مدير إحدى شركات الإعلانات والتسويق الإلكتروني، لـ"العرب"، أن انتشار الشراء عبر الإنترنت تزامن مع اختلاف آليات عملية البيع ذاتها، فقديما كان الجميع يخشون استخدام بطاقات الائتمان الخاصة بهم في الشراء وحاليًا أصبحت العملية أسهل عبر الشراء بواسطة طرف ثالث يجلب البضاعة ويحصل على مقابلها بعد تسليمها بالمنزل.

ويرى البعض أن عشوائية أسواق الشراء التقليدية ربما تكون دافعا نحو التسوق الإلكتروني، فحتى الكثير من المتاجر الكبيرة لا توفر أماكن للانتظار ولا مواقف للسيارات وتشهد كثيرا من الطوابير الطويلة أمام موظفي الحسابات أو حتى أمام أركان تبديل الملابس وقياسها ما يجعل تجربة الشراء غير مستحبّة.

مواصفات الارتياح

في ظل حالة اتساع غير مسبوقة للسوق الإلكترونية الموازية، بات التسوق عبر الإنترنت يشمل كافة الإلكترونيات، ويعد سوقا ممتازة للمقبلين على الزواج من الشباب لشراء الأجهزة الكهربائية ومستلزمات المنزل.

وتظهر الفجوة المادية في الأسعار جلية بسبب قلة الضرائب وعدم الحاجة إلى محل لعرض المنتجات والأهم توفير العمالة، واقتصار الأمر على موقع إلكتروني ومندوبي توصيل. ولم يتوقف الأمر على تحوّل الشباب إلى مشترين شرهين عبر الإنترنت، لكن أصبح بعضهم تجارا، بعد أن وجدوا في منصات التواصل الاجتماعي مساحة لعرض المنتجات وتسويقها إلكترونيا، دون حاجة لدفع ضرائب أو رقابة حكومية على بيع الماركات والعلامات العالمية.

وأوضح أحمد أبوبركة، شاب يمتلك صفحة لبيع الأحذية على موقع فيسبوك، لديها أكثر من 20 ألف معجب، أن إقبال الشباب على الشراء الإلكتروني لا يرتبط فقط بالأسعار التي تصل إلى نصف ثمنها في المتاجر العادية، لكن أيضا للتنوع الذي قد لا تجده على أرض الواقع. وتابع في تصريح لـ"العرب"، "هناك نوعان من شراء المنتجات، إما عن طريق الحصول عليها من تجار الجملة بسعر أقل ثم بيعها بسعر أكبر، أو جلب المنتجات من الخارج عن طريق السفر الشخصي العادي، وهنا لا يتكلف البائع ضرائب أو جمارك".

وأضاف أن الشراء من الخارج يتيح تقديم خدمة وتنوع وجودة أفضل للمشتري، ولذلك يجد كل شاب ما يحتاجه على الإنترنت أكثر مما هو موجود في المحلات.

فرص للنساء

أضفى التطور الاجتماعي الذي فرضته التسوق الإلكترونية أهمية خاصة للمرأة، بعد أن حلت أزمات مجتمعية كانت تعكر صفو الشراء، لأن السيدات قوة استهلاكية لا يستهان بها.

وقالت هالة السيد، التي تصف نفسها بالمدمنة على متابعة مواقع وصفحات التسوّق الإلكتروني، إن التسوّق عبر الانترنت يحل أزمة الوقت بالنسبة للمرأة العاملة، ويفتح لها حرية الاختيار والتبضّع من عشرات العلامات التجارية والمتاجر العالمية، بدلًا من رحلة التسوّق الحقيقي التي تحتاج إلى وقت وجهد كبيرين في التنقل والتورط في الزحام المروري مثلا.

وتعتمد السيد حاليًا على شراء جميع ملابسها عبر الإنترنت ومن محال تجارية خارج مصر وشحنها عبر شركات الشحن الدولية، فطبيعة مهنتها في الإدارة العليا لإحدى شركات السياحة تقتضي منها ارتداء نوعيات فاخرة من الملابس تتماشى مع الصورة الذهنية للشركة الكبيرة التي تعمل بها.

و تميل الفتيات أكثر إلى الإنترنت في شراء بعض البضائع التي تحتاج إلى الخصوصية كمستلزمات العناية الشخصية والماكياج أو الملابس الداخلية بعيدا عن أنظار المارة التي تلاحق أي فتاة تدخل تلك النوعية من المحال أو الخجل الذي ينتابهن حينما يجدن غالبية البائعين من الرجال.

ويوفر التسوّق الإلكتروني فرصة أمام الفتيات المقبلات على الزواج لاختيار السلع التي تردن اقتناءها بأسعار محددة مسبقًا وبما يتماشى مع القدرات المالية للأسرة، على عكس الشراء التقليدي الذي يدخل المشتري في فاصل من السجال مع البائع.

وذكرت سارة عمر، وهي شابة في العشرينات من العمر، أنها عانت أثناء شراء احتياجات تجهيز منزل الزوجية مع والدتها من تصرفات البائعين ومحاولتهم بشتى الطرق إقناعها بشراء المزيد من البضائع التي لا تريدها أو نوعيات معينة ترى أنها لا تناسبها

وفتحت مواقع التسويق الإلكتروني عبر شبكة الإنترنت مجالاً واسعًا أمامها لشراء بعض السلع غالية الثمن التي لم يستعملها أصحابها، ويريدون التخلي عنها بأسعار مغرية، كما أنها عملت على الحد من إدمانها شراء بضائع لا تحتاجها لمجرد الإعجاب بها لحظيًا، فالشراء عبر الإنترنت يتيح فرصة للتفكير المسبق قبل اتخاذ القرار.

أثّرت العديد من العوامل مثل البعد النفسي والاجتماعي والاقتصادي في تحقيق توسع أكبر في التسوق الإلكتروني، إلا أن الثورة التكنولوجية الحاضرة بقوة في الحياة كان لها النصيب الأكبر في إقبال الشباب على الشراء عبر الإنترنت.

تطوّرات نوعية

ولا تنتهي المسألة عند انتشار الهواتف الذكية التي سمحت بظهور عشرات التطبيقات المختصة بتوفير عروض لبيع المستلزمات، لكن حققت التنافسية بين كبرى الشركات العالمية والعربية مثل، "سوق" و"أمازون" و"إي باي" و"اشتريلي" و"جوميا"، بالإضافة إلى المنافسة الشرسة مع صغار التجار عبر الإنترنت وعلى مواقع التواصل، وسائل جذب متشعبة وعروضا ضخمة وتخفيضات متعاقبة، زادت من الشراء وفرضت المزيد من الولاء على الشباب نحو تلك المتاجر الإلكترونية.

ونقل رشاد عبده، رئيس المنتدى المصري للدراسات الاقتصادية والسياسة، القضية إلى الاحترافية التي تعمل بها مواقع التسوق الإلكتروني في تقديم السلعة وجعلها مغرية للشراء وكمية المعروض غير المتناهي الذي تقدمه مع تنامي ثقافة الاستهلاك بصورة أكبر وسط القطاعات الشبابية لبضائع الغرب حتى لو كانت غير جيدة أو لا تناسب البيئة.

> لم يتوقف الأمر على تحوّل الشباب إلى مشترين شرهين عبر الإنترنت، لكن أصبح بعضهم تجارا، بعد أن وجدوا في منصات التواصل الاجتماعي مساحة لعرض المنتجات إلكترونيا

وأضاف أن مواقع التسوق الإلكتروني اكتسبت مصداقية بين الشباب بعد تنامي الاتصالات وتعرّفهم على التجارب الحياتية لمؤسّسيها. فقائمة أثرياء العالم التي منحت مواقع التسوق بصفة عامة ثقة كبيرة لدى الزبون لن يطمح موقع معروف في النصب عليه.

ويميل الشباب دائمًا إلى التغيير ورفض الانتظار، وهي النقطة التي يلعب عليها التسويق الإلكتروني خصوصًا في الملابس وأجهزة الاتصالات، كما جددت المواقع تصميماتها ومظهرها وداعبت الراغبين في خوض تجارب المنافسة، مثلما هو الحال في المزادات الحقيقة أو التعرف على ثقافات غريبة واقتناء جزء منها.

وتشير توقعات إلى مزيد من الإقبال الشبابي على الشراء عبر الإنترنت مع ظهور أجيال جديدة لم تكن المتاجر الفعلية جزءا من حياتهم، وهو ما فرض ضغوطا على المحلات الكبيرة التي بدأت بالفعل في التوسع في عمليات البيع الإلكتروني، غير أنها ما زالت تواجه منافسة شرسة، لأنها لا تستطيع تقديم أسعار تنافسية.

وتبقى في النهاية صفات أساسية من أجل الفوز بحصة الشباب، ومن بين تلك الصفات التي يجب توفرها في المسوّق الإلكتروني، الإبداع في التسويق لجذب أكبر عدد من الزبائن حول المنتج الذي يقوم بالتسويق له، وتحديد أهمية السلع لكل شريحة في المجتمع، ومن خلال عمله وعلاقاته بالشركات يستطيع تحديد دخله الشهري.

العرب
الأحد 2019/11/03
السنة 42 العدد 11517

«امرأة تريد طبيبا» تقف عائقا أمام جهود تأنيث طب النساء

أخطاء الأطباء الذكور تتخفى وراء تجارب الطبيبات الفاشلة في التوليد

ثقة المرأة في الطبيب ترسخ تهميش وإقصاء الطبيبة، لاسيما في طب التوليد والأمراض النسائية، حيث تستأمن السيدات الأطباء الذكور على حياتهن وحياة أطفالهن، في حين تهربن من عيادة الطبيبات الجزارات حسب وصفهن.

شيرين الديدامونى
كاتبة مصرية

"ما يؤلم الشجرة ليس الفأس التي تقطعها، ما يؤلمها حقا أن يد الفأس من خشبها".. حكمة قديمة ربما تجسد العلاقة بين النساء وبعضهن، خصوصا في مجال طب النساء والتوليد، فقد كان المعتاد أن يأتي التشكيك في كفاءة المرأة الطبيبة من الرجل الذي يرى فيها منافسا محتملا، لكن الغريب أن تتولى نساء الحرب (بالوكالة) ضد الطبيبات لصالح الطبيب الرجل.

على النقيض من "الكليشيهات" التي تستخدمها مجموعة من النساء في المجتمعات العربية والداعية إلى رفض الرجال في حياتهن، متبنّيات أيديولوجيا مناصرة للمرأة، تحت شعار "نحن بنات فيمنست" و"المرأة تستطيع" و"إنتي الأقوى والأهم" و"مدينة خالية من الرجال"، تمارس نساء أخريات سلوكيات تكرس الهيمنة الذكورية ويدعمن استمراريتها عن طريق اضطهاد بنات جنسهن من طبيبات النساء والتوليد.

يلفت الانتباه انتشار ظاهرة لجوء العديد من النساء في الدول العربية لطبيب أمراض نساء، بدلا من طبيبة بدعوى أن الرجال يتقنون مهنتهم بشكل أفضل من النساء، ليثبتن لمن حولهن أن ثقافة الذكورية ليست حكرا على الرجل، بل هي توليفة من الأفكار والسلوكيات يؤمن بها الرجال والنساء على السواء.

> **شعور الأنثى بالضعف يجعلها تسقطه بشكل لا إرادي على أشباهها من الإناث، وهو حصاد لتحقير المجتمع لها سنوات طويلة**

وعلى العكس من ذلك بدأت النساء في المجتمعات الغربية في الاعتماد والثقة بالطبيبات، حيث كشف استطلاع للرأي صادر عن الاتحاد الفيدرالي في بريطانيا، أنه "عند تعذّر وجود طبيبة نسائية فإن المريضة تفضل أن تفحصها قابلة أو طبيبة ممارسة عامة على الاستشاري الرجل"، وحتى في الولايات المتحدة، تفضل قرابة 50 بالمئة من النساء التعامل مع طبيبات.

الأمر الذي يستدعي التوقف، هو كيف للمرأة التي تطالب بالتحرر من سطوة الرجل وأن تأتمنه على أدق خصوصياتها في ما يتعلق بجسدها؟

تجارب سلبية

توترت المهندسة الشابة جيسكا عند ذهابها إلى المستشفى الخاص بمنطقة المهندسين بالقاهرة، للكشف الدوري لدى الطبيب المتابع لحالتها من بداية الحمل، بعدما علمت أن طبيبها سافر لمدة شهر لحضور مؤتمر بالخارج.

وخلال دقائق معدودة دخلت العشرينية في حالة بكاء هيستيري عندما أخبرتها الممرضة أن الطبيبة المساعدة للطبيب هي من ستباشر الحالات في العيادة وتتولى عمليات الولادة.

زوج جيسكا برر للمتواجدين سبب البكاء بهاجس يلازمها منذ بداية الحمل بأنها ستفقد حياتها أو جنينها إذا تولت طبيبة امرأة عملية الولادة.

وكثيرا ما جرت بينهما مشادّات في بداية الحمل لإصرارها على المتابعة لدى طبيب رجل واصفة طبيبة النساء أنها "قاسية ولا قلب لها"، حتى دون أن يكون لها سابق تجربة معها.

الفضول جعل الزوج يناقش زوجته ليكتشف أن إيثارها للطبيب يعتمد على خبرات "سماعية" من حكايات أقربائها عن طبيبات النساء، فإحداهن كادت تتسبب في موت ابنة خالها أثناء الولادة، وأخرى نال مشرطها من قناة فالوب عند استئصال ورم ليفي من رحم خالتها.

وقال الزوج لـ"العرب" إنه في أثناء الذهاب مع زوجته لمتابعة الحمل سمع العديد من القصص والتجارب السلبية تلوكها ألسنة النساء في مثل تلك المجالس وتؤثر على رؤية الأخريات، فإن أشاعت إحداهن أن الطبيبة ضعيفة مهنيا تنصرف باقي السيدات عنها.

جزارة النساء

يؤكد ذلك الكلام تصريح الصحافية السعودية أمل باقازي، حيث أفادت، أنها في العادة تذهب إلى طبيب بالسمعة، بعدما تتأكد من أن صديقة أو أحدا من أفراد العائلة سبق أن تعامل معه، كما أن الطبيب الذكر في مجال النساء والولادة يتعامل مع الحالة بسلاسة وإنسانية أكثر من المرأة.

وأشارت باقازي إلى أن التجارب الشخصية هي نقطة الحسم في اختيار جنس الطبيب، قائلة "ذهبت إلى طبيبة في فترة الحمل، إلا أنني وللأسف أجهضت بسبب خطئها ولا أستطيع تفسير ما حدث إلا بأنه جهل منها".

وما روته الصحافية السعودية عما تعرضت له على يد طبيبة النساء تضعه كل امرأة صوب عينيها عند اختيار جنس الطبيب، فأخطاء الطبيبات تؤثر في سمعتهن، وترسخت صورة عن طبيبة النساء بأنها "جزارة"، وانتشرت هاشتاغات تحمل عنوان "احذروا جزارة النساء والتوليد" بعد تداول أخبار تشير لأخطاء أودت بحياة عشرات من السيدات على أيدي بعضهن.

حرّر إسلام (مندوب مبيعات) بلاغا ضد طبيبة نساء، لأنها تسببت في موت زوجته العشرينية خلال الولادة داخل عيادتها الخاصة بإحدى قرى محافظة المنيا في جنوب مصر.

وروى الزوج لـ"العرب" أن الطبيبة أعطت زوجته محلول صوديوم رغم معاناتها من ارتفاع الضغط ثم خدرتها دون استدعاء طبيب تخدير متخصص.

وتابع "بعد مرور ساعتين تسرب القلق إلينا، فطرقنا باب غرفة العمليات كثيرا دون رد، ثم تمكنا من الدخول فوجدنا الطبيبة ملطخة بالدماء وطلبت نقل زوجتي بمعرفتنا لأقرب مستشفى عام رافضة استدعاء سيارة الإسعاف وعندما توجهنا للمستشفى اكتشفنا أنها كانت قد فارقت الحياة بالفعل داخل العيادة".

لم تكن زوجة إسلام الوحيدة التي تأذت بسبب إهمال طبيبة النساء، فقد تداولت وسائل إعلامية تقارير تحت عنوان "جزارة النساء والتوليد"، في إشارة إلى إحدى طبيبات أمراض النساء التي أوهمت شابة ثلاثينية أنها تعاني من ورم خبيث في الرحم لابد من استئصاله، وبعد إجراء العملية تدهورت صحتها فحملتها أسرتها إلى المستشفى لتكتشف أنه لم تكن لديها أورام، بل كانت في بداية فترة الحمل.

لكن ناشطات في حقوق المرأة تعترضن على إلصاق صفة الإهمال بالطبيبة فقط ويشرن بسخرية إلى أن ذلك التعميم غير عادل وسيعيد المرأة إلى قرون سحيقة لتقوم بما فعلته أغنوديس، أول طبيبة في أثينا عاشت في القرن الرابع قبل الميلاد؛ حيث تنكرت بزي رجل كي تمارس مهنة الطب التي كانت محظورة على النساء بأثينا في ذلك الوقت.

هؤلاء يشدّدن على ضرورة عدم الوقوع في فخ التعميم والتنميط لطبيبات النساء ويرفضن فكرة الأحكام المطلقة التي تؤكد أفضلية الطبيب الرجل على المرأة، لأنها مقولات تقلل من شأنهن، ويلفتن إلى أن الأمر يرجع إلى كفاءة الطبيب وليس جنسه. تستشهد الناشطات بدراسة أجرتها جامعة هارفارد على نحو 1.5 مليون شخص يعانون من أمراض مختلفة، بأن استجابتهم للعلاج كانت أفضل عندما عالجتهم طبيبات.

الأطباء الذكور لديهم أيضا أخطاء، لكنها تتوارى خلف أعدادهم الكبيرة مقارنة بأعداد الطبيبات، وعلى سبيل المثال هناك ما يزيد على عشرين شكوى قضائية في نيابة محافظة المنيا بمصر، جميعها ضد أطباء نساء وتوليد، تسبّبوا في ضياع حلم الأمومة لكثير من السيدات.

وتم تداول مقاطع وأخبار لأطباء يتحرشون بالمريضات على غرار الدكتور الأميركي لورانس نصار، طبيب فريق الجمباز النسائي، والدكتور جورج تيندال، أخصائي أمراض النساء في المركز الصحي الطلابي في جامعة جنوب كاليفورنيا، لاختراقهما "البروتوكول" الطبي عن طريق لمس النساء الشابات بطريقة غير لائقة خلال القيام بالفحص النسائي، مما يعرضهن لمشاكل نفسية.

بؤرة الظل

يرجع البعض تفضيل النساء للأطباء الذكور إلى جملة من الأسباب، أبرزها واقع الدول العربيّة التي تمارس الفصل والتمييز بين الرّجل والمرأة، حتى النساء اللاتي يلجأن لطبيبات إنما يفعلن ذلك لمجرد الحياء أو التمسك بمبادئ دينية أو قلة الأطباء في القرى وليس لاقتناعهن بأن كفاءة هذه الطبيبة أو تلك لا تقل عن مقدرة هذا الطبيب.

يلقي بعض الأطباء اللوم على الطبيبة نفسها التي ارتضتْ بهذا الدور وبقيت في بؤرة الظل، دون أن تسعى لأن تخرج إلى الضوء لتثبت مقولة الفيلسوفة النسوية الفرنسية سيمون دي بوفوار "نحن لا نولد نساء، بل نصبح كذلك".

وترى رباب محمود (محاسبة من مصر) أن الطبيب أكثر تمكنا ويتمتع بالسرعة في التعامل مع المواقف الصعبة، خاصة عند لحظات الولادة أو في العمليات الجراحية.

الكفاءة الطريق الوحيد لاستعادة الثقة

وأكدت محمود لـ"العرب"، أنها وبنات جيلها لا ينظرن إلى طبيبة النساء باعتبارها نموذجا ناجحا، فلا توجد طبيبة رسخت لنفسها مكانة وذاع صيتها مثل الأطباء الموجودين الآن على الساحة.

ويظهر ذلك جليا في إحدى البنايات بحي راق في منطقة المعادي الجديدة بجنوب القاهرة، ففي الوقت الذي تتكدس فيه النساء حتى مطلع النهار على قوائم الانتظار في عيادة طبيب شاب لم يتجاوز الأربعين من عمره، تبدو العيادة المقابلة له والتي تمتلكها طبيبة في ذات التخصص خالية من الحالات باستثناء امرأة أو اثنتين ربما ذهبتا زهقا من الانتظار بعيادة الطبيب.

جلست أم حمادة، وهي امرأة ريفية بسيطة من قرية "سبك الضحاك"، إحدى قرى محافظة المنوفية بشمال القاهرة، تنتظر دورها في العيادة الممتلئة وتسأل المتواجدين عن الساعة.

تشير السيدة الخمسينية، إلى أنها ذهبت لطبيبة نساء بالوحدة الصحية في قريتها لشكواها من نزف رحمي، لكنها لم تتحسن وأصيبت بأنيميا حادة وفقر دم فاضطرت للمجيء لهذا الطبيب.

وأوضحت أم حمادة لـ"العرب"، أن السيدات في قريتها مجبرات على طبيبة الوحدة الصحية، لكنهن لا يثقن في تشخيصها، بالرغم من أن القرية المجاورة لهن بها طبيبة متمرسة في تشخيص المرض وعلاجه، لكنها لا تقبل حالات خارج قريتها بسبب الضغط الشديد عليها.

وقال رامي رياض، استشاري أمراض نساء وتوليد، لـ"العرب"، إن أفضل الأطباء في مجال علاجات النساء والإخصاب والحقن المجهري وحتى الأورام الخاصة بالرحم، من الرجال، لطبيعة المهنة القاسية التي تتطلب ممارستها ساعات طويلة، حيث يستمر العمل أكثر من 16 ساعة متواصلة أحيانا، ما يستلزم مجهودا عضليا وجسمانيا وذهنيا كبيرا قد لا تتحمله المرأة.

بدأ حضور المرأة يتوسع في الطب النسائي منذ منتصف التسعينات تقريبا لكن ممارسة المرأة للطب كانت قبل ذلك بكثير، وتحديدا عام 1930 وكانت أول طبيبة معروفة في مجال النساء والتوليد هي هيلانة سيداروس بتشجيع من الدكتور نجيب محفوظ، أول طبيب لأمراض النساء والتوليد في مصر.

المشكلة أن بعض الطبيبات حبيسات المعركة "الجندرية"، ولم تخرج منها نحو آفاق أرحب، مما جعل تقدمهن محدودا، في حين أن هذا المجال يحتاج البحث والاطلاع المستمر.

أشار رياض، إلى أن اختيار المرأة لطبيب أو طبيبة قرار شخصي لا يحق لأحد مصادرته، والمشكلة أن المرأة عندما تختار مراجعة الطبيب لأنه أكثر خبرة تقول لأنّ "الطبيبات جزارات"، فالتعميمات التي تنطلق لتبرير الخيارات هي ما يُسيء للنساء لا الخيار بحد ذاته.

وترى سامية الساعاتي، أستاذة علم الاجتماع، أن المرأة في المجتمعات العربية، تعاني من التناقض والازدواجية بين ما تقوله وما تقتنع به وتمارسه عمليا، وهي تؤيد المساواة بين الرجل والمرأة، وعند التطبيق يستحضر ذهنها المخزون الثقافي الاجتماعي فتعيد الطبيبة المرأة إلى أدوارها التقليدية الضعيفة وتضع الرجل في مرتبة أعلى.

وأوضحت الساعاتي لـ"العرب"، أن فرص التعليم المتساوية لا تعني بالضرورة فرص الوصول إلى مواقع العمل نفسها، والقبول بدخول المرأة مهنة الطب لا يعني وصولها لمكانة أعلى من الرجل أو حتى مساوية.

عبر الرسام الإسباني، بيردل بوريل، في لوحته "الهروب من الإطار"، أنه عندما نخرج من الإطار الذي صنعوه لنا نندهش، وننـدم على كل لحظة فُرض علينا عيشها بمُسمّى "الأُطر والتقاليد". ويبدأ الهروب من الإطار بغربلة الأفكار والتقاليد الخاطئة المتوارثة، وعدم التقوقع داخل هذه الأطر وإخضاعها إلى مقياس الواقع وتغيراته.

الهروب من الإطار

يرى خبراء علم النفس، أن هناك معوقات تكونت لدى المرأة ترافقها دوما وتسيطر على تفكيرها. فقد يكون عند الفتاة أثناء طفولتها نسق من الأفكار والاتجاهات محوره وجود شخص قوي يدعمها ويحميها ويجعلها حبيسة ذلك الدور، فلا تعتمد على نفسها ولا على امرأة أخرى فهي "السندريلا" التي تنتظر النجاة على يد الشخص القوي، وهو الرجل.

وأكد هاشم بحري، أستاذ الطب النفسي، أن معارك المرأة تتلخص في الفكاك من الوعي الزائف وعقدة سندريلا والشعور بالاكتفاء، واقتناع المرأة بغيرها من النساء يستلزم تعرفها على ذاتها وخروجها من الإطار الذي صنعته لنفسها.

وشدّد بحري في حديثه لـ"العرب"، على أن شعور الأنثى بالضعف يجعلها تسقطه بشكل لا إرادي على أشباهها من الإناث، وهو حصاد لتحقير المجتمع لها سنوات طويلة، فجعلها لا تثق بنفسها في الأغلب، ومن ثم لا تثق في قدرات امرأة أخرى، وفقا لنظرية القهر الطوعي للذات الذي عانت منه.

ولا يستبعد أستاذ الطب النفسي، الجانب الفطري لميل المرأة للطبيب الرجل، فالفطرة جعلتها تثق بالرجل في ما يتعلق بصحتها لأنه سيكون أكثر حرصا عليها قائلا "الأقطاب المتشابهة تتنافر والمختلفة تتجاذب، ما أدى بالتماثل الأنثوي أن يتنافر لصالح التضاد الجنسي".

وحذر من أن فقدان المرأة للثقة بنفسها وبنات جنسها، يعود عليها في نهاية المطاف بمزيد من التهميش والإقصاء، فكم من الطبيبات المتخصصات يملكن أضعاف الخبرة والكفاءة أكثر من نظرائهن الرجال، لكن التهميش والإقصاء وأدا موهبتهن.

والمرأة حين تحتفي بإنجازات طبيبة (امرأة مثلها) فهي توطّن المجتمع على قبول المزيد من الطبيبات الناجحات، وربما يساعد ذلك على تأنيث تلك المهنة كما كانت بالماضي، فثقة السيدة بنفسها وبنات جنسها، أفضل لها من شكوى ظلم المجتمع وإعادة إنتاجه ضد من هم أضعف منها من النساء.

> **النساء في العديد من الدول العربية يلجأن لطبيب أمراض نساء، بدلا من طبيبة بدعوى أن الرجال يتقنون مهنتهم بشكل أفضل من النساء**

الخوف من الطبيبة يفوق الخوف من آلام المخاض

العرب
الأحد 2019/11/03
السنة 42 العدد 11517

أخطاء شائعة في المطبخ تفسد متعة الطهي

إهمال التفاصيل يهدر الجهد ويقف وراء فشل الوصفة

نرمي ما لا نستحق

لا تنجح العديد من الوصفات في المطبخ بسبب أخطاء بسيطة وهفوات تتعلق أحيانا بما يبدو للبعض أنها تفاصيل، لكنها قادرة على إفساد وجباتهم. وترتبط هذه الأخطاء أحيانا بعادات سيئة عند الإعداد أو الطهو وأحيانا بعدم معرفة للطريقة الأفضل. ويمكن اتباع مجموعة من التوصيات والنصائح التي يعتمدها المختصون والطهاة لعدم الوقوع في كل ما يمكن أن يفسد متعة الطبخ.

نيويورك – تتعدد الأخطاء التي يسهل تجنبها بمجرد معرفة ماهيتها، من إهمال قراءة الوصفات بالكامل إلى التقطيع بسكين غير حاد وغيرها من الحيل البسيطة التي تسهل على عشاق الطبخ تحضير وصفات لذيذة.

يحب الجميع تجريب نصائح المطبخ أو تلك الحيل الصغيرة التي تدعي أنها ستحولنا إلى أفضل الطهاة، لكن، يجب أن نتخلى عن بعض النصائح التي قد تبدو واعدة، إذ تعتبر من الأخطاء الشائعة في بعض الأحيان.

■ عدم قراءة الوصفة كاملة

قبل أن تبدأ الطهو، تأكد من أنك جمعت جميع المكونات. أدرس الخطوات جيدا وابحث في التعليمات التي قد تكون مربكة. وبهذه الطريقة، لن تجد نفسك عاجزا أمام الوصفة، ولن تصيبك حالة من الفزع عندما تظهر جملة "أتركها ترتاح ليلة كاملة" أو "ضع الخليط في الثلاجة لمدة أربع ساعات على الأقل" وأنت تستعد لاستقبال الضيوف، أو لمواجهة بكاء أطفالك الجائعين.

■ اختيار أوان صغيرة جدا

هل جربت مزج العجينة في وعاء صغير جدا؟ هل أردت نقل الخليط إلى طبق أصغر؟ هل اضطررت إلى تقطيع رطل من السبانخ على لوح تقطيع صغير؟ أو استخدام سكين صغير لتقشير القرع البرتقالي الكبير؟ يعدّ اختيار الأوعية الأكبر أفضل عندما يتعلق الأمر بشراء أواني المطبخ. ويقلل هذا من الفوضى، وفائض الخلطات، ويمنح المزيد من الأمان وخاصة عندما يتعلق الأمر باستخدام السكين.

عندما تتعود على المطبخ، ستتعلم مهارة القيام بمهام متعددة؛ ولكن، يجب أن تحرص على توفير جميع المكونات في مطبخك قبل أن تشرع في التحضير لوجبتك

■ لا تعدّ المكونات قبل بدء الطهو

عندما تصبح متعودا على المطبخ، ستتعلم مهارة القيام بمهام متعددة؛ قد تجد نفسك منهمكا في قطع الأعشاب الطازجة بينما يتقلى البصل المفروم. ولكن، يجب أن تحرص على توفير جميع المكونات في مطبخك قبل أن تشرع في التحضير لوجبتك. تخيل أن تقول الوصفة "أضف البصل والثوم والأوريغانو إلى المقلاة"، وأنت لا تمتلك شيئا من هذه المكونات.

■ استعمال سكين غير حاد

تعتبر السكاكين الحادة أكثر أمانا من السكاكين الأخرى التي تنزلق من سطح الفواكه التي تقشرها، إذا لم تعرف أين يمكنك التوجه لشحذ السكاكين، توجد الكثير من المتاجر التي يمكن أن تساعدك على استبدال أدواتك. وتقول أليسون كاين، مؤسسة مدرسة طبخ في مدينة نيويورك "من غير المرجح أن تعرف كيفية شحذ السكين بنفسك! توفر العديد من المتاجر المختصة في بيع أدوات المطبخ خدمة شحذ السكاكين، ويمكنك البحث عن أماكن أخرى عبر الإنترنت. قد تجد نفسك قادرا على شراء سكاكينك التي ستصلك إلى عتبة منزلك".

■ العبث بالطعام أثناء الطهو

"اترك الطعام ينضج وحده!" هذا ما أكدت عليه كاين "يشعر العديد من الناس بحاجة إلى التحريك والتقليب في وقت مبكر جدا. دع اللحم ينضج على الشواية قبل محاولة قلبه. دع البروكلي يحمر في المقلاة قبل تحريكه".

■ وقت الطهو يمكن تغييره

"عندما أطبخ المعكرونة في المنزل، لا أتبع زمن الطهو المذكور على العبوة". هذا ما صرح به بيل تيلبان، طاه في مطعم أوشينا في نيويورك "بهذه الطريقة، لن تفرط في طهوها. إذا وضعت المعكرونة غير المطهوة جيدا في الصلصة مباشرة وتركتها على نار خفيفة لمدة دقيقة أو دقيقتين، فستكون النكهة أفضل".

■ الإفراط في الطهو

عند إطفاء نار الموقد تحت الطعام، ستستمر عملية الطهو، غالبا ما يذكر هذا الأمر عند التطرق إلى اللحوم، حيث تستمر درجة الحرارة الداخلية في الارتفاع حتى بعد إبعاد اللحم عن المقلاة الساخنة. ويمكن أن تتحول شرائح اللحم من الطراء إلى الجفاف. لكن الطبخ المرحلي ينطبق على الكثير من الأطعمة أيضا، بما في ذلك الأطعمة المخبوزة والخضروات.

النجاح سهل هكذا

تعليم الأطفال إعداد وجبات بسيطة ينشر ثقافة الطعام الصحي

واشنطن – كشف تقرير لمنظمة اليونيسف معاناة طفل واحد من بين كل ثلاثة أطفال دون الخامسة من نقص التغذية أو زيادة الوزن. وبدأت في الولاية المتحدة حملة لتعريف الأطفال بضرورة تناول الطعام الصحي مبكرا.

وفي منطقة سينسيناتي تعمل مجموعة نيو ليف كيتشن غير الربحية على تعليم الأطفال كيفية طهي وجبات مغذية وبأسعار معقولة.

وتقول آني سترايتمارتر، مؤسسة نيو ليف كيتشن، إن برنامج التثقيف في مجال الغذاء مصمم لتوظيف الأواني الآمنة للأطفال، والمكونات غير مسببة للحساسية. ويمكن أن يحوّل أي مكان إلى فضاء تعليمي لجميع الأعمار.

وتضيف إن مهمة مؤسسة نيو ليف كيتشن تتمثل في تثقيف الأطفال حول كيفية إعداد "طعام يمكنهم الوصول إلى مكوناته بسهولة ولا يكلف الكثير".

وتضيف "نأمل أن يجلب الأطفال تلك الأفكار والوصفات إلى منازلهم. قد يغيرون ما ينفقه الوالدان وما يشترونه من مواد غذائية". وتؤكد ستراتيمارتر إن البرنامج يسعى إلى مساعدة الأسر على التغلب على هذه التحديات. وتقول مجموعة نيو ليف كيتشن إن الأطفال يتعلمون أن شراء مكونات الطعام بالجملة يعد أكثر فعالية من حيث التكلفة من شراء وجبات جاهزة. وتشير إلى إعطاء الأولوية لوقت الطهو كطريقة أخرى للتخطيط لأسبوع كامل من خيارات الأكل الصحي.

وقدمت على سبيل المثال: بدلا من الجلوس ومشاهدة التلفاز لمدة 30 دقيقة، يعلم البرنامج الأطفال تخصيص هذا الوقت لإعداد الأطباق التي تغذيهم طوال الأسبوع. وسيؤتي استخدام الوقت بحكمة في طبخ الطعام المغذي ثماره على المدى الطويل.

وجاءت فكرة تأسيس برنامج للأطفال من محاولاتها لجعل الأكل الصحي "أكثر إيجابية". وأضافت "بدلا من أن أعمل وفقا للأحكام السابقة التي تشيطن الأطعمة غير الصحية، قررت البحث عن حل بديل". وخلال تعلم إحدى الوصفات التي أطلق عليها اسم ماك أند سكواش، يتمتع الأطفال بتجربة عملية حيث يتعرّفون على بذور اليقطين ويلمسونها، ثم يستخدمون أدوات الطهي لتنعيم الخضروات. ويتعلمون كيفية صنع مشروب الشوفان بإضافة الماء والزبيب وبعض القرفة.

وتعتمد الوصفات عادة على الخميرة الغذائية التي تباع كرقائق أو بودرة صفراء وتتوفر في معظم محلات الأغذية الطبيعية. وهي مشهورة بين النباتيين ويمكن استعمالها كتوابل في الوصفات. ترى ستراتيمارتر أنها غير مكلفة لكنها تضيف طنا من العناصر الغذائية إلى الوجبات النباتية، وتتمتع بفترة صلاحية طويلة. وتركز المجموعة كذلك على التعريف بفوائد الخضار والفاكهة بأكملها.

طبق صحي

القرع العسلي.. طبق أساسي على مائدة الشتاء

كولن – قال المركز الألماني للتوعية الصحية إن القرع العسلي ينبغي أن يكون طبقا أساسيا على مائدة الشتاء لفوائده الصحية الجمة؛ حيث إنه يقي من السرطان ويساعد على التمتع بالرشاقة ويعمل على تحسين المزاج.

وأوضح المركز أن القرع العسلي يعد كنزا من الفيتامينات والمعادن؛ حيث إنه يزخر بالكالسيوم والبوتاسيوم والحديد والفوسفور والنحاس والزنك وفيتامين ب (B)، كما أنه غني بمادة البيتاكاروتين فيتامين أ (A)، التي تمتاز بتأثير مضاد للأكسدة، ومن ثم فهي تعمل على تقوية جهاز المناعة وتقي من الإصابة بالسرطان.

ويعد القرع العسلي أيضا مفتاحا للرشاقة؛ حيث إنه غني بالألياف الغذائية، التي تساعد على الشعور بالشبع وتعمل على ضبط مستوى السكر بالدم، كما أنه قليل السعرات الحرارية بفضل محتواه المائي العالي.

وبالإضافة إلى ذلك، يشتمل القرع العسلي على الحمض الأميني (تريبتوفان)، الذي يساعد على إفراز هرمون السعادة (سيروتونين)، ما يعمل على تحسين الحالة المزاجية.

حيل لتوفير الوقت في المطبخ

لندن – لا يحتاج الطهو إلى قضاء ساعات في المطبخ عند اتباع بعض النصائح والحيل البسيطة، إذ يمكنك إعداد وجبات صحية وسريعة لعائلتك.

أولا، حاول ألا تكدس الأواني في المطبخ؛ نظف رفوف المطبخ من كل ما لا تحتاج إليه على أساس يومي. يعاني غالبيتنا من خزائن المطبخ المملوءة بالأواني والمقالي والأجهزة الأخرى التي لا نستخدمها. لذلك، أخرج كل شيء وحدد ما تريده وما لن تستخدمه أبدا.

يمنحك هذا فرصة مناسبة لرمي أي شيء مكسور أو كما تقول اليابانية ماري كوندو التي أصدرت كتاب سحر الترتيب في عام 2011 الذي لخصت فيه كل الطرق التي يمكن للمرأة استخدامها لترتيب منزلها "لا يبعث على الفرح".

بمجرد تنظيم المطبخ، تأكد من تحديد مكان واضح لكل شيء. وتوفير العديد من اللوازم للمساعدة في تنظيم كل شيء، بما في ذلك العلب للمكونات الغذائية مثل الدقيق، والرفوف المخصصة لنوع خاص من الأواني. سيوفر لك هذا الوقت عند البحث عن المقلاة الصحيحة أو المقص أو أي شيء تحتاجه أثناء الطهي.

ثانيا، اعتمد أسلوب الطبخ الموجه فهو يعدّ اتجاها جديدا اكتسب زخما كبيرا على مدار العامين الماضيين، حيث يتسابق صانعو الأجهزة وشركات التكنولوجيا على الريادة في هذا المجال، مما يساعد الطهاة في المنزل على توفير الوقت مع تجربة الطهو خطوة بخطوة.

وتقوم بعض الآلات بمعظم العمل من أجلك! ويشمل جهاز ثيرموميكس خاصية قيادة الطاهي من خلال الوصفات مع التعليمات التي تظهر على الشاشة. ويتم ضبط درجة الحرارة والتوقيت تلقائيا بواسطة الجهاز.

ثالثا، فكر في الاستثمار في المنتجات ذات الجودة العالية، وبعد الانتهاء من ترتيب المطبخ وتحديد ما ينقصك، استثمر في منتجات ذات جودة عالية للمساعدة في جعل الطهو أكثر سهولة ونجاحا. تستحق الأجهزة عالية التقنية الاستثمار إذا كنت تنوي استخدامها حقا. على سبيل المثال، فإذا كنت تحب القهوة كل صباح، فقد توفر لك آلة صنع القهوة مثل نسبريسو الوقت والمال على المدى الطويل. وإذا كنت تحب العصائر، اجمع المال لشراء الخلاط المناسب. وحاول الاستثمار في الأواني الأفضل التي ستحل مكان الأطباق الرخيصة التي تتكدس داخل الخزانة.

رابعا، خطط لوجبات طعامك؛ يعدّ التخطيط من أفضل الطرق لتوفير الوقت في المطبخ. ضع خطة تفصّل فيها وجباتك المقررة للأسبوع. يوفر هذا الوقت والضغط بسبب التفكير في ما يجب طبخه كل ليلة. ويمكنك شراء جميع المكونات اللازمة دفعة واحدة وتوفير الوقت عبر تجنب الرحلات العديدة إلى المتجر خلال الأسبوع. يعني هذا كذلك أنك تستطيع البدء في إعداد وجبات الطعام مسبقا.

خامسا، تسوق بطريقة أكثر ذكاء فإجراء تغييرات صغيرة عند شراء البقالة يعد وسيلة سهلة لتوفير الوقت في المطبخ. وتتوفر كمية هائلة من المنتجات لمساعدتك على اتخاذ الطريقة الأسهل، ويكمن المفتاح في اختيار العناصر التي توفر الوقت. لكن، لا تركز على الوقت مع إهمال أهمية المذاق.

حاول شراء الخضار المقطعة مسبقا، حتى لا تضطر إلى البدء من نقطة الصفر. تعتبر قواعد الوصفات المحضرة مسبقا جيدة بشكل خاص للوجبات التي يتم تناولها خلال أسبوع. ويمكن الوصول إليها بسهولة. كما يمكنك شراء الزنجبيل والثوم والفلفل الحار لاستخدامها في الأطباق اليومية وإبقاء المكونات الطازجة للوصفات التي تحتاج نكهة أقوى.

أخيرا، حاول الاستفادة القصوى من بقايا الطعام لأن إعادة تخزين بقايا الطعام لإعداد وجبات جديدة طريقة رائعة لتوفير الوقت خاصة إذا كانت معظم المكونات مطبوخة بالفعل. كما يساعد هذا الأمر على الحد من معضلة إهدار الطعام، وهو ما يمثل مشكلة بالنسبة للعديد من الأسر. ويتخلص النيوزيلنديون على سبيل المثال من 157.389 طنا من الطعام سنويا.

اجمع بعض الوصفات التي توظف بقايا الطعام حتى يمكنك اعتمادها في خطتك الأسبوعية. وتوفر كوك سمارتس دليلا مفيدا يمكنك طباعته، ويشمل أفكارا لإعادة استغلال بقايا الطعام.

وبالإضافة إلى تناول بقايا الطعام في اليوم التالي، يمكنك إعادة استخدام عناصر مثل بقايا الأعشاب والفواكه لإعداد أكلات مثل المربّى لتفادي إهدارها.

ربحا للوقت

العرب
الأحد 2019/11/03
السنة 42 العدد 11517

كبار الدوري التونسي على أعتاب موسم مخيّب

أزمة ديون تحاصر الأفريقي بمئويته وملامح ثورة في إدارة النجم الساحلي

يسير فريقا النادي الأفريقي التونسي والنجم الرياضي الساحلي نحو مصير غامض هذا الموسم رغم الالتزامات المحلية والقارية، وخصوصا لفريق جوهرة الساحل، فيما يؤكد محللون رياضيون وخبراء كرة القدم أن ما يمر به الفريقان هو نتيجة حتمية لتداخل العمل الرياضي مع عدة أنشطة أخرى وارتداداتها على وضعية ناديين يعتبران من كبار الدوري التونسي.

النجم بروح العام الماضي

الحبيب مباركي
كاتب تونسي

تونس – "المال قوام الأعمال".. مقولة يتردّد صداها مع كل نجاح يقود صاحبه إلى البناء والتأسيس وخلق ثروة وطنية وتيسير منجزات حقيقية خدمة للمصلحة الوطنية، لكن عندما يحيد المال عن الوجهة التي يفترض أن يوجّه لها، ويجتمع العمل السياسي مع نشاط آخر كالرياضة أساسا يصبح مدعاة للفشل وينذر بنهايات لا يتحمّل وقعها هذا الرئيس أو ذاك من المراهنين على قيادة بعض الفرق العربية والتونسية خصوصا.

المثال يتجسّد بوضوح في تونس برؤى ومقاربات شتى وتفاعلات حثيثة بين العديد من المتابعين لبعض الأندية الكبرى على غرار النادي الأفريقي والنجم الرياضي الساحلي الواقعين في أزمتين مختلفتين لكن طريقهما واحد "المال عندما يوظف في خدمة الرياضة والسياسة".

يعيش فريقا الأفريقي والنجم الساحلي، وهما من كبار الدوري التونسي، موسما استثنائيا عكسته العديد من المشاكل التي يتخبّط فيها الناديان العملاقان دون أي بوادر انفراج تلوح في الأفق.

وكشفت الأزمة المالية للأفريقي بوضوح المسار الذي يتجه نحوه الفريق هذا الموسم بشهادة ملاحظين وفنيين أجمعوا على فترة صعبة يتخبط فيها الفريق خصوصا أن هذا العام يعتبر استثنائيا ويتزامن مع مرور مئة عام على تأسيسه.

> **في الشق الساحلي تسارعت الأحداث بشكل كبير بعد أن أعلن رئيس النجم استقالته رسميا من منصبه وجاءت في وقت حرج، حيث أن النادي مقبل على المشاركة في دوري أبطال أفريقيا ويجب أن يركّز عليه**

وبالمثل يضرب مسار أزمة شبيه، رغم الاختلاف في جوهره، إدارة النجم الساحلي بعد خيار الاستقالة الذي اتخذه رئيس النادي رضا شرف الدين والدعوة إلى إجراء انتخابات مبكرة هذا الشهر، ما ترك انطباعا سيئا داخل الأوساط الرياضية لفريق جوهرة الساحل وتونس عموما.

وبتحليل هاتين الأزمتين اللتين ألقتا بظلالهما على مسار الفريقين في منافسات بطولة الدوري المحلي والمسابقات الأفريقية، خصوصا للفريق الساحلي، يؤكد متابعون رياضيون أن لهما دلالات وجذور عميقة وما يجري حاليا في إدارة الناديين ليس سوى مآلات لعمق هذه الأزمة المتأصلة يلتقي فيها المال بالرياضة، فالسياسة لتكون النتيجة كارثية ولا يمكن تصور عواقبها.

متلازمة الرياضة والسياسة

معلوم أن المال مَشرُوع لرئاسة أي نادٍ رياضي أو فريق، فما بالك عندما يكون هذا النادي من كبار بعض الدوريات. فهو المصدر الأساسي للتمويل وعقد صفقات اللاعبين وتجهيز الفريق وضبط الأمور واستمرار النادي بشكل عام. لكن أن يتحول الهدف من رئاسة هذا الفريق أو ذاك إلى واجهة للتغطية على نشاطات سياسية للرئيس، فهذا ما يجب أن يعمل اتحاد كرة القدم في تونس على مراجعته ووضع شروط تحدد مسؤولية منصب رئاسة الأندية مستقبلا.

وعكست وضعية الفريقين التونسيين بوضوح سلطة المال المغلفة بأنشطة سياسية لرئيسيهما اللذين توليا إدارة الناديين في السنوات الأخيرة. الأول رجل الأعمال سليم الرياحي الذي طمع في دخول عالم السياسة من باب النادي الكبير الذي تولى الإشراف على رئاسته في العام 2012، واستغل الفريق العريق لخدمة أغراض سياسوية ضيقة وسطع نجمه في عالم السياسة بعد الثورة ليتركه في العام 2017 رهين أزمة ديون يعاني منها فريق باب الجديد إلى حد اللحظة.

أما الثاني فهو رضا شرف الدين رجل الأعمال لكنه يختلف عن الرياحي في كونه ينتمي إلى النادي الساحلي العريق وتدرّج في فروعه المختلفة ليتم انتخابه في العام 2012 أيضا كرئيس للفريق، فيما يشترك معه في مسألة ممارسته للنشاط السياسي، فهو عضو مجلس نواب الشعب منذ 02 ديسمبر 2014.

شاءت الصدف أن يجتمع الرجلان على رئاسة الفريقين في نفس العام (2012)، وشاءت الأقدار أن يكون نشاطهما مركزا على خدمة مطامعهما السياسية وإن استدعى الأمر تغليبها على معاناة فريقيهما، فكانت النتيجة كما هو الحال آنيا، بوقوع الأفريقي في أزمة مديونية يصعب على الفريق مجاراتها، فيما يستعد النجم الساحلي لانتخابات مبكرة هذا الشهر بعد استقالة الرئيس ومن ورائه بقية معاونيه.

دعت أزمة الفريقين إلى تفاعلات كبيرة بالتحليل والنقد وربما الشجب أيضا في تونس بين المعلقين الرياضيين والمهتمين بشؤون الفريقين سواء في البلاتوهات التلفزيونية أو في بعض الصحف المحلية.

وتفاعلت بعض الوجوه الرياضية القديمة مع ما يعيشه الناديان بأكثر جرأة. وعبّر اللاعب السابق لفريق باب جديد سمير السليمي خلال برنامج تلفزيوني عن غضبه من الطريقة التي ترك بها رضا شرف الدين فريق جوهرة الساحل. وقال اللاعب القيدوم للأفريقي إن "استقالة شرف الدين جاءت متسرعة خصوصا أنها تأتي في ظرف حساس يمر به الفريق"، ولم يكتف لاعب المنتخب التونسي السابق باستنكار خبر الاستقالة بل طرح تساؤلات عن طبيعة التداخل بين السياسي والرياضي في أزمة النجم؟

ومن جانبه أشار الحارس الدولي السابق للنادي الرياضي الصفاقسي الناصر البدوي في تعليق قصير إلى مشكلة داخلية بين رئيس الفريق رضا شرف الدين وبقية المسؤولين، متوجها بالنصح إلى كافة المسؤولين بأن يركزوا على مصلحة الفريق في هذه الفترة الحرجة.

ومن جهته شجب زياد الجزيري، ابن النادي واللاعب السابق في المنتخب التونسي، القرار الذي أتاه شرف الدين بخيار الاستقالة، مؤكدا أن "المسؤول كما يفكر بدخول النادي في فترة جيدة لا يجب أن يتركه بمثل هذه الحالة"، فيما رأى النجم الدولي السابق وحارس الترجي الرياضي شكري الواعر أن "موضوع النجم غامض بصفة كبيرة"، مضيفا أنه "بعد فترة روجي لومار وخروج الفريق من مسابقة البطولة العربية وهزيمته في نهائي كأس تونس أخذ الفريق منعرجا آخر"، طارحا أسئلة عديدة عن ماهية العلاقة بين رئيس الفريق وبقية المسؤولين في الفريق والتي يجب أن تغادر الكواليس الضيقة وتخرج للجمهور الرياضي لمعرفة الأسباب الكامنة وراء هذه الاستقالة ومعالجتها بطريقة هادئة بعيدا عن التشنجات التي لا تؤدي إلا إلى المزيد من تأزيم الوضع. وبالعودة إلى أزمة الناديين بالتحليل والنقاش، يلاحظ متابعون رياضيون أن مصدرها واحد، فهي أزمة الديون المالية التي يتخبط فيها النادي الأفريقي فيما مثلت الوضعية المالية الحرجة لفريق جوهرة الساحل خيارا لا رجوع عنه لرئيسه رضا شرف الدين الذي اختار القفز من القارب بتقديم استقالته وتمسك بها.

تركة ثقيلة

تبدو أزمة فريق باب جديد في منطلقها بنيوية يعكسها سوء الإدارات المتتالية التي تعاقبت على النادي منذ ما قبل ثورة 2011. ففي العام 2005 تولى كمال إبدير رئاسة الفريق عوضا عن شريف بلامين. وبعد موسمين دون تتويج تمكن الفريق تحت رئاسته وإشراف المدرب الجزائري عبدالحق بن شيخة من إحراز البطولة بعد 12 عاما من الانتظار. وفي موسم 2008–2009 تحصل الفريق على كأس شمال أفريقيا للأندية البطلة، إلا أنه خسر لقب البطولة في الأمتار الأخيرة أمام فريق الترجي الرياضي التونسي. وفي مايو 2009 أعرب إبدير عن نيته عدم مواصلة المشوار على رأس النادي قبل أن يتراجع عن قراره. ولكنه بقي على رأس الأفريقي موسما آخر قبل أن يستقيل في 28 مايو 2010 صحبة أعضاء الهيئة المديرة بعد نهاية موسم صعب عرف فيه الأفريقي أزمة مالية.

وبعد هذه الفترة حلم العديد من الغيورين على النادي والمهووسين به في تونس بفترة ذهبية بعد قدوم جمال العتروس، رجل الأعمال والمال، الذي تولى رئاسة الفريق في الفترة بين 2010 و2012. لكن فترة العتروس لم تعمّر طويلا وسرعان ما حزم الرجل حقائبه معلنا الرحيل بعد سنتين من توليه الإشراف على حظوظ الفريق، ليدخل على خط الأزمة رجل الأعمال سليم الرياحي، الذي استغل الموقف على أكمل وجه في تلك الفترة خصوصا أن برنامجه كان سياسيا أكثر منه واجبا تحتّمه الوضعية المالية للفريق العريق.

استغل الرياحي حينها النادي ذا القاعدة الجماهيرية الكبيرة من أجل رسم معالم برنامجه السياسي وكان له ما أراد، رغم أنه لا يمكن إنكار ما قام به الرجل من انتدابات وصفقات خيالية للفريق توجت بحصده للقب الدوري 2014–2015 بعد عزوف قارب الست سنوات. لكنه في المقابل انتهى بسيناريو مخاتل وضع الفريق على فوهة بركان منذ نهاية الموسم الماضي ليجد الفريق نفسه في دوامة من الديون تحيط به من كل جانب.

وفي هذا الإطار يؤكد الصحافي والمحلل الرياضي مراد البرهومي في تصريح لـ"العرب"، أنه بالنسبة للأفريقي فإن وضعيته تستمد جذورها من نهاية الموسم الماضي وما خلفته أزمة الرياحي صلب إدارة الأبيض والأحمر من ارتدادات كبرى صعبت مجاراتها. وأشار البرهومي إلى أن "الوضع ما زال متراكما منذ الموسم الماضي ولا يمكن التخلص منه بسهولة رغم ما يقوم به الأحباء من مجهودات لخلاص الديون المتخلدة بذمة الفريق".

ووجد النادي الأفريقي نفسه في دوامة من الديون بقيادة عبدالسلام اليونسي إثر تركة ثقيلة خلفها الرئيس السابق سليم الرياحي، وما كان من أنصاره سوى الالتفاف حول فريقهم لدعمه بضخ تبرعات في خزينة الفريق.

وفي هذا السياق أوضح سمير السليمي في تصريح سابق لـ"العرب"، أن الهبّة الجماهيرية قد تساعد الفريق نسبيا على تفادي المزيد من العقوبات، مبرزا أن أنصار الأفريقي شاعرون بخطورة الوضع الذي يمر به النادي بسبب فشل الإدارة الحالية في الخروج بسرعة من الأزمة. ومن جانبه أعرب اليونسي عن امتنانه لجماهير الأفريقي. وأضاف قائلا "نواجه منذ الموسم الماضي تحديات بالجملة، نحن ندفع ثمن أخطاء بعض المسؤولين السابقين الذين لم يحسنوا التعامل مع العديد من الملفات المتعلقة بمستحقات لاعبين ومدربين سابقين، حاولنا بكل جهودنا تجاوز هذه الصعوبات، لكن تتالي الخطايا والعقوبات جعل الأزمة متواصلة، لكن جماهير الأفريقي كان لها دور حاسم ومساهمتها ماليا ستساعد دون شك في سداد هذه الخطايا".

خطوة غير مدروسة

في الشق الساحلي تسارعت الأحداث بشكل كبير، فخلال وقت قصير دخل النادي في دوامة إدارية خطيرة خاصة بعد أن أعلن رئيسه رضا شرف الدين استقالته رسميا من منصبه.

وجاءت الاستقالة في وقت حرج؛ حيث أن النادي مقبل على المشاركة في دوري أبطال أفريقيا، ويجب أن يركّز عليه لتعويض الخروج المبكر من بطولة كأس محمد السادس للأندية العربية الأبطال.

وبدأت مشاكل النجم تظهر بعد خيبة الفريق بكأس محمد السادس؛ حيث قبل رئيس النادي في 25 سبتمبر استقالة المدير الرياضي عماد المهذبي، ورئيس فرع كرة القدم مهدي العجيمي، والسكرتير العام عادل غيث.

ودعا يومها شرف الدين إلى عقد جلسة عامة عادية، وأخرى استثنائية انتخابية عاجلة، لا تتجاوز الأول من الشهر المقبل، لكن لم يكن أحد يتصور أنّ رضا شرف الدين هو الآخر سيستقيل ويرفع الراية البيضاء.

وتساءل محللون رياضيون وخبراء في كرة القدم حول الغموض الذي يلف أزمة الفريق الساحلي، وقال الصحافي البرهومي في هذا السياق إن "الغموض لا يزال يسيطر على ملف إدارة النجم بما أن لا بديل مناسبا يطرح الآن لتولي إدارة الفريق الأحمر"، ورأى البرهومي أنه "نظرا للظروف المالية الضاغطة التي يمر بها الفريق فإنه من الأجدر بقاء شرف الدين في منصبه".

وتولى رضا شرف الدين رئاسة النجم منذ 2012 وحرص على أن يكون من أبرز الممولين لميزانية الفريق فدفع العشرات من المليارات من ماله الخاص مثلما يردد ذلك كثيرا، إلا أنّ هذه الأموال لم تشفع له، حيث صبت الجماهير غضبها عليه أكثر من مرة، متهمة إياه بإعطاء الأولوية لمشاغله السياسية، والتي أبعدته عن خدمة الفريق.

العرب
الأحد 2019/11/03
السنة 42 العدد 11517

ليفربول يفلت من فخ الهزيمة ومانشستر سيتي يواصل الملاحقة

تعادل مخيب لأرسنال وبورنموث يعيد يونايتد إلى خيبة الهزائم

يتواصل عنصر الإثارة في الدوري الإنكليزي بين المتصدر ليفربول وملاحقه المباشر مانشستر سيتي ليؤكدا السبت إصرارهما على إبقاء هذا العنصر قائما لجولات قادمة، وتمكنا من كسب فوزين هامين أبقيا على فارق النقاط بينهما في قمة ترتيب الدوري الإنكليزي.

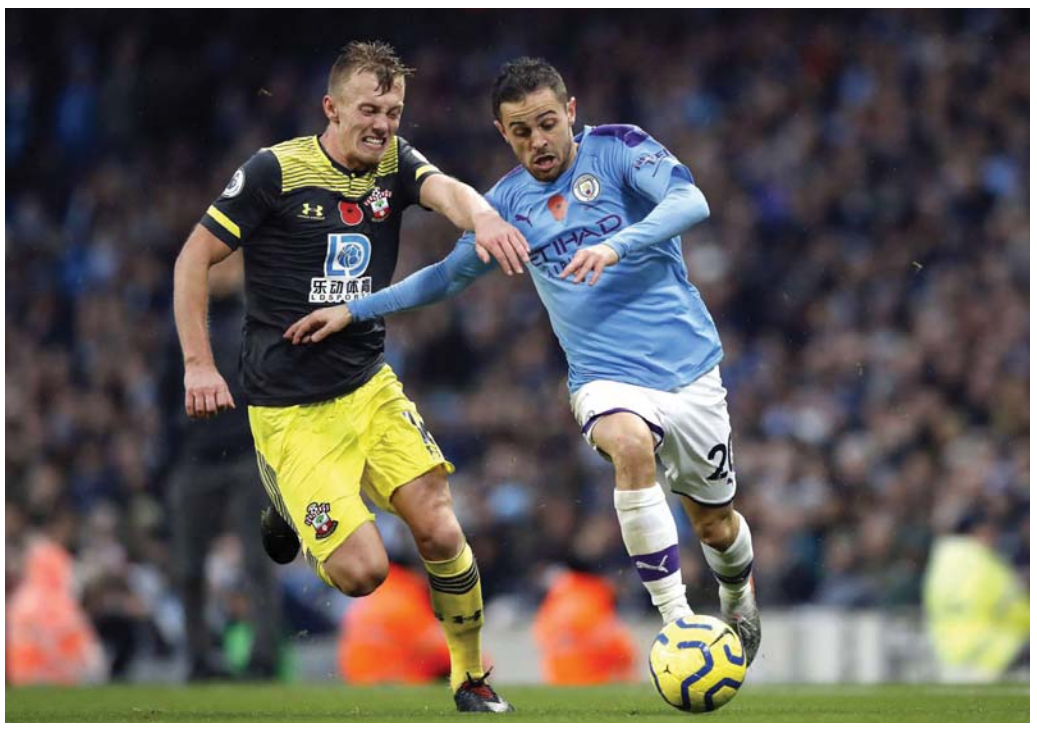

ملاحقة مستمرة

لندن – نجا المتصدر ليفربول من هزيمة أولى له هذا الموسم، بفوزه على مضيفه أستون فيلا 2–1، فيما تابع مانشستر سيتي ملاحقته بفوزه هو الآخر على ساوثهامبتون 2–1 السبت ضمن الجولة الـ11 من منافسات الدوري الإنكليزي الممتاز.

وسجل المصري محمود حسن تريزيغيه هدف أستون فيلا القابع في مدينة برمنغهام بالدقيقة 21، وعادل أندي روبرتسون للفريق الضيف بالدقيقة 87، قبل أن يحرز ساديو ماني هدف الفوز في الدقيقة 90+4.

ورفع ليفربول رصيده في الصدارة إلى 31 نقطة، بفارق 6 نقاط أمام حامل اللقب مانشستر سيتي الذي بدوره فاز على ساوثهامبتون 2–1، فيما تجمد رصيد أستون فيلا عند النقطة 11.

وخاض ليفربول المباراة بطريقة اللعب المعتادة 3–4–3، فلعب الكرواتي ديان لوفرين إلى جانب الهولندي فيرجيل فان دايك في عمق الدفاع، بمساعدة من الظهيرين ترينت ألكسندر–أرنولد وأندي روبرتسون، ولعب آدم لالانا مكان البرازيلي فابينيو في عمق الوسط إلى جانب جوردان هندرسون وجورجينيو فينالدوم، فيما تشكل الخط الهجومي من الثلاثي الخطير محمد صلاح وساديو ماني وروبرتو فيرمينو.

وفي الناحية المقابلة، لجأ أستون فيلا إلى طريقة اللعب 3–4–3 أيضا، فتشكل الخط الخلفي من الرباعي فريدريك جولبيرت وبيون إنجيلس وتايرون مينجز ومات تارجيت، وقام مارفيلوس ناكامبا بدور لاعب الارتكاز وراء الثنائي جاك ماكجين ودوجلاس لويز، فيما وقف تريزيغيه وأنور الغازي حول رأس الحربة ويسلي. وسنحت فرصة لأستون فيلا لافتتاح التسجيل في الدقيقة الأولى، عندما وصلت الكرة إلى الغازي على حدود منطقة الجزاء، فسدد كرة لم يجد الحارس البرازيلي أليسون بيكر صعوبة في السيطرة عليها.

ولم يستطع ليفربول الاستفادة من استحواذه المتواصل على الكرة، حتى الدقيقة 16 عندما رفع هندرسون الكرة ليرتقي لها ماني بصعوبة وتمر محاولته بجانب المرمى، وتصدى حارس أستون فيلا توم هيتون لمحاولة من صلاح نحو القائم القريب في الدقيقة 18.

وفي مباراة مثيرة، فاز مانشستر سيتي بشق الأنفس على ضيفه ساوثهامبتون بهدفين لهدف.

وتقدم الضيوف بهدف جيمس وارد بروز بالدقيقة 13، ورد السيتي بهدفين لسيرجيو أغويرو وكايل ووكر في الدقيقة 70 و86. ورفع مانشستر سيتي رصيده بهذا الفوز الثمين إلى 25 نقطة في المركز الثاني، بينما تجمد رصيد ساوثهامبتون عند 8 نقاط، ليبقى في منطقة الثلاثي المهدد بالهبوط.

ودفع بيب غواردیولا بقوة هجومية ضاربة، لكنه تلقى صدمة مبكرة عندما ارتبك حارس مرماه إيدرسون في التصدي لكرة، ليكملها جيمس وارد في الشباك.

> **بورنموث أعاد ضيفه مانشستر يونايتد إلى خيبة الهزائم في الدوري الإنكليزي الممتاز، بفوزه عليه 1-0 ليلحق به الخسارة الرابعة هذا الموسم في الدوري المحلي**

وتكتل رالف هاسنهوتل مدرب ساوثهامبتون أمام مرمى فريقه بخطة 3–2–5، آملا في استغلال الهجمات المرتدة التي لم تتح لرأسي الحربة ريدموند وإينجز.

أما أسلحة غواردیولا دي بروين وديفيد سيلفا وبرناردو سيلفا مع رحيم ستيرلينغ وسيرجيو أغويرو بمعاونة غوندوغان وجدت صعوبة كبيرة للغاية في اختراق دفاع المنافس.

وسنحت لديفيد سيلفا فرصة في نهاية الشوط الأول من عرضية لرحيم ستيرلينغ، إلا أن النجم الإسباني سدد في أجساد مدافعي ساوثهامبتون.

واصل أرسنال مسلسل نتائجه السلبية بالتعادل مع وولفرهامبتون (1–1) على ملعب الإمارات.

وكان الغانرز قد انهزموا أمام شيفيلد يونايتد (1–0)، في الجولة قبل الماضية، ثم تعادلوا مع كريستال بالاس (2–2).

وافتتح أرسنال التسجيل عبر بيير إيميريك أوباميانغ في الدقيقة 21، وعدل وولفرهامبتون النتيجة عبر راؤول خيمينيز في الدقيقة 76.

وبتلك النتيجة، ارتفع رصيد أرسنال إلى 17 نقطة في المركز الخامس، كما ارتفع رصيد وولفرهامبتون إلى 13 نقطة في المركز الـ11.أتت المحاولة الأولى في المباراة في الدقيقة الثامنة، من مخالفة من على حدود منطقة الجزاء، سددها موتينيو ضعيفة في يد حارس أرسنال لينو.

وحاول نيفيز مباغتة لينو بتسديدة من خارج منطقة الجزاء في الدقيقة 14، إلا أن كرته ذهبت أعلى العارضة.

وأعاد بورنموث ضيفه مانشستر يونايتد إلى خيبة الهزائم في الدوري الإنكليزي الممتاز لكرة القدم، بفوزه عليه 1–0 السبت في افتتاح المرحلة الحادية عشرة، ليلحق به الخسارة الرابعة هذا الموسم في الدوري المحلي.

وبدا فريق المدرب النرويجي أولي غونار سولسكاير في طريقه للخروج تدريجيا من سلسلة النتائج السيئة التي حققها في الفترة الماضية، ودفعته إلى التراجع خارج العشرة الأوائل في ترتيب الدوري الممتاز، إذ تمكن في المرحلتين الأخيرتين من التعادل مع المتصدر ليفربول 1–1، وتحقيق فوز مريح على نوريتش سيتي 3–1 في المرحلة السابقة.

وتمكن يونايتد هذا الأسبوع من بلوغ الدور ربع النهائي من كأس رابطة الأندية الإنكليزية، بفوز لافت على تشيلسي بنتيجة 2–1 وبفضل هدف رائع من ركلة حرة مباشرة لمهاجمه ماركوس راشفورد، ليرفع انتصاراته خارج ملعبه في الآونة الأخيرة إلى ثلاثة توالیا في مختلف المسابقات.

لكن بورنموث تمكن على ملعبه دين كورت من تحقيق فوزه الرابع فقط هذا الموسم، وإلحاق الهزيمة الرابعة بالشياطين الحمر. وهي المرة الأولى منذ 1990 التي يتلقى فيها يونايتد أربع هزائم في أول 11 مباراة له في البطولة المحلية.

وقال سولسكاير بعد المباراة "بالطبع خيبة أمل عندما تخسر لاسيما نظرا إلى السلسلة التي حققناها، وكنا نأمل في حصد النقاط الثلاث. هذه خطوة إلى الوراء بالنسبة إلينا، لكن علينا تخطيها والانطلاق مجددا".

وأضاف "أعتقد أن الدفاع ضد ماركوس راشفورد وأنطوني مارسيال كان جيدا جدا، لكن في مباريات كهذه من المهم تسجيل الهدف الأول، وهذا ما تمكن (بورنموث) من القيام به".

وجاء فوز بورنموث بفضل هدف النرويجي جوش كينغ في ختام الشوط الأول، والذي أظهر خلاله مهارة فردية لافتة في قلب منطقة جزاء يونايتد، وعلى مرأى من أغلى مدافع في العالم هاري ماغواير.

وتلقى كينغ الكرة وظهره إلى المرمى، فهيأها على صدره لترتد من الأرض ويتمكن بقدمه من مراوغة ظهير يونايتد آرون وان–بيساكا الذي حاول بمفرده فرض رقابة لصيقة، قبل أن يلتف على نفسه ويسدد بمقصية في مرمى الإسباني دافيد دي خيا الذي حاول عبثا التصدي للمحاولة.

وتوج هذا الهدف الأفضلية النسبية التي حظي بها بورنموث على امتداد فترات المباراة وتحركاته المنسقة، لاسيما في ظل شبه عقم في المحاولات الهجومية ليونايتد عبر راشفورد والفرنسي أنطوني مارسيال.

صدام قوي بين سفيتولينا وبارتي بنهائي الماسترز

شينزين (الصين) – بلغت الأوكرانية إيلينا سفيتولينا حاملة اللقب السبت المباراة النهائية لبطولة الماسترز الختامية لموسم لاعبات كرة المضرب المحترفات، بانسحاب منافستها السويسرية بلیندا بنسيتش بسبب الإصابة، لتواجه الأسترالية آشلي بارتي المصنفة الأولى، الفائزة على التشيكية كارولينا بليشكوفا الثانية.

وتمكنت الأوكرانية المصنفة الثامنة عالميا من التفوق على منافستها السابعة بنتيجة 7–5، 3–6 و4–1، قبل أن تنسحب السويسرية بسبب آلام على مستوى الفخذ الأيمن بدأت تعاني منها خلال المجموعة الأولى.

وباتت بنسيتش اللاعبة الثالثة التي تنسحب خلال مباراة في البطولة المقامة في مدينة شينزين الصينية، لتنضم بذلك إلى الهولندية كيكي برتنز والكندية بيانكا أندريسكو. كما انسحبت المصنفة الأولى عالميا سابقا اليابانية ناومي أوساكا من بطولة الماسترز، لكن قبل أن تخوض مباراتها الثانية.

وواصلت الأوكرانية بهذا الفوز أداءها اللافت في البطولة التي تجمع أفضل ثماني لاعبات في العالم، وخسرت السبت أول مجموعة فيها.

ورأت سفيتولينا أن انسحاب بنسيتش "أمر صعب بالنسبة إليها"، مؤكدة أنها ستقدم "كل شيء على أرض الملعب الأحد لمحاولة رفع الكأس مجددا".

وقدمت اللاعبتان أداء قويا في المجموعة الأولى التي امتدت لنحو خمسين دقيقة. وبعدما حافظت كل منهما على إرسالها، تمكنت بنسيتش من كسر إرسال سفيتولينا في الشوط السادس لتتقدم 4–2، قبل أن ترد الأوكرانية سريعا وتقلص الفارق إلى 4–3. لكن السويسرية عاودت الكسر في الشوط الثاني عشر وحسمت المجموعة لصالحها 7–5.

وفي المباراة الثانية، تمكنت بارتي من التأهل إلى المباراة النهائية بفوزها على بليشكوفا بثلاث مجموعات أيضا وبنتيجة 4–6، 6–2 و6–3.

وهي المشاركة الأولى لبارتي (23 عاما) في بطولة الماسترز، وتأتي بعد أشهر من تتويجها بطلة رولان غاروس الفرنسية، ثانية البطولات الأربع الكبرى، وذلك في أول لقب "الغراند سلام" تحرزه في مسيرتها الاحترافية. وضمنت بارتي (23 عاما) إنهاء الموسم في صدارة تصنيف المحترفات.

مرشحة بارزة للقب

تريّث يا فتى

مراد البرهومي
كاتب صحافي تونسي

إذا كنت مبدعا وموهوبا في مجال معين، حاول أن تختار جيدا مسار حياتك، فكر جيدا ولا تتسرع، فكل الخطوات يجب أن تكون محسوبة، وكل خيار سيكون مؤثرا سواء بالسلب أو بالإيجاب لتحديد نسبة النجاح في مجال موهبته.

لم يخطئ الشاعر التونسي عندما قال "صوّت لنفسك في اللحظة المناسبة"، ونحن نقول "خذ وقتك، اختر لنفسك الطريق الصواب في اللحظة المناسبة".

فالحياة علمتنا أن الخطوة الأولى هي الأهم، هي التي قد تحدد كل تفاصيل وفصول النجاح والتفوق في المستقبل، فكم من مبدع وموهوب لم يحسن استثمار ما لديه من قدرات فاغترّ وجانب الصواب، ليكون مصيره الغياب والعدم، وكم من فتى موهوب صابر وثابر، وكانت كل خطواته محسوبة، فحصد الثمار الوفيرة.

حديثنا قد ينطبق بشكل كبير على النجم الهولندي الشاب ماتيس دي ليخت، هذا المدافع الذي لم يتخط عمره 20 ربيعا، تحول خلال الصائفة إلى حديث كل المولعين بكرة القدم في أوروبا، حينها أصبح مطمح عدد من الأندية الأوروبية العريقة.

تهافت عليه الجميع والكل يتمنى التوقيع معه، تنافس برشلونة وباريس سان جرمان ويوفنتوس على ضم نجم أياكس أمستردام، ليتقدم فريق "السيدة العجوز" على الجميع، ويكسب الفوز بود الفتى اليافع أملا في أن يساعد في المحافظة على نضارة وشباب العملاق الإيطالي.

أكثر من 75 مليون يورو تم رصدها للتعاقد مع دي ليخت، ليكون بذلك أحد أغلى المدافعين في التاريخ، لكن في "حضرة" الموهبة والتألق المبكر تهون كل الأموال، ما دام هذا الفتى لديه القدرة على تقديم الدعم والمساندة، خاصة وأن كل أرقامه وإنجازاته السابقة مع أياكس تؤكد تفوقه وتألقه اللافت والمدهش.

بدأت المسيرة إذن لهذا اللاعب الطموح، بدأت مع ناد وفي دوري عُرفت عنه شدة بأس المدافعين، ربما قدّر دي ليخت أن الارتماء في "بركة التماسيح"، وهو الفتى اليافع الموهوب، قد يصقل موهبته أكثر، اعتقد أن مزاملة نجوم كبار لديهم من الخبرة وتجربة السنوات الطويلة قد تطور أداءه وتجعله يتفوق عليهم بسرعة.

لكن لا شيء إلى حد الآن يوحي بأن دي ليخت تفوق على بونوتشي أو نجح في استغلال غياب جيورجيو كيليني المصاب منذ فترة طويلة، كل ما حدث إلى حد اللحظة ربما يثبت أن دي ليخت ما زال أمامه الكثير من الوقت كي يثبت أنه قادر على المصارعة في حلبة النجوم.

ما زال أمام النجم الهولندي الصاعد الكثير من العمل كي يتعلم ويصقل هذه الموهبة، ويكون مؤهلا لأن يكتسب الحنكة والدهاء المطلوبين كي يثبت أنه جدير بأن يكون المدافع الأجنبي الذي يتألق وسط غابة كوكبة مدافعي مدرسة "الكاتيناتشو" الإيطالية.

خلال المباريات الأخيرة شارك دي ليخت أساسيا في أغلب الأحيان، لكنه بدا مرتبكا ومتخوفا، لاح عليه التسرع وعدم الانسجام مع بونوتشي زميله في محور الدفاع.

ارتكب بعض الأخطاء "البدائية" في عدد من المباريات، المواجهة ضد إنتر ميلان أثبتت ذلك، وكذلك المباراة ضد بولونيا، ثم أخيرا ضد ليتش.

كل هذه الهفوات جعلته يخسر مكانه الأساسي في مواجهة جنوة الأخيرة، ومن سوء حظه أن الفريق نجح في تقديم أداء دفاعي جيد وحقق الفوز المنشود. لقد أحسن زميله روجاني تعويضه ولاح أكثر انسجاما مع القائد بونوتشي.

وكل هذه المعطيات ستزيد بلا شك من حجم الضغوط المسلطة على القائد السابق لأياكس، المطالب اليوم أكثر من أي وقت مضى بالتريث.

ربما من حقه أن يكون واثقا خصوصا وأن لديه من المهارة والموهبة ما يجعله يتألق، ربما من حقه أيضا أن يكون متفائلا بما أنه ما زال صغير السن وأمامه الكثير من الوقت كي يتحسن ويتعلم ويطور مستواه أكثر.

لكن كل هذا الأمر يبقى مرتبطا أساسا بمدى قدرته على استيعاب نصائح مدربه وكذلك زملائه، يجب عليه قبل كل شيء أن ينزع من "قلبه" كل علامات الغرور إن كانت فعلا موجودة.

ينبغي عليه أن يتواضع كثيرا، فالتواضع ربما يكون أساس النجاح وحجر الزاوية في كل تألق، ثم يبدأ في العمل والكد والسعي إلى تطويع موهبته كي يفيد نفسه قبل أن يفيد فريقه.

كل زملائه في الفريق من النجوم "الكبار" مروا على البساط ذاته، فتتلمذوا وتعلموا من النجوم السابقين، قبل أن يصبح لهم شأن اليوم.

فرونالدو الذي انطلق صغيرا نحو مانشستر يونايتد لم يترك الفرصة تمر دون أن يتعلم من المدرب الأسطورة أليكس فيرغسون وبقية زملائه في الفريق خلال تلك الفترة، وبوفون جاء إلى اليوفي ليزامل نجوما كبارا منحوه الدعم والثقة كي يصبح أحد أهم حراس المرمى في العالم.

على دي ليخت أن ينسى كل ماضيه مع أياكس ويبدأ من الصفر، علّه إذا تريث يصبح قادرا على أن يكون مدافعا يستحق كل هذا البهرج.

جيمس يضع ليكرز على طريق الكبار

لوس أنجلس – قاد النجم ليبرون جيمس، فريقه لوس أنجلس ليكرز إلى تحقيق الفوز الرابع على التوالي له في خمس مباريات خاضها هذا الموسم ليضعه على مسار الكبار بدوري كرة السلة الأميركي للمحترفين.

وتفوق ليكرز على مضيفه دالاس مافريكس 110–119 بعد شوط إضافي، ليحافظ على سجله المثالي بعد البداية المتعثرة لموسمه بخسارة أمام القطب الثاني لمدينة لوس أنجلس، فريق كليبيرز.

وكان جيمس الأفضل في فريقه مع 39 نقطة هي الأعلى له حتى الآن هذا الموسم، و12 متابعة و16 تمريرة حاسمة أبرزها لزميله داني غرين تمكن على إثرها من تسجيل ثلاثية عند صافرة نهاية الوقت الأصلي، ليفرض التعادل 103–103 ويقود المباراة إلى شوط إضافي.

وبرز "الملك" جيمس، أفضل لاعب في الدوري أربع مرات، أيضا في التمديد، وساهم في إنهاء فريقه هذا الشوط بفارق مريح 7–16. ويبدو اللاعب البالغ من العمر 34 عاما هذا الموسم مصمما على إعادة فريقه إلى احتلال مكانة تليق بثاني الأندية تتويجا في تاريخ الدوري، بعد خيبة موسم 2018 – 2019 وفشله في بلوغ الأدوار النهائية "بلاي أوف".

وقال جيمس بعد المباراة "بعد الإصابة في العام الماضي، لم أكن على ما أنا عليه (...) سمعت كل شيء في عامي الـ17 في الدوري. هل سيكون هذا الموسم الأخير لليبرون؟ هو لا يقدم أداء دفاعيا جيدا".

ورفع اللاعب الشاب (20 عاما) رصيده من "التريبل دابل" في مسيرته الاحترافية إلى 20، ليصبح صاحب العدد الأعلى منها للاعب دون الحادية والعشرين من العمر، علما وأنه تعرض إلى إصابة بعد احتكاك قوي مع لاعب ليكرز دوايت هاورد أدى إلى سقوطه أرضا والدم ينزف من جرح في رأسه.

وكان جيمس الأفضل لفريقه على صعيد التسجيل والمتابعات والتمريرات الحاسمة، بينما أضاف زميله الجديد أنطوني ديفيس 31 نقطة وثماني متابعات وتمريرتين حاسمتين، وداني غرين 14 نقطة.

العرب
الأحد 2019/11/03
السنة 42 العدد 11517

مخرجات عربيات يحملن هموم المرأة إلى قرطاج

وقوف المرأة العربية في وجه التقاليد والعادات الذكورية ونواميس مجتمعها المقيد لحريتها، يلهب المنافسة بين ثلاث مخرجات عربيات على "التانيت الذهبي" بمهرجان "أيام قرطاج السينمائية".

تحالف نسائي هدفه فضح متاعب المرأة

تونس – تعالج مخرجات عربيات عبر أفلام روائية جريئة يتنافسن من خلالها على "التانيت الذهبي" لمهرجان "أيام قرطاج السينمائية"، مواضيع اجتماعية حساسة تطاول خصوصا وضع النساء في المجتمعات العربية وتوقهن إلى الحرية في وجه التقاليد والعادات الذكورية.

ومن بين هذه الأعمال فيلم "بابيشا"، للمخرجة الجزائرية منية مدور، الممنوع من العرض في بلدها، وفيلم "سيّدة البحر" للسعودية شهد أمين، وهي أول مشاركة سعودية في المهرجان منذ إطلاقه قبل 53 عاما، بالإضافة إلى فيلم "نورا تحلم" لهند بوجمعة من تونس البلد المعروف بتشريعاته التقدمية الرائدة عربيا في مجال حقوق المرأة.

والأفلام الثلاثة هي باكورة أعمالهن وقد أنتجت كلها في عام 2019 تزامنا مع حركة احتجاجات كبيرة خصوصا في الجزائر للمطالبة بإصلاحات ديمقراطية.

ويروي "بابيشا" –وتعني باللهجة المحلية الجزائرية الفتاة الجميلة– قصة "نجمة" الطالبة في الجزائر خلال الحرب الأهلية.

تقطن "نجمة" في مبنى سكني جامعي حيث تدور معظم أحداث العمل، وهي تحلم بأن تصبح مصممة أزياء فيما تتدهور الأوضاع السياسية في البلاد. ترفض بطلة الفيلم "الإرهاب الإسلامي" الذي تسبب في مقتل شقيقتها وتقرر تجاوز المحظور بتنظيم عرض أزياء للملابس العصرية داخل مبنى السكن الجامعي بمساعدة زميلاتها.

ويؤكد بلقاسم حجاج الذي شارك في الإنتاج خلال تقديم الفيلم في تونس أن "واقع المرأة في مجتمعاتنا يُعد مقياسا لمدى تقدمها أو تراجعها".

تقول مدور إن الفيلم "تكريم للمرأة الجزائرية التي صمدت خلال حرب التحرير وكذلك خلال ما عرف بالعشرية السوداء"، لكنه "يتطرق بطريقة غير مباشرة إلى صمود المرأة الجزائرية التي تناضل اليوم من أجل تغيير القوانين والمساواة بين الجنسين والديمقراطية".

ويتناول فيلم "سيّدة البحر"، قصة "حياة" التي يتراجع والدها عن قرار رميها في البحر وفقا لتقاليد قرية صيادين نائية تفرض على الآباء تقديم الإناث فقط من أطفالهم كقربان ليمنّ عليهم حسب معتقدهم بالسمك. وكنتيجة لهذا القرار غير المسبوق الذي اتخذه والدها، تتغيّر نظرة السكان إلى الفتاة وتصبح منبوذة.

لكن "حياة" تقرر أن تثأر لنفسها وتتحدى التقاليد "الظالمة" وتحاول فرض وجودها بالقوة وسط مجتمع ذكوري.

وتوضح المخرجة السعودية "تتمحور الفكرة حول قداسة الحياة التي تعد أهم من أي قانون أو عادات نقرر أنها واجب".

وتابعت أن المجتمع العربي "يضطهد المرأة ويكبّلها إلى درجة أنها تصبح تكره ذاتها، بات من الضروري أن تتصالح المرأة مع نفسها وتنهض وتكسر القيود".

ومن تونس، يتناول فيلم "نورا تحلم" قصة امرأة كادحة من وسط شعبي، متزوجة من رجل سجن مرارا ولديها ثلاثة أطفال، لكنها تحلم بحياة أفضل مع حبيبها الذي تلتقيه خلسة. وتطرقت هند بوجمعة في هذا العمل إلى مسائل حساسة ومسكوت عنها بذريعة العادات والتقاليد مثل اغتصاب الزوجة والعنف المادي والمعنوي الممارس عليها وعلى أبنائها.

وأكدت بوجمعة أن "القوانين أعطت المرأة التونسية قدرا كبيرا من الحرية إلا أن شريحة من النساء داخل المجتمع مسكوت عنها وما زال بداخلها جدار من الخوف يتعين هدمه"، بعد سنوات من اعتماد دستور جديد سنة 2014 يعتبر من أهم مكتسبات ثورة 2011 كونه ينص على ضمانات للمساواة بين الرجل والمرأة.

وقالت الممثلة هند صبري التي تجسد دور "نورا" بعد العرض "الفيلم تكريم للمرأة التونسية وهدفه رفع الغطاء عن المحرمات وخلق حوار اجتماعي حول المواضيع المحظورة للنقاش".

وأضافت الناشطة الحقوقية بشرى بلحاج حميدة "هناك وعي عربي بقضايا المرأة لكن المشوار لا يزال طويلا".

التلفزيون يستعيد نجوم هوليوود

لوس أنجلس – من جوليا روبرتس إلى ميريل ستريب مرورا بريس ويذرسبون ومايكل دوغلاس، يستقطب التلفزيون عددا متزايدا من نجوم هوليوود بفضل مليارات أوساط البث التدفقي الذي بات يقدم إنتاجات ذات نوعية تتمتع بحس ابتكاري إلى جانب أجور جذابة.

وكان التلفزيون يعتبر في الماضي أقل شأنا من السينما لكنه يشهد في السنوات الأخيرة دعما بفضل ازدهار منصات المشاهدة عند الطلب فالكثير من المشاهدين باتوا يفضلون مشاهدة الأفلام والمسلسلات بشكل متواصل على كنباتهم بدلا من التوجه إلى دور السينما.

وقد ركب هذه الموجة أيضا الممثلون والسينمائيون النجوم.

ويرى مايكل مان مخرج فيلم "هيت" الشهير أن الوضع لم يكن كذلك عندما كان منتجا لمسلسل "ميامي فايس" في الثمانينات. وأوضح "في تلك الفترة، كانت تسود عقلية التقوقع. وكانت أوساط السينما تنظر باحتقار إلى التلفزيون لأن مستواه كان رديئا".

لكن اليوم "يذهب جزء من أفضل السيناريوهات إلى التلفزيون"، وفق تأكيد مان ذاكرا مسلسل "أوزارك" من بطولة جايسن بايتمان (نتفليكس).

وقد خطا جيم كاري هذه الخطوة باتجاه التلفزيون من خلال "كيدينغ" أما جوليا روبرتس فقد كانت بداياتها مع "أمازون" ومسلسل "هومكامينغ"، فيما يشكل مايكل دوغلاس حجر الزاوية في "ذي كومينسكي ميثد" عبر "نتفليكس" المرشح لجوائز إيمي المقبلة.

ولا بد من أجور عالية لاستقطاب كبار نجوم هوليوود. ففي هذا الإطار، يتوقع أن تنفق الشركات العملاقة في مجال البث التدفقي 27 مليار دولار لإنتاج مشاريع العام المقبل، بحسب ما جاء في دراسة أجرتها هيئة لوس أنجلس للفيلم "فيلم أل.أي". وتشدد الدراسة على أنه ينبغي "عدم الاستخفاف بتأثير خدمات البث التدفقي على التلفزيون وأوساط الترفيه".

وتوفر الشاشة الصغيرة فرصا أكبر للممثلات فوق سن الأربعين وللأقليات الإثنية مقارنة بالسينما التي لطالما فضلت الرجال والبيض. وبات المخرجون ينجذبون إلى التلفزيون أيضا.

تستعين الممثلة المصرية منى زكي خلال تصويرها أحدث أفلامها؛ «العنبكوت»، الذي يشاركها في بطولته كل من مواطنها أحمد السقا والممثل التونسي ظافر العابدين، بممثلة بديلة حتى تؤدي بدلا عنها مشاهد الأكشن، لأنها لم تتمرن بالشكل الكافي لانشغالها في الفترة الماضية، كما أن بعض الحركات ليست سهلة.

توت عنخ آمون يحتفل بمئويته في لندن

لندن – بدأت لندن في عرض قطع أثرية من مقبرة الملك توت عنخ آمون اعتبارا من السبت في إطار جولة يقول عنها المنظمون إنها ستكون آخر جولة عالمية لتلك الآثار قبل عودتها إلى مصر بشكل نهائي.

وتشارك أكثر من 150 قطعة –منها تماثيل ومنحوتات وبوق فضي وسرير جنائزي– في معرض "توت عنخ آمون: كنوز الفرعون الذهبي" بصالة عرض ساتشي في العاصمة البريطانية. ومن بين المعروضات درع خشبية وقفاز من الكتان وتمثال بالحجم الطبيعي للملك يقف متأهبا عند مدخل مقبرته.

وقال طارق العوضي، مدير المعرض، "سبب وجودنا هنا هو أننا نحتفل بمرور مئة عام على اكتشاف مقبرة توت عنخ آمون. إنها أول مرة تسمح فيها مصر بخروج هذا العدد من القطع الأثرية من البلاد. هذا آخر معرض متجول لتوت عنخ آمون".

وذكر المعرض أن أكثر من 60 قطعة أثرية خرجت من مصر للمرة الأولى. وكان عالم الآثار البريطاني هوارد كارتر اكتشف مقبرة الملك المنتمي إلى الأسرة الثامنة عشرة في وادي الملوك بالأقصر عام 1922. وكانت المقبرة تحتوي على خمسة آلاف قطعة أثرية.

ولندن هي الوجهة الثالثة من بين عشر مدن تستضيف المعرض بعد جولتين ناجحتين في باريس ولوس أنجلس.

وستعود المعروضات في نهاية المطاف إلى مصر حيث توضع للعرض في المتحف المصري الكبير الواقع بجوار أهرامات الجيزة وسيفتتح العام المقبل.

معلم سياحي يكشف لبريطانية إصابتها بسرطان الثدي

إدنبرة – قادت زيارة معلم سياحي في العاصمة الاسكتلندية إدنبرة سائحة بريطانية إلى معرفة أنها مصابة بسرطان الثدي، بعد مشاهدتها الصور التي التقطتها لها كاميرا حرارية.

واكتشفت بال جيل مرضها إثر زيارتها مع عائلتها للمعلم السياحي المعروف باسم كاميرا أوبسكيورا، الذي يستمتع فيه السياح بعالم الحيل البصرية.

ولاحظت جيل عندما دخلت غرفة الكاميرا الحرارية أن لون ثديها الأيسر مختلف عن لون الأيمن. وبعد عودتها إلى بيتها زارت الطبيب، فأخبرها بأنها مصابة بسرطان الثدي.

ووفقا لهيئة الإذاعة البريطانية "بي. بي.سي"، قالت جيل "ونحن نصعد عرجنا على غرفة التصوير الحراري مثلما تفعل جميع العائلات. ورحنا نلوح بأيدينا وأذرعنا وننظر إلى صورها. عندها لمحت بقعة حرارة على ثديي الأيسر، فوجدت أنها غريبة ولا أحد لديه مثلها، فأخذت صورة لها وواصلنا جولتنا في المتحف".

وكانت جيل نسيت أمر الصورة، لكنها عثرت عليها وهي تقلب أغراضها، فبحثت عبر محرك غوغل عن معلومات بشأن سرطان الثدي والكاميرات الحرارية. وبعدها شخص الطبيب إصابتها بسرطان الثدي في مراحله الأولى.

وأجرت عمليتين جراحيتين، واحدة لاستئصال الثدي، وستخضع لعملية أخرى في نوفمبر الحالي.

وأعربت جيل عن امتنانها قائلة "لولا الكاميرا لما اكتشفت إصابتي بالمرض. أعرف أن هذه ليست وظيفة الكاميرا، لكنها كانت مصيرية بالنسبة إليّ".

والكاميرا الحرارية واحدة من أكثر الأقسام جذبا في المعلم السياحي، فهي تسمح للسياح بمشاهدة صور مقاطع مهمة من أجسامهم.

وأكد أندرو جونسون مدير المعلم السياحي "لم نكن نعلم أن كاميراتنا لها القدرة على كشف أمراض بهذه الخطورة. تأثرنا كثيرا عندما روت لنا جيل قصتها، لأن سرطان الثدي قد يصيب أي أحد بيننا".

مشاركات في معسكر "روز تريب ماروك" بالقرب من مدينة مرزوكة جنوب شرق المغرب، يدرسن خارطة قبل انطلاقهن في الصحراء، في رحلة ذات توجه نسائي، حيث يجب على الفرق المكونة من ثلاثة أفراد السفر عبر الصحراء المغربية الجنوبية مع بوصلة وخارطة ومراسل طبوغرافي.

صباح العرب

عدلي صادق

الغضنفر

حتى ظهور الجيل الرابع من الحواسيب، في العالم الأول، كنا لا نزال في صحراء قاحلة حوسبيا. وفي بدايات استخدام الكمبيوتر، في الصحافة العربية، كانت الأجهزة قد تطورت، باستخدام الدوائر المتكاملة واسعة النطاق، المثبتة على شريحة سيليكون واحدة، وتطورت المعالجات المركزية في الأجهزة التي صغرت أحجامها، فطويت مرحلة الأسطوانات الزجاجية المفرغة، أو "اللمبات" الشبيهة بالتي عُرفت في أجهزة الراديو القديمة، قبل اختراع الترانزستور.

في تلك الأيام، تأسست مراكز بيع المعلومات، بعد تخزينها وتسميتها بنوكا تفتح باب الاشتراكات لوسائل الإعلام جيدة التمويل، فيستفيد منها المحررون وكتاب الأعمدة ومختصو الغرافيك!

في تلك الأيام انعقدت الغلبة للصحافة المهاجرة، بحكم مساحة الحرية والتقنيات الطباعية ووفرة المعلومة. كنت واحدا من المبتدئين الذين اندهشوا من أداء بعض كتاب الأعمدة وظنوها نتاج ثقافة موسوعية. لم أكن أدري أن هناك بنوك معلومات، تشتغل بالأزرار، سوف تتطور بعد عشر سنين إلى نبع لا ينضب من المعلومات عن كل شيء في الدنيا!

ظل إعجاب الذي لا يدري، بالكاتب الغضنفر، يزداد في كل يوم، بحكم امتزاج رأيه المكتوب، بالخلفيات التاريخية والعلمية، معتقدا أن هذا الكاتب يعتصر عقله وينتقي من حوصلة قراءات متنوعة ومن ثقافة شاسعة، توفر مثلها للكثيرين من السلف؛ شارحين وفقهاء وفلاسفة!

في ستينات القرن الماضي، لم يكن الناس في بلدتنا، يعرفون الثلاجة التي كانت قد عُرفت في بعض الحواضر العربية. فالكهرباء نفسها، لم تدخل إلى بلدتنا التي يسمونها مدينة، إلا في العام 1960. أما الثلاجة فقد ظهرت في مرحلة الاحتلال الإسرائيلي، ولعلها غابت أو تعثرت وظيفتها، بانقطاع الكهرباء عن غزة في زمن استبدال الحصار بالاحتلال. كان للمرحوم والدي صديق عُرف ببخله، تعمّد أن يبادر في كل نحو شهرين بدعوة والدي إلى مشوار قصير في اتجاه القصاب، لكي يشتري لحما لأهل الدار. يفاجأ والدي بصاحبه يطلب خمس كيلوغرامات، علما بأن سقفه كان لا يزيد عن نصف الكيلو في حال البحبوحة. يسأله والدي مستغربا "هل لديك وليمة؟"، يردّ صاحبه "لا إنه لحم لأهل الدار". لم يكن والدي يعلم أن شقيق صاحبه، المقيم في أميركا، أرسل إليه ثلاجة موصولة بمولد كهرباء صغير يعمل بالكيروسين. ولما انتشرت الثلاجة بعد 1967 وتوسعت المدارك، تساءل والدي بينه وبين نفسه، كمن توصل متأخرا إلى حلّ لغز كبير "كنت أتساءل كيف كان فلان يشتري لحما بتلك الكمية، ليوم واحد أو يومين؟.. لم تخطر في بالي حكاية الثلاجة العجيبة، التي تحفظ اللحم بالتجميد!".